ا مهـورية ا زائـرية الد قـراطية الشعبيـة

وزارة التعليـم العـا والبحث العلـمي

جـ ـامعـة ا ـزائـر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

نظرة ا صادر ا زائرية ا السلطة العثمانية ا زائر

مذكرة ماجستـ التاريخ ا ديث

إعداد الطالب : مد شاطو

إشراف الأستاذ الدكتور: عمار بن خروف

السنة ا امعية: 2005 ـ 2006

ا مهـورية ا زائـرية الد قـراطية الشعبيـة

وزارة التعليـم العـا والبحث العلـمي

جـ ـامعـة ا ـزائـر

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم التاريخ

نظرة ا صادر ا زائرية ا السلطة العثمانية ا زائر

مدكرة ماجست التاريخ ا ديث

إعداد الطالب : مد شاطو

إشراف الأستاذ الدكتور : عمار بن خروف

السنة ا امعية : 2005 ـ 2006

ǒاdŁإ و ȓȮش

إ روǵŌ يا Ÿ ĊŌ Ǔ ɾ	دعائي ǁĬnĶ الذ Ƀ قد رعاƆ
ولسĶ بǺâȁ قداسـة ǃمـي	وǁǺȓ اعتزاز Ƀ وعطر الزمام ɾ
ولا ǃنس؟ دوماǃ شقيقة عمرɃ	وǃخ Ɣ رǵǃȃ Ɂو ǃ والأمام ɾ
وǃذكر ŁŁ زوج Ɣ ĊŌ ǵƘ	رǀيقـة درŸ و كـŌ Ǔ ɾ
وƵـǃ وǁȼ وسƘǃ وميـم	وƘǃ وفـاǃ رموز ǃ اـǃ ɾ
إ من ǃنار سبيـلي ودرŸ	ǀعطار من علم ȼǃ قـد كȦـاƆ
ǀȮǃ Ķرǂǃ ȼ طريقاǃ لبحثي	وعـونا ǁȦȮرɃ بهǃ ĵ البيـا ɾ
إ زمرة الأȍدقاǒ يعـŁ Ƿ	إليهـم ǃقدم Ōكـ امتـǃ Ɔ

قائمة اǺتصراğ ا ستعملة باللـ8ة العربية

الخ : الى آخره

ج : الجزء

د.ط : دون دار الطبع

د.م : دون مكان الطبع

د.م.ج : ديوان المطبوعات الجامعية

د.ت : دون تاريخ الطبع

د.ت.ن : دون تاريخ النشر

ش.و.ن.ت : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

و.ت.أ.ش.د : وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

م.و.ك : المؤسسة الوطنية للكتاب

م.و.ف.م : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية

هـ : التاريخ الهجري

م : التاريخ الميلادي

مخ : مخطوط

مج : مجلد

ع : العدد

ص : صفحة

ص ص : صفحات

ط : طبعة ، طبع

مط : مطبعة ، مطبوعات ، مطابع

منش : منشورات

د.غ.إ : دار الغرب الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ التّطورات التي عرفتها الجزائر منذ مطلع القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي وإلى غاية وقوعها تحت الإحتلال الفرنسي في عام 1246هـ/1830م ، أثّرت بشكل واضح في المسيرة التّاريخية للمجتمع الجزائري ، و طبعتها بطابع ميّزها عن الفترات السابقة، ممّا أثاراهتمامات الكثيرين من الكُتّاب والمؤلفين والسفراء والرّحالة ، فكتب كل واحد فيما أثار اهتمامه ، ولفت نظره . ذلك أنّ بروز الجزائرعلى مسرح الأحداث الإقليمية والدولية خلال الفترة 918 ـ 1246هـ/ 1512 ـ 1830 م ، وتصديها للغزو الإسباني، وقيام حكم مركزي قويّ مع إرساء دعائم وحدة سياسية وإدارية ضمن حدود واضحة المعالم الى حد كبير ؛ جعلت الجزائر محلّ رصد من قبل من تقدّم ذكرهم .

وقد تباينت رؤاهم إلى السّلطة التي كانت قابضة على الحكم فيها طوال الفترة المذكورة بين مستحسن ، وناقم ، ومنصف ، ومتحامل ، فالكثير من العلماء والفقهاء والمثقفين كانوا يرون فيها ، النّاصرة للدّين، المدافعة عن المسلمين في الجزائر ، في حين تحامل آخرون على تلك السّلطة العثمانية، فأبرزوا مساوءها ، ومظالم حكّامها للرّعية ، وتشدّدهم في جباية الضرائب منها ، وتسليط المغارم عليها .

أمّا معظم الغربيين فإنهم ركّزوا جهودهم على القرصنة ومسألة الأسرى ، والأضرارالتي لحقت الأمن والنشاط التجاري من جرّاء قبضة الحكم العثماني في الجزائر ، وقليلون هم الذين تميزت كتاباتهم بالموضوعية ، والإنصاف ، أمّا الباقي فغلب عليها التحامل .

إنّ هذا الإختلاف في وجهات النظر هو الذي دفع بنا إلى التفكير في البحث عن معرفة حقيقة السّلطة العثمانية في الجزائر، من خلال مؤلفات الجزائريين على الخصوص ، سواء تلك التي عايش أصحابها الأحداث بأنفسهم في فترة من فترات الحكم العثماني للجزائر ، أو أولئك الذين كانوا قريبين منها ، بحيث لم تفصلهم سوى فترة قصيرة عن هذا الوجود.

وما دفعنا أيضاً إلى البحث في **نظرة المصادر الجزائرية إلى السّلطة العثمانية في الجزائر** خلال الفترة المذكورة ، منذ استحكام العلاقة بين الجزائريين وطلائع العثمانيين فيها ، وقيام التعاون بينهم ابتداء من سنة 1512 م ، وإلى غاية نهاية حكم العثمانيين في الجزائر سنة **1830 هو** :

استمرار ذلك التناقض في رؤى المحدثين فيما كتبوه عن العهد العثماني ، وعلاقة السّلطة بالرعّية .

إنّ الهدف من هذه الدراسة هو الإدلاء بدلوي في قضيّة هامّة ماتزال مثارجدل واختلاف.

وقد بحثت على الخصوص عن الإجابة على التساؤلات الآتية :

- كيف نظر الجزائريون بمختلف فئاتهم إلى السّلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر ؟
- إلى أي مدى ساهمت الظّروف التاريخية في تحديد هذه النظرة ؟
- هل كانت الإعتداءات الخارجية هي العامل المؤثر في هذه الرؤية ؟ أم أن الأمر يتعلق بمفاهيم فقهية موروثة و مقدّسة كالخلافة ؟
- أين تقاطع العلماء و شيوخ الزّوايا في نظرتهم للسّلطة العثمانية ؟ وأين تباينت مواقفهم ؟ ولماذا ؟
- منذ متى بدأ ت القوى الدّينية تتردّد في مُساندتها للسّلطة العثمانية في الجزائر ؟ وفي أي مرحلة أخذت تثور عليها ؟
- إلى أي حدٍ ساهمت مواقف التأييد في الحفاظ على الدّين و الدولة بالجزائر ؟
- إلى أي مدى استطاع المعارضون بانتقاداتهم تقويم و ترشيد السّياسة العثمانية في الجزائر؟

وقد حاولتُ على أن يكون بحثي عن الإجابة على كلّ الأسئلة المذكورة وغيرها من المصادر المحلّية أساساً دون إغفال الإستفادة من المراجع الحديثة .

و قد تتبعت في بحثي عرض المصادر لنماذج مختلفة عن طبيعة السّلطة العثمانية في الجزائر، وعلاقتها مع الشرائح المختلفة للشعب الجزائري ، وعن جهود حكامها ومآثرهم ، والأزمات التي صادفتهم ، وكيفية معالجتهم لها ....الخ ، متتبعًا في ذلك تأثير الأسباب في المسّببات ، مستخلصًا في النّهاية ؛ نظرة المصادر الجزائرية إلى السّلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر.

وقد بحثت الموضوع ضمن الأقسام الرئيسية الآتية :

الفصل الأوّل : نظرة المصادر المحلّية الى السّلطة العثمانّية الحاكمة في الجزائر في مرحلة ما قبل التحرير الكامل للمواقع المحتلة 918 ـ1207هـ/ 1512 ـ 1792م ؛ ويتوافق التاريخ الأوّل مع أوّل محاولة لتحرير بجاية تمت بطلب من الجزائريين ، أمّا التاريخ الثاني فيتوافق مع تحرير وهران والمرسى الكبير من الإسبان ، وجلاء أواخرهم منهما .

وفي تقديري أنّ تاريخ 1207هـ/1792 م يعتبر منعطفاً حاسماً في فترة وجود العثمانيين بالجزائر، والعلاقات بينهم وبين الأهالي ، لأنّه يمثّل نهاية عهد ، وبداية عهد جديد ، اختلفت معطياتهما، وملامحهما من عدّة أوجه ، وقد أبرزت من خلال هذا الفصل نظرة المصادرالمحلية إلى جهود العثمانيين ومآثرهم في: الجهاد ، وتحرير الأوطان ، والعمارة والثقافة ورعاية العدل ومحاربة الفساد والفوضى ، وعلاقتهم بالقوى المحلّية الدّينية والقبلية ، من مرابطين ومتصوّفة وعلماء ومثقّفين وأعيان قبائل وغيرهم .

الفصل الثاني : تعرّضت فيه لنظرة المصادر المحلّية إلى السّلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر في مرحلة ما بعد التحرير الكامل للمواقع المحتلة 1207 ـ 1246هـ/ 1792 ـ 1830م .

وقد ركّزت فيه على نظرتها إلى تلك السّلطة في هذه الفترة التي تميّزت بتردّي الأوضاع االسّياسّية ، والإقتصادية ، والإجتماعيّة ، وأدّى ذلك إلى اتساع الهوّة بين الحكّام والمحكومين في غالب الأحيان ، وقيام الثورات ، والتمرّدات هنا وهناك ، قبل أن تُقْدِمَ فرنسا على احتلال مدينة الجزائر ، ثم سائر البلاد الجزائرية ابتداء من سنة 1830 م .

الفصل الثالث : عرضت فيه نظرة المصادرالغربية ، والإسلاميّة ، إلى السّلطة العثمانيّة الحاكمة في الجزائر . وقد ارتأيت أن أضيف إلى الفصلين السّابقين هذا الفصل الثالث الذي حاولت فيه أن أكتشف الجوانب التي ركّز عليها الغربيون في كتاباتهم عن السّلطة العثمانيّة الحاكمة في الجزائر ، وكذا ما كتبه بعض المغاربة والمشارقة المسلمين الذين عايشوا هذه المرحلة في الجزائر، سواء كانوا مقيمين بها ، أو مارّين بأراضيها في طريقهم إلى الحج ، أو مكلّفين بسفارة من السّفارات .

وختمت الرّسالة بخاتمة ضمّنتها أهم النتائج والإستنتاجات التي توصلتُ إليها ، ودعّمتها بملاحق مختلفة ، كان أوّلها مخصصاً للتعريف بأهم مصادر الرّسالة ، وأنهيتها بالفهارس والبيبليوغرافيا .

وأملي أن تكون هذه المذكرة لبنة إضافية إلى البناء التاريخي الذي يسعى لإنجازه المؤرخون والباحثون في تاريخ الجزائر الحديث .

أمّا ما يتعلق بالصّعوبات التي واجهتني في أثناء إعداد هذه المذكّرة فكثيرة أهمها :

1 ـ عدم التفرّغ الكامل للبحث ، حيث الإرتباط بالتدريس ، الذي يتطلّب جهداً كبيراً ؛ وهوعمل شاقٌ ، يأخذ الكثير من الوقت ، ويرهق الفكر والبدن معاً .

2 ـ محدودية الفضاء الثّقافي بالمدينة التي أقطنها ، وفقر مكتبتها الوحيدة من المصادر التي أحتاجها في بحثي .

3 ـ بُعد المسافة عن العاصمة التي تتوفر مكتباتها المختلفة على المصادر والوثائق التاريخية وهو ما يحتاجه الباحث .

4 ـ عدم التعاون الذي كثيراً ما صادفنا ولا سيما من قبل القائمين على تسيير أجنحة المطالعة بالمكتبات الكبرى في العاصمة ، فكثيراً ما تكون الإجابة بالسّلب على الطلب باعتبار أنّ الكتاب مفقود ، أو المخطوط مرمّم ويمنع إخراجه ، بالإضافة الى تعذر النسخ في كثير من الأحيان .

وفي ختام هذه المقدمة لابد من الإشادة بالدور الكبير للأستاذ المشرف الدكتور عمار بن خروف في توجيهنا ، و تشجيعنا على طرق هذا الموضوع و معالجته ، وتفضله بقراءة هذه المذكرة وغضّ الطّرف عن بعض نواقصها ، فله ولكلّ من قدّم لنا يد المساعدة الشكر الجزيل .

وبا التوفيق .

لمحة على مصادر ومراجع البحث

أ ـ المصادر المحلّية :

هي كل انتاج فكري في مجال التاريخ صادر أساساً عن الجزائر أو إقليم من أقاليمها ، من مؤلف جزائري مولداً وإقامةً .

كما اعتبرت انتاج من أقاموا فيها إقامة قصيرة أو مطوّلة ، في عداد المصادر التي تخدم التاريخ المحلي وإن كانت صادرة عن غير الجزائريين ، كأثار بعض الرّحالة المغاربة ، والسفراء ، وطلبة العلم ، وغيرهم من الذين زاروا الجزائر لمُدَد مختلفة في العهد العثماني ، وصنّفتها ضمن المصادر الملحقة بالمحلّية . فقد أخذت عن الكثير ممن عاشوا خلال الوجود العثماني بالجزائر، وكتبوا عن فترتهم ، أوكانوا قريبين من بعض الأحداث التي كتبوا عنها ، ومنهم : (1)

ـ **عبد الرّحمان الأخضري** (2) **:** هو العلاّمة الجزائري أبو زيدعبد الرّحمان بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الشّهير بالأخضري ، ولد في بنطيوس ، وهي قرية من قرى بسكرة سنة 920 هـ/ 1514م في بيت علم وصلاح ، حيث أحاطه والده محمد الصغير بالرّعاية التّامة ، بالإضافة إلى حرصه بنفسه على المعرفة منذ صباه ، فألّف وهو ابن سن مبكّر " السّراج " في الفلك وهو ابن التاسعة عشر من عمره ، و" الدّرة البيضاء في الحساب " وهو ابن العشرين سنة ، و" السلم المرونق في المنطق " وهو ابن الواحدة والعشرين .

نشأ الأخضري زاهداً عاكفاً على العبادة والخلوة وطالباً للعلم ، ومن أبرزشيوخه:أخوه محمد الصغير، وعلي الخروبي؛ ومن أبرزتلامذته **:**عبد الكريم الفكون الجد، وأبوعثمان سعيد قدّورة، وغيرهما. ترك عدداً كبيراً من التّآليف نذكر منها : " الجوهر المكنون في الثلاثة فنون"

---

(1) رتبت المؤلفين حسب تاريخ وفاتهم .

(2) أنظر د. سعد ا : تاريخ الجزائر الثقافي ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1981 ، الجزء الأول ، ص ص : 507 ، 510.

ـ محمد الحفناوي : تعريف الخلف برجال السّلف ، جزءان ، م.و.ف.م ، رغاية ، الجزائر 1991 ، ج1 ، ص : 72 .

ـ عبد الرحمان الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، 4أجزاء ، د.م.ج، الجزائر 1994 ، ط7 ، ج3 ، ص ص : 79 ، 80 .

و" السّراج في الهيئة " و" الدّرة البيضاء في أحسن الفنون والأشياء" و" أزهر المطالب في علم الإسطرلاب " و" شرح السّنوسية " و" السلم المرونق في علم المنطق "و" رسالة في التّحذير من البدع " . توفي عبد الرّحمان الأخضري على الأرجح سنة 983هـ/1575م . استفدت من رسالته القدسية التي ينتقد فيها مدّعي الولاية والتّصوف ، المنحرفون عن التعاليم الإسلامية الصّحيحة ، ويريد من خلالها تنبيه المجتمع ، وكشف الدّجالين .

ـ **أحمد بن محمد المقري التلمساني**[1] : نسبه يعود الى بلدة مقرّة بمنطقة الحضنة بالشرق الجزائري، ولد بتلمسان سنة 986هـ/1578م ، قرأ بها على عمه الشيخ الجليل العالم أبي عثمان سعيد بن أحمد المقري مفتي تلمسان ستين سنة ، ومن جملة ما قرأعليه " صحيح البخاري " سبع مرات ، وروى عنه " الكتب الستة " بسنده عن عبد ا التنسي ، وبعد استكمال دراسته بها توجه الى فاس ثم رحل الى مصر ثم الى الحجاز ثم فلسطين إذ درّس بالمسجد الأقصى عام 1037هـ ، كما زاردمشق ثم عاد الى مصر وألف " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب " ، وبها توفي عام 1041هـ/1632م ، وقيل أنه توفي بالشام . ترك المقري مجموعة من التآليف منها : " نفح الطيب " و " فتح المتعال في النعال " و " أزهار الرياض في ترجمة عياض " و " أزهار الكمامة في العمامة" و " إضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة " أفادني من خلال كتابه " نفح الطيب " بما ذكره عن المكانة والمنزلة التي كان يحظى بها العلماء في زمانه بأرض الجزائر .

---

(1) أنظر محمد الحفناوي : المرجع السابق ، ج1، ص ص : 51 ، 66 .

ـ عبد الرحمان الجيلالي : المرجع السابق ، ص ص : 144 ، 148 .

ـ محمد بن عبد الكريم : " المقري وكتابه نفح الطيب " ، منش دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، د . ت . ن ، ص ص: 102 ، 129 .

ـ خير الدين الزركلي : الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، 8 أجزاء ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان 1992 ، ط 10 ، ج 1 ، ص : 237 .

ـ سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص : 327 ، 335 .

ـ د. عمار هلال : العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين (14/4هـ) ، مجلة الدراسات التاريخية ، إصدار معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، السنة 1995 ، العدد : 9 ، ص : 33 .

- **الفكون أبو محمد عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القسنطيني** :[1] ولد بقسنطينة سنة 988ه/ 1580 م. عُرف بغزارة علمه ، ومكانة عائلته الإجتماعية . كان يقود ركب الحجيج الى الحرمين الشريفين بعد وفاة والده . خلّد العديد من التآليف أبرزها " منشور الهداية " الذي أفادني في أخذ نظرة عن علاقة العلماء بالسّلطة الحاكمة من خلال حديثه عن الصلح الذي شارك فيه مجموعة من العلماء والأعيان ، والذي تمّ بين الجزائر وتونس إثر خلاف كان قائماً بينهما ، بالإضافة إلى ما تضمّنه مؤلّفه هذا من إظهار إدّعاءات بعض المتصوّفة ، وفي ذلك انتقادات غير صريحة للسّلطة الحاكمة التي كانت تشجّعهم بالتّقرب إليهم دون تمييز بين الصّادقين منهم والدّجالين المفترين ، بالإضافة الى تآليف أخرى منها : " محدد السنان في نحور إخوان الدخان " و " ديوان في مدح النبي صلى ا عليه وسلم " . توفي رحمه ا بقسنطينة عام 1073ه/ 1662م .

- **المنداسي أبوعثمان سعيد بن عبدا التلمساني**[2] **:** عاش بتلمسان في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري ، منتصف القرن السابع عشر الميلادي . تعلّم وأصبح له اطلاع ومعرفة بعلوم عصره اللغويّة والفقهيّة .

اضطر سعيد المنداسي إلى مغادرة تلمسان مسقط رأسه والتحوّل إلى المغرب مقيماً به إلى أن وافته المنيّة سنة 1088هـ / 1677 م بإقليم تافيلالت . ترك ديواناً من الشعر حقّقه رابح بو نار. أخذت عنه النّظرة الإنتقادية المتذمرة من الحكّام الأتراك في الجزائر ولاسيما في تلمسان .

- **محمد بن ميمون الجزائري :** [3] ولد بمدينة الجزائرمن عائلة اشتهرت بالعلم ، أخذ العلوم

---

(1) أنظر محمد الحفناوي : المرجع السابق ، ج1 ، ص ص : 191 ، 196 .
- د. سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص : 353 ، 357 .
- د . محمد بن عبد الكريم : " التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية " لابن ميمون الجزائري ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1981 ، ص : 74 .
- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي : المرجع السابق ، ط 7 ، ج 3 ، ص ص : 149 ، 153 .
(2) أنظر د. سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص : 369 ، 372 .
- رابح بونار : ديوان سعيد بن عبد ا المنداسي ، ش . و . ن . ت ، الجزائر 1976 ، ص ص : 5 ، 28 .
(3) أنظر د. محمد بن عبد الكريم : التحفة المرضية ، ص ص : 11 ، 13 .
- د. سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص : 398 ، 402 .

الفقهية واللّغوية على العديد من علماء الجزائر، وعُرف بميله للتصوّف وولعه بنظم الشعر ، تولى محمد بن ميمون خطّة قضاء الجزائر لفترة زمنية على عهد الداي محمد بكداش 1118 ـ 1122هـ/1707 ـ 1710م ، وشغل بعض الوقت خطّة المواريث زمن الداي ابراهيم باشا 1745 ـ 1748 م . اشتهر بتأليفه سيرة الداي محمد بكداش " التحفة المرضية في الدّولة البكداشية " تقديراً ومحبة له ، ورغبة في التّقرب منه ، فقد كان معاصراً له ولفتح وهران الأول مع مطلع القرن الثامن عشر . توفي ابن ميمون بعد 1159هـ/1746 .

أفادني كثيراً من خلال مؤلفه في معرفة تفاصيل هذا الفتح ، وما لقيه الداي محمد بكداش إثر ذلك من مديح ، وماناله من شهرة لدى مختلف شرائح المجتمع الجزائري .

ـ **المشرفي عبد القادر** : [1] المتوفي سنة 1192هـ/ 1778م بضواحي مدينة معسكر ، عرف بعلمه الغزير ، تخرّج على يده الكثير من العلماء وطلبة العلم ، من بينهم أبو راس الناصري . أهم ما خلّده لنا "بهجة الناظر في أخبارالدّاخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر" أفادنا بحديثه عن فتح وهران الأول والظروف التي تمّ فيها هذا الفتح .

ـ **الورثيلاني الحسين بن محمد السعيد** : [2] المولود سنة 1125هـ/1713م ببني ورتيلان بالقبائل الصغرى ، تلقى مبادىء الفقه واللّغة على يد أبيه وأشياخ موطنه ، وقد ارتبط بالطريقة الشاذلية وعُدّ من شيوخ المرابطين . اشتهر برحلته المدوّنة بعنوان " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" المشهورة بـ " الرحلة الورثيلانية " ؛ توفي عام 1193هـ/1779م أخذت عنه ما تعلّق بجهود العثمانيين في مجال التعميروالتحصين ، وكذا ما تعلّق بسطوهم على الأوقاف ، وانتشار الفساد في آخر عهدهم ، أثناء حديثه عن مدينة بسكرة .

ـ **ابن رقيّة التلمساني محمد بن عبد الرحمان** : [3] المتوفي سنة1194هـ/1780م كان يعتبرمن العارفين بالعلوم الفقهية واللّغويّة ؛ عُرف بمؤلّفه " الزّهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنودالكفرة " . أفادني من خلال حديثه عن الحملات الأوربية على الجزائر حسب

---

(1) أنظر د. سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص : 412 ، 414 .

(2) أنظر الحفناوي : المرجع السابق ، ج1 ، ص ص : 51 ، 66 .

(2) ـ د. سعيدوني : المرجع نفسه ، ص ص : 418 ، 421 .

(3) أنظر د. سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص : 425 ، 427 .

ـ أنظر د. سعد ا : " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال " أو " رحلة ابن حمادوش " ، ش.و.ن.ت. الجزائر 1983 ، ص : 9 ، 10 .

تسلسلها الزّمني منذ قدوم عروج وخير الدين إلى فترة الداي محمد عثمان باشا، بالإضافة إلى حديثه عن الظّروف التي انضمت فيها الجزائر إلى الدّولة العثمانية .

ـ **ابن حمادوش عبد الرّزاق بن محمد بن أحمد :** (1) ولد بمدينة الجزائر سنة 1107هـ 1695م من أسرة متوسطة الحال ، تتلمذ على محمد بن ميمون ومحمد كنجل ، دأب طيلة حياته على القراءة ، اشتهر في مجال أدب الرّحلة والتاريخ برحلته المعروفة " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال " والذي سجّل فيه ما عرض له وما شاهده فترة أربع سنوات من حياته 1743 ـ 1748 ، حين طاف ببعض البلدان العربية وهو في طريقه الى الحج ، أو أثناء زيارته للمغرب الأقصى. تقلّد ابن حمادوش بعض الوظائف الدينّية تزامناً مع عصرالدايات ، توفي ابن حمادوش حوالي 1200هـ/1785م . استفدتُ من رحلته في معرفة الأوضاع التي كانت تعيشها الجزائر أثناء عصر الدايات من خلال سرده لما كان يشاهده دون إبداء رأيه في الأحداث التي عايشها .

ـ **ابن سحنون الراشدي أحمد بن محمد بن علي**(2)**:** ينتسب إلى أسرة من بني راشد لها سابقة في الجهاد فقد حضر عمّه فتح وهران الأوّل سنة 1120هـ/1708م ، وهو من مواليد النصف الثاني من القرن 18م ، نشأ بمعسكر ، وتتلمذ على الشيخ محمد بن عبد ا الجيلالي متولي المدرسة المحمدّية بمعسكر ، كما تولى الكتابة لدى محمد الكبير . توفي بعد عام1211هـ/1796 م . اشتهر ابن سحنون بمؤلفه " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني " هذا التأليف الذي أفادني في أخذ نظرة شاملة عن الباي محمد الكبير وسياسته الجهادية التي توّجت بفتح وهران عام 1792.

ـ **ابن هطال أحمد التلمساني :** (3) اشتغل كاتباً لدى الباي محمد الكبير ، خلّد لنا "رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الجزائري " والتي نوّه فيها كثيراً بالمواقف الجهادية

---

(1) أنظر د. سعيدني : المرجع السابق ، ص ص : 432 ، 435 .

ـ د . عمار هلال : المرجع السابق ، ص : 36 .

(2) أنظر د. سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص : 439 ، 443 .

ـ المهدي البوعبدللي : " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني " لابن سحنون ، مطبعة البعث بقسنطينة ، الجزائر 1973 ، ص ص : 6، 8 .

(3) أنظر د. سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص : 448 ، 450 .

ـ محمد بن عبد الكريم : " رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الجزائري " لابن هطال ، مطبعة عالم الكتب ، القاهرة ، مصر 1969 ، ط 1 ، ص ص : 13 ، 14 .

لهذا الباي ؛ بقي يشغل نفس المنصب إلى أن قُتل في موقعة فرطاسة ، حين كان يرافق الباي مصطفى العجمي في مواجهته للشريف الدّرقاوي سنة 1219هـ - 1804 م . أفادني بحديثه عن مراحل هذه الرّحلة التي عرفنا من خلالها جوانب عديدة من شخصية محمد الكبيروسياسته.

- **أبو راس الناصري :** [1] ولد بالغرب الجزائري سنة 1165 هـ/1751 م وتوفي بمدينة معسكر سنة 1238 هـ/1823 م ؛ درس في صغره بمعسكر ومازونة على علماء عصره ، ومنهم العلاّمة عبد القادر المشرفي ، ثم ارتحل إلى تونس ومصر وأخذ عن علمائهما كالعالم الأديب الشاعر ابراهيم الرياض ، والشيخ مرتضى الزبيدي والشرقاوي ، وأجازوه ، ووصفوه بأوصاف علمية رفيعة . ثم عاد من المشرق إلى بلاده بعد أن استوعب دراسات عصره ، وأحاط بالمذاهب الأربعة ثم تخصص في المذهب المالكي ، وتعمّق في دراسة مختصر خليل بن اسحاق الذي اختصر مسائله واستوعبها ، ثم انتصب للتدريس، وقد بلغ عدد طلابه المئات ؛ فقد كان عالماً وفقيهاً ومؤرخاً ، ألّف الكثير من الكتب في كلّ فرع من العلوم المعروفة في عصره ، نذكر منها : " عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" و "درء الشقاوة " و " لب أفياخي في ذكر أشياخي " و " شرح نفسية الجمان في فتح مدينة وهران "، وقد تضمّنت معظم تآليفه الحديث عن أحوال البلاد الجزائرية في ظل الحكم العثماني، فأخذنا عنه ما تعلّق بجهادهم وإكرامهم للعلماء واهتمامهم بدور العبادة.

- **مسلم بن عبد القادر الوهراني :** [2] عمل خوجة لدى الآغا المزاري أحد قوّاد مخزن الأتراك بنواحي وهران ، ثمّ ترقّى إلى منصب رئيس الكتّاب (باش كاتب) لدى الباي حسن بن موسى آخر بايات وهران ، غادر وهران إلى عين تموشنت بعد الإحتلال الفرنسي لها ، حيث توفي بها عام1248هـ/1832م . يعتبر مسلم بن عبد القادر من ذوي المعرفة بالعلوم الفقهيّة والفنون

---

(1) أنظر محمد أبو راس الناصري : " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " (حياة أبي راس الذاتية والعلمية) ، تحقيق وضبط وتعليق : محمد بن عبد الكريم الجزائري ، م.و.ك ، الجزائر 1990 .

- د. سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص : 460 ، 465 .
- رابح بونار : أبو راس المعسكري وتاريخ مدينة الجزائر ، مجلة الأصالة ، الجزائر 1972 ، عدد 8 ، ص : 130 .
- الحفناوي : المرجع السابق ، ج2 ، ص ص : 167 ، 168 .

(2) أنظر رابح بو نار : " أنيس الغريب والمسافر " لمسلم بن عبد القادر ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1974 ، ص ص : 33 ، 42 .

- د. سعيدوني : المرجع نفسه ، ص : 470 ، 473 .

الأدبية ، عُرف بمؤلّفـه " خاتمة أنيس الغريب والمسافر في الطرائف والنّوادر" هذا التأليف الذي استفدنا منه في معرفة بعض الجوانب من السّياسة التي انتهجها آخر بايات وهران حسن باهي ، ومن استخلاصه للنتائج التي آلى إليها الحكم العثماني في الجزائر لاسيما وأنّه عايش الإحتلال الفرنسي وعرف نهاية حكم الباي حسن ، فأرجع ذلك إلى ظلم الحكام وابتعادهم عن الحق ومجانبتهم للعدل .

ـ **حمدان بن عثمان خوجة** : (1) ولد حوالي سنة 1189ه/ 1773 م بالجزائر ، فعاصر بذلك الفترة الأخيرة من الوجود العثماني ، والسنوات الأولى للإحتلال . ألّف" المرآة " و " اتحاف المنصفين" عرف بثقافته الواسعة واطلاعه الكبير لكنّه كان ميّالاً للتجارة مما أتاح له فرصة الإطلاع أكثر على عدد كبير من دول أوربا والعالم العربي والإسلامي ، توفي بالقسطنطينية سنة1261هـ/1845م بعدما أدّى واجبه في الدّفاع عن وطنه بكل ما كان يملكه من ثقافة ونباهة وحنكة سياسية ضد الإحتلال الفرنسي استفدت من تآليفه في معرفة الكثير عن العثمانيين ، سياستهم ، جهادهم ، علاقتهم بالسكان ...الخ

ـ **ابن العنابي محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري:** (2) ولـد سـنة1189هـ ـ/1775م بمنطقة عنابة بالجزائر، عاش عمراً حافلاً بالإنتاج العلمي ، والإضـطراب السّياسـي ، تـولى وظيفة القضاء الحنفي في عهد الداي أحمد (1220هـ ـ1805م/1223هـ 1808م) ، وفـي عهـد الداي علي خوجه (1232هـ/1817م) ، وفي عهد الداي حسين (1233هـ/ 1818م) . كمـا كلّفـه الداي عمر بسفارة للمغرب الأقصى لدى السّلطان سليمان ، إثـر تعـرّض الجزائـر لقصـف الأسطول الإنجليزي سنة 1232هـ1816 م . ومع احتلال الجزائر سنة 1830 م نُفي ابن العنابي

---

(1) أنظر د.سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص : 487 ، 495 .

ـ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، المرجع السابق ، ص ص : 32 ، 42 .

ـ محمد بن عبد الكريم : " اتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس عن الوباء " لحمدان خوجة ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1968 ، ص ص : 11 ، 15 .

ـ د. العربي الزبيري : مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة وبوضربة ، ش.و.ن.ت ،الجزائر1973 ، ص ص : 133، 140.

ـ **الزركلي :** المرجع السابق ، ج 2 ، ص : 274 .

(2) أنظر سعد ا : المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي 1775 ـ 1850 ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1977 ، ص ص : 11 ، 30 .

من الجزائر حيث انتهى به المطاف إلى مصر التي أقام بها إلى أن وافته المنّية سنة 1267هـ/ 1850 م . من أهم آثاره " السّعي المحمود في نظام الجنود " . أفادنا بوصفه للعثمانيين والدّور الذي قدّموه في الحفاظ على الشريعة الإسلامية .

ـ **الحاج أحمد المبارك بن عمر بن أحمد بن محمد العطار القسنطيني**(1)**:** ولد بقسنطينة حوالي 1204 هـ /1790 م ، وقضى طفولته بميلة عند أعمامه بني العطار حيث درس مباديء الفقه والعربية بزاويتهم العائلية ، ثم انتقل إلى قسنطينة لتلقي العلم بها على بعض شيوخها المشهورين منهم : الشيخ عمار الغربي ، وعمار الميلي ، ومحمد العربي بن عيسى ، والشيخ العباسي الذي تأثّر به كثيراً .

اشتغل الحاج أحمد المبارك بالتجارة في شبابه ، وكان يتردّد على تونس للتّزود بالبضائع ، وبعد أدائه فريضة الحج استقر بقسنطينة وتولى التدريس بالجامع الأعظم خلفاً لشيخه العباسي بعد وفاته ، ثم أُسند له الإفتاء المالكي بعد وفاة محمد العنابي ، وعُيّن عضواً بالمجلس الشّرعي الإسلامي بقسنطينة ، وتولى أثناء ذلك مُهمة التعليم بالمدرسة الحكومية تحت إدارة الشيخ محمد الشاذلي ؛ كما كان منتسباً وفياً للطّريقة الحنصالية التي أدخلها إلى قسنطينة الشيخ أحمد الزواوي. توفي الحاج أحمد المبارك في مستهل رجب 1287هـ / 05 أكتوبر 1870 م . وصفه الحفناوي في " تعريف الخلف برجال السلف " بأنه " وقّاد القريحة ، بديه الإدراك ، واسع الفكر ، عريض الفهم " . ترك مجموعة من المؤلفات منها : ـ حاشية على منضومة الشيخ عبد الرحمان الأخضري " الجوهر المكنون في الثلاثة فنون " ـ " سلم الوصول في الصلاة على الرّسول " ـ " تاريخ حاضرة قسنطينة " ، هذا الكتاب الذي أخذت عنه بعض ما ذكره عن ثورة الشريف ابن الأحرش .

ـ **أحمد الشريف الزهار :** (2) ولد بمدينة الجزائر عام 1196 هـ 1781 م وتوفي بها عام1872

---

(1) أنظر الحفناوي ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص ص : 326 ، 327 .

ـ الزركلي : المرجع السابق ، ج 1 ، ص : 246 .

ـ د. سعيدوني : المرجع السابق ، ص : 509 .

(2) أنظر د.سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص : 515 ، 517 .

ـ أحمد توفيق المدني : مذكرات أحمد الشريف بالزّهار نقيب أشراف الجزائر ، ش.و.ن.ت، الجزائر 1980 ، ط 2 ، ص ص : 9 ، 10.

حيث عاصر أواخرالحكم العثماني، وبداية الاستعمار الفرنسي، وعرف بعلمه وسعة اطلاعه، قاوم الإستعمار الفرنسي بمصاحبة أحمد باي ، ثم الأمير عبد القادر ، ثم عاد من المغرب الأقصى إلى الجزائر ليتسلّم نقابة أشراف الجزائر ، معتكفاً على الكتابة والتأليف ، جامعاً مختلف أخبار الجزائر خلال العهد العثماني في مذكرات خاصة ؛ وباعتباره عايش المرحلة الأخيرة من وجودهم ، فقد أفادني في التعرّف على جوانب متعدّدة من السّياسة التي انتهجوها كالجهاد والتعمير والجدية في تنفيذ المهام ، وتداول السلطة...الخ

ـ صالح بن محمد العنتري[1] **:** عاصر العقود الأخيرة مـن الحكـم العثمـاني للجزائـر ، والعقودالأولى من الاستعمار الفرنسي ، ولد بقسنطينة في أوائل القرن التاسع عشر مـا بـين 1205 و 1215 هـ/ 1790 و1800 م وتوفي بها بعـد سـنة 1293ه/ 1876 م ، فـي نهايـة الثمانينات من القرن 19 م .

ينتمي العنتري إلى عائلة عريقة اشتهرت بالإشتغال بوظائف الكتابة والمهام الإدارية ، كما اشتغل هو بوظيفة الكتابة بالمكتب العربي الذي أنشيء بقسنطينة لمّا احتلها الفرنسيون برتبة خوجة الدائرة تلقى صالح العنتري تعليمه على أيدي شيوخ أجلاء ، اشتغل مدّة بالتدريس ثم تولى القضاء وعُدّ من مجموعة علماء قسنطينة وأعيانها الذين شاركوا في رحلة باريس عام 1844 م .

اشتهر صالح العنتري بكتابين هما : " فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة .." و" مجاعات قسنطينة ". أفادني في معرفة الكيفية التي دخل بها العثمانيون مدينة قسنطينة والنهج الذي سلكوه في ضمها إلى السّلطة المركزية بالجزائر، من خلال مؤلفه الأول ، كما أفادني في أخذ لمحة عن الوضع الإقتصادي للجزائر عموماً وإقليم قسنطينة خصوصاً إثر سنوات الجفاف ، وما انجرّ عنها ، ومواجهة الحكام لهذه الأزمة من خلال مؤلفه الثاني .

ـ المزاري أبو اسماعيل بن عودة البحثاوي[2] **:** ينتسب إلى أسرة تولّت الوظائف ببايلك الغرب ، فقد عمل أبوه الحاج محمد وعمّ أبيه مصطفى بن اسماعيل وظيفة كاتب"الآغا" لدى **الأمير**عبدالقادر قبل أن ينضما إلى الفرنسيين في شهر شعبان 1251هـ/1835م . ألّف "طلوع

---

(1) أنظر د. سعيدوني : المرجع السابق ، ص : 533 ، 537 .

ـ العنتري : " مجاعات قسنطينة " ، تحقيق : رابح بونار : ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1974 ، ص ص : 5 ، 7.

(2) أنظر د. سعيدوني : المرجع السايق ، ص ص : 568 ، 570 .

ـ المزاري **:** " طلوع سعد السعود " ، تحقيق د . يحي بوعزيز ، د.غ.إ ، لبنان 1990 ، ج1 ، ص : 7 .

سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخرالقرن 19م " .

توفي المزاري بعد عام 1315هـ-1897 م ؛ أفادني من خلال حديثه عن سياسة الحكام العثمانيين في الجزائر، وخاصة بايات الإقليم الغربي المتأخرين ، باعتباره من أبناء المنطقة عاش وتولّى المناصب وتوفي بها .

- الزياني محمد بن يوسف البرجي[1] : ينتسب إلى برج عياش (برج ولد المخفي بناحية معسكر) ينتمي إلى أسرة علم ، اشتهر منها عمّه العالم أحمد بن يوسف الذي كان على صلة بالباي ابراهيم الملياني (1170هـ-/1750 م) . تعلّم الزياني بمسقط رأسه وتولّى منصب القضاء بالبرج سنة 1278ه/1861 م ، ثم انتقل إلى وادي تليلات سنة 1883 م ، ثم استقرّ نهائياً بسيق مع أسرته حتى وافته المنية في الربع الأول من القرن 13هـ أي بعد 1320هـ-/1902 م .

خلّد لنا الزّياني تأليفاً هاماً عنوانه " دليل الحيران وأنيس السهران في أخبارمدينة وهران " والذي أفادني بالتعرّف أكثر على الظّروف التي عاشتها هذه المدينة خاصة ما تعلّق منها بالفترة الأخيرة من الحكم العثماني.

- الشقراني أحمد بن عبد الرّحمان الرّاشدي[2] : من قبيلة بني شقران القاطنة ما بين غريس ومستغانم بالناحيّة الوهرانّية ، مكث مدّة بمدينة معسكر حيث تلقى العلم على بعض الفقهاء بهافي النصف الثاني من القرن 13هـ-/19م .

ألف " القول الأوسط في أخبارمن حلّ بالمغرب الأوسط " في نهاية التسعينات من القرن 19 م وذلك بذكره لوفاة الأمير عبد القادر 1883 ، وتسجيله لثورة بوعمامة 1864-1904م ؛ توفي سنة 1301ه/1883م . وإن لم يكن الشقراني من المعاصرين للحكم العثماني في الجزائر، فقد ضمّن مؤلّفه الحديث عنهم ممّا دعمنا به بحثنا .

- الحاج أحمد باي[3]: ولد حوالي 1201هـ 1786 م يدعى باسم والدته الحاجة الشريفة ، وهي من أسرة ابن الشريف بن قانة المعروفة في الصحراء، وأبوه محمد الشريف خليفة حسن باي

---

(1) أنظر د. سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص : 588 ، 592 .

- المهدي البوعبدللي : " دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران " للزياني ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1979 ، ص ص : 6 ، 8 .

(2) أنظر د. سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص : 543 ، 546 .

(3) أنظر د. العربي الزبيري : المرجع السابق ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1973 ، ص ص : 5 ، 7 .

الذي تولى الحكم بعد صالح باي المتوفي سنة 1207هـ 1792 ، أمّا جدّه فهو الباي أحمد القلـي الذي حكم قسنطينة مدّة ست عشرة سنة ابتداء من عام 1169هـ 1755 . نشأ أحمد باي في بيت أخواله ، فشبّ على حياة البداوة ، وتعلّم الفروسية ، عيّن خليفة الباي وهو لم يتجاوز الثلاثـين من عمره ، ثم باياً على قسنطينة سنة 1242هـ ـ 1826 م وأبدى فيه مهارة كبيرة ، وتمكن مـن البقاء فيه اثنتين وعشرين سنة على الرّغم من المشاكل والمحن . ترك لنا مذكراته التي تعتبـر بحق مصدراً هاماً للباحثين في تلك الفترة من تاريخ الجزائر ، اطّلعت من خلالها على الظّروف التي كانت تعيشها الجزائر قبيل وأثناء الغزو الفرنسي . كما استثمرت بعـض رسـائله الـى القائمين على إقليمه في بحثي ، خاصة ما تعلّق منها بالتعامل مع النصارى المسيحيين ، وتثبيت امتيازات المرابطين .

ـ **الأمير محمد بن عبد القادر بن محي الدين الجزائري**(1) **:** ولد بالقيطنة الواقعة على وادي الحمّام بالقرب من مدينة معسكر بالغرب الجزائري سنة 1256هـ/1840م ، وتوفي في سنة 1331هـ/1913م

اشتهر الأمير محمد بكتابه " تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر " الذي انتهى منه عام 1307هـ/1890م .

أخذنا من مؤلفه نظرته الى العثمانيين في الجزائر ، خاصة ما تعلّق منها ببعض المواقف التي اشتهروا بها كالجهاد ؛ حتى وإن لم يكن معاصراً لوجود هم فقد كان قريبًا منه ، ونظرته ذات أهمية في تقديرنا .

---

(1) أنظر سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص : 603 ، 606 .

ـ الأمير محمد : " تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر " تحقيق : ممدوح حقي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان 1964 ، الطبعة الثانية ، ص : 4 .

ـ الحفناوي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص : 193 .

ب ـ المصادر الإسلامية الملحقة بالمحلية :

أخذت عن الكثير من أولئك الذين نزلوا بالبلاد الجزائرية في طريقهم إلى بلدان أخرى، أو في طريقهم لأداء فريضة الحج ، أو أقاموا بها طلباً للعلم ومن هؤلاء :

ـ **الوزّان الحسن بن محمد الفاسي**[1] المعروف بـ " ليون الإفريقي" ولد بغرناطة قبيل سقوطها، حوالي 893هـ/ 1488م ، هاجر صغيراً مع أسرته إلى فاس إثر سقوط غرناطة ، شبّ فيهـا وتلقى تعليمه بمدارسها ، ساعدته مكانة أسرته المرموقة أن يشتغل كاتباً موثوقاً في مستشـفى فاس لمدّة سنتين ، وهذا ماتمّ فيه حُب الإطلاع ، كما قام برحلة إلى تومبوكتو مع عمّه وهـو في 17 من عمره ، وقد ساعده في مهمّته الصّعبة خدماته السّابقة لحاكم فاس ، شـجّعته هـذه الحياة على القيام بأسفار أخرى . ترك العديد من المصنّفات منها القاموس العربي ، عبـري لاتيني ، و "مختصر تاريخ الإسلام" و " مجموع شعري " في الوعظ والزهد ، و له رسالة باللاتينية في " تراجم الأطباء والفلاسفة العرب " وكتاب " وصف إفريقيا " الذي أفـادني مـن خلال الأوصاف التي رسمها الوزان لكثير من المدن الجزائرية التي حلّ بها ، وحديثـه عـن قدوم خير الدّين وعروج للجزائر ومواجهتهما الأولى للإسبان باعتباره عايش تلك الأحداث . توفي الحسن الوزان سنة 944هـ/ 1537 م .

ـ **التمقروتي أبو الحسن علي بن محمد بن علي**[2] **:** ينتسب إلى قرية تمقروت بوادي درعة بالمغرب الأقصى ، ولد حوالي 1560 م تعلّم بالمغرب وتقلّد مناصب هامّة ورسمية ببلاط مراكش ، كلّفه السلطان السعدي أحمد المنصور بسفارة إلى اسطنبول سنة 1589 فسلك طريق مراكش ، تيطوان ، ثم أبحر نازلاً في طريقه بالمدن الجزائرية، أثناء ذهابه وأثناء عودته ؛ ليسجّل في الأخيرانطباعاته وملاحظاته في كتاب له أسماه : " النفحة المسكية في السفارة التركية " .

توفي التمقروتي بمراكش عام 1003هـ الموافق لـ 1594م ، ودُفن بجانب القاضي عياض.

(1) أنظر د. سعيدوني : المرجع نفسه ، ص ص : 290 ، 295 .

ـ الزركلي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص ص : 217 ، 218 .

ـ أنظر د. أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، الدار العربية للكتاب ، تونس 1997 ، ص ص : 183 ، 184 .

(2) أنظر د. بلحميسي : الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1981 ، ص ص : 16 ، 17 .

أفادني من خلال حديثه عن البحرية الجزائرية والإشادة بها وبأوصافه لأرض الجزائر التي اعتبرها أفضل بلاد إفريقيا .

ـ **العيّاشي أبو عبد ا بن محمد بن أبي بكر العياشي المالكي**[1]**:** ولد بقبيلة آيت عيّاش قرب تافيلالات بالمغرب الأقصى في آخر شعبان 1037 هـ الموافق لـ 4 ماي 1626 م ، قرأ على أبيه الذي كان يشرف يومئذ على فرع للزّاوية النّاصرية ، ثم قصد رباط وادي درعة فأخذ عن الشيخ أبي عبد ا محمد ابن ناصر ، الطريقة الصّوفية ، ثم انتقل إلى فاس حيث تلقّى العلم عن خطيب جامع الأندلس حمدون الأبار ، وعن الشيخ محمد ميارة ، والعالم عبد الرّحمان بن القاضي ، وبالأخص عن الشيخ الذائع الصّيت عبد القادر الفاسي الذي أجازه في منتصف شعبان 1063 هـ / 1653 م ، ثم انتقل إلى المشرق ليقضي به عدّة سنوات من عمره ويقيم بعواصمه طلباً للعلم ، فتنقّل عبر مصر وجاور الحرمين الشّريفين ، وزار القدس ، فلقي العلماء وأخذ عنهم وألقى الدّروس، ومن الأئمة الذين جالسهم واستفاد منهم في المشرق ، الشيخ علي الأجهوري ، والشيخ أبو مهدي التعالبي والشيخ أبو اسحاق الشهرزوري الشعراني .

للعياشي تآليف مختلفة منها منظومة في بيوع ابن جماعة وشرحه ، و" تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية " ، وكتاب " الحكم بالعدل والإنصاف لرفع الخلاف فيما بين فقهاء سجلماسة من الإختلاف " وكتاب " اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر" وتأليف " تحفة الأخلاء بأسانيد الأجلاء " ومؤلّفه " ماء الموائد " الذي نقل فيه ما شهده وسمعه أثناء أسفاره ، ومن ذلك ما كتبه عن الجنوب الجزائري ، فأفادني بمعرفة الأحوال التي كانت عليها بعض المدن التي مرّ أو أقام بها . توفي العيّاشي بالمغرب الأقصى سنة 1090هـ الموافق لـ 1680 م بسبب الطاعون الذي تفشى بالمنطقة التي كان يقيم بها .

ـ **ابن أبي دينار ا محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني**[2]**:** عاش في النصف الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة ، تلقى تعليمه بالقيروان ثم بتونس ، فأخذ عن بعض شيوخها أمثال ابن الشيخ محمد فنانة ، وأبي الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري ، وقد تولى القضاء

(1)أنظر د. بلحميسي : نفس المرجع ، ص ص : 17 ، 18 .
ـ سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص : 376 ، 379 .
(2) أنظر الناشر لكتاب " المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس " ، دار المسيرة ، بيروت ، لبنان 1993 ، ط 3 ، ص ص : 7 ، 10.
ـ د.سعيدوني : المرجع نفسه ، ص ص : 383 ، 386 .

بسوسة والقيروان في أواخر القرن 11هـ ومطلع القرن 12هـ ، ولا يعرف تاريخ وفاته إلاّ أنّ المصادر تذكر أنه كان حياً يرزق حتى سنة 1115هـ/ 1703 م . عرف ابن أبي دينار بعلمه الغزير واطلاعه الواسع ، اشتهر بكتابه " المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس" الذي سجل فيه الأحداث التي عرفتها تونس وبلاد إفريقيا . وقد أخذت منه ما تعلّق بتدخل الجزائريين في إصلاح ذات البين إثر حرب ضروس دارت بين الأخوين : أبو الحسن علي باي ، وأبو عبد ا محمد باي على تولّي السّلطة في تونس .

ـ **الوزير السّراج محمد بن محمد بن أحمد بن مصطفى الأندلسي المشهور بالسراج**[1] : ولد حوالي 1070هـ/1659م ، نال جلّ ثقافته من جامع الزيتونة على مشايخ كبار أمثال علي الغماد ، ومحمد فنانة ، وسعيد الشريف وغيرهم ؛ يصفه أحمد برناز بقوله " أخونا فريد العصر في الأدب ، ونسيج الوحد اذا كتب ، الحائز قصب السبق في المنظوم والمنثور ، وهو في ذلك علم عصرنا المشهور .

اشتغل السراج بالتدريس ، قرّبه الأمير حسين بن علي واختاره لتأليف" الحلل السندسية " ، فالتدريس بجامع الزيتونة ، ثم القيام على مرتبات المدرسين ، ثم دعوته إلى مرافقته في بعض أسفاره ، واستدعاء مجالس العلماء للإستماع إلى ما أتمّ تأليفه من كتاب الحلل ، والإفاضة عليه بالعطايا ، توفي سنة 1149هـ/1736م .

أخذت عنه ما تعلّق بالخلافات التونسية الجزائرية التي عايشها ، والتي كثيراً ما كانت تنتهي بالحروب بين الطرفين .

ـ **ابن زاكور أحمد الفاسي أبو عبد ا محمد بن القاسم**[2] : ولد بفاس في منتصف القرن السابع عشر الميلادي ، وأقبل منذ حداثة سنه على طلب العلم ، فأخذ عن جماعة من أفاضل الشيوخ أمثال عبد القادر الفاسي ، ومحمد المهدي الفاسي ، وعبد السلام القادري ، والحسن اليوسي ، والقاضي أبي عبد ا محمد بن أحمد القسنطيني ، ثم قصد مدينة تطوان حيث استفاد من العالم الجليل أبي الحسن علي بن محمد البركة ، ثم انتقل الى مدينة الجزائر فأخذ عـن فقيهها أبي محمد بن أبي عثمان سعيد قدورة الذي أجازه في العشرة الأولى من رجب 1094 ه

---

(1) أنظر محمد الحبيب الهيلة : " الحلل السندسية " للسراج ، 3أجزاء ، د.غ.إ ، بيروت ، لبنان 1985 ، ط1 ، ج1 ، ص ص : 67 ، 93 .

(2) أنظر د. بلحميسي : المرجع السابق ، ص ص : 19 ، 20 .

الموافق لـ 1683 م ، اشتغل طوال حياته بتأليف الكتب ، ومن ضمنها " ديوان وشرح لجملـة من المتون المنضومة والقصائد السائدة ، كما ألّف " الإستشفاء من الألم بذكرى آثـار صـاحب العلم " ، وألّف كتيب تاريخي سماه " المعرب المبين عما تضمنه الأنيس المطـرب وروضـة النسرين " كما دوّن رحلته " نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتيطـوان " والتـي أفادني من خلالها بالأوصاف التي رسمها لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، والمكانة التـي كان يحظى بها العلماء ، والدّور الذي كانوا يلعبونه في نشر العلم والثقافة . توفي ابن زاكـور في 20 محرم 1120 هـ الموافق لـ 11 أفريل 1708م .

ـ **الجامعي عبد الرحمان**(1) **:** ولد بمدينة فاس المغربية سنة 1087هـ/1676م انتقل إلى الجزائر حيث اشتغل في تلمسان بتدريس مادتي النحو والبيان ، وفي مدينة الجزائر كتب شرحاً على أرجوزة الحلفاوي في فتح مدينة وهران الأول أيام الداي بكداش ، كما صدرعنه الشعر الرائع، والترسيل البليغ بمناسبة هذا الفتح الذي تمّ في أوائل عام 1119هـ/1707م ، ثم انتقل إلى تونس عام 1122هـ/1711م مستقراً بها ، متصدراً للتدريس بجامع الزيتونة إلى أن وافته المنيّة على أرضها .

نشأ في طلب العلم عن والده ، وعن غيره من مشايخ العصر ، وحصل على علوم شتى ، فأخذ النحو عن الشيخ عبد الرحمان بن علي بن عمران الفاسي ، ولازم الشيخ محمد العراقي ، وسمع من الشيخ محمد الكماد القسنطيني فأخذ عنه أبواباً من مختصر خليل ، وأخذ صحيح البخاري عن الشيخ محمد بن سلمان الأندلسي .

ترك الجامعي مجموعة من التآليف نذكر منها : " شرح أرجوزة الحلفاوي " و " التاج المشرق " و " نظام الدرر المديحية في محلسن الدولة الحسينية "

استفدت من بعض قصائده التي نظمها في فتح وهران الأول ، وما أشاد به من انجازات بعض الحكام العثمانيين في الجزائر .

---

(1) أنظر محمد المنوني : عبد الرحمان الجامعي الفاسي حمل راية الأدب على مستوى المغرب الكبير ، مجلة الأصالة ، إصدار و.ت.أ.ش.د ، الجزائر 1975 ، ع 24 ، ص ص : 167 ، 184 .

ـ محمد بن ميمون الجزائري : " التحفة المرضية في الدولة البكداشية " ، تقديم وتحقيق : محمد بن عبد الكريم ، ش.و.ن.ت، الجزائر 1981 ، ص ص : 184 ، 187 .

ـ الزركلي : المرجع السابق ، ج 3 ، ص : 313 .

ـ **أحمد برناز** [1]: هو من أسرة تركية الأصل ، ولد بتونس عام 1664 ، وتوفي بها عام 1726 ، طاف برناز ببعض مناطق الجزائر منها عنابة ، وقسنطينة ، وزواوة ، ومدينـة الجزائـر؛ كتب " الشهب المحرقة " التي ضمّنها الحديث عن شعبان باشا وسياسته على وجه الخصوص ، فأفادنا بنظرته المتذمرة عن هذا الحاكم ، وانتقاد تصرّفاته ، والتشكيك في سلوكاته.

ـ **عبد الرحمان بن حسن الجبرتي**[2] : ولد سنة 1168 هـ/1754م وتـوفي سـنة 1237هـ ـ/ 1822 م. مؤرخ مصر ومدوّن وقائعها ، ولد في القاهرة ، وتعلّم في الأزهر ، خلّد تأليفاً هامـاً عنوانه " تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار " المعروف " بتاريخ الجبرتي " .

أفادني بما كتبه عن البحرية الجزائرية وقدرات الجزائريين الجهادية ، وكذا إشـادته بولـوع بعض الجزائريين بطلب العلم واقتناء كتبه .

ـ **ابن أبي الضياف أحمد بن عمر بن أحمد بن نصر**[3] **:** ولد بتونس سنة 1217هـ/ 1803م وتوفي بها في17 شعبان 1291هـ/29أكتوبر 1874 م بعد أن اعتلى عدّة مناصب منها الكتابة ببيت الخزنة (المؤتمن على أموال الدّولة) ، كُلّف بسفارة إلى اسطمبول سنة 1246هـ/1830 م ، كما عُيّن كاتب سر أحمد باي منذ تولّى هذا الأخير الحكم في 1253 هـ/1837 م ، عُيّن عضواً بارزاً في مجلس عهد الأمان ما بين 1855 و 1858 م ، ثم عيّن في رتبة أمير أمراء ، وعيّن رئيساً للمجلس الوقتي سنة 1277هـ/1861 م .

أفادني بحديثه عن الظّروف التي أحـاطت بانضمام الجزائر للدولة العثمانية ، وسرده لبعض الحوادث الدّامية التي وقعت بين الجزائر وتونس .

ـ **الزياني أبو القاسم بن أحمد بن علي بن ابراهيم** [4] : رحّالة وأديب ووزير مغربي ، ولد بمدينة فاس سنة 1147ه الموافق لـ 1734م / 1735 م ينتسب الى قبيلة زيان من أهل الأطلس المتوسط؛ نشأ أبو القاسم بفاس وبها حفظ القرآن واشتغل بطلب العلم بجامع القرويين، وجامع الأندلس ، ومدرستي الصهريج والعطارين ، على شيوخها أحمد بن الطاهر الشرقي ومحمد بن

---

(1) أنظر سعد ا : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، جزءان ، م.و.ك ، الجزائر 1986 ، ج2 ، ص ص : 321 ، 327 .
(2) أنظر الزركلي : المرجع السابق ، ج 3 ص : 304 .
(3) أنظر د. سعيدوني : المرجع السابق ، ص : 523 ، 526 .
ـ **الزركلي :** المرجع السابق ، ج 1 ، ص : 138 .
(4) أنظر د. بلحميسي : المرجع السابق ، ص ص : 20 ، 22 .
ـ د. سعيدوني : المرجع السابق ، ص : 476 ، 481 .

الطيب القادري ، وعبد القادر بو خريص ، وبوجه خاص على الفقيه الجليل أبي حفص عمر الفاسي. زارالبقاع المقدّسة حاجاً مع أبويه بعدما أتمّ دراسته سنة 1169 هـ / 1755 م مروراً بمصر ثم عادوا عن طريق ليفورن فمرسيلسا فبرشلونة فجبل طارق ومنه الى تطوان ثم الى فاس . في عام 1200هـ/1786 م أرسله السلطان محمد بن عبد ا في سفارة الى الأستانة لتقديم مكاتيب وهدايا للسّلطان العثماني ، وقد استغرق مقام الزياني بالاستانة مائة يوم ، عاد بعدها الى وطنه بعد تنفيذه لمهمته وتمثيله لبلاده أحسن تمثيل ؛ فلمّا تولى اليزيد الحكم لم يكن راضياً عنه فأدخله السجن الى أن تولى المولى سليمان الحكم وكان يعرف كفاءته فولاّه على وجدة ونواحيها، فتوجه اليها الزّياني مكرهاً ، ومنها توجّه الى وهران، ثم تلمسان ، ونزل بجوار ضريح أبي مدين ، بالعباد ، حيث بقي ستة ونصفاً مشتغلاً بالمطالعة والتقييد . عزم على زيارة الأستانة وبلاد الشرق ليجدد العهد بتلك الدّيار ، فتوجه الى وهران ، ثم الى الجزائر فقسنطينة ، فتونس فمصر ، وبعد مكوثه مدّة بالأستانة عاد الى الجزائر ومنها الى المغرب بإلحاح من السّلطان الذي كلّفه بعدة مهام قام بهاعلى أحسن حال .

ترك الزياني عدداً من المؤلفات نذكر منها :

- الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب .
- البستان الظريف في دولة أولاد علي الشريف وقد سمّاه الرّوضة السليمانية .
- الدّرة السنية الفائقة في كشف مذاهب أهل البدع من الخـوارج والـروافض والمعتزلـة والزنادقة - ألفية السلوك في وفيات الملوك .
- السلوك فيما يجب على الملوك .
- رحلة الحذاق لمشاهدة البلدان والآفاق .

أما أهم كتب الزياني فإنّها " الترجمانة الكبرى " التي انتهى منها عام 1233هـ/1818 م وكان له من العمر 86 عاماً ؛ جمع الزّياني في كتابه هذا أوصاف ما شهده في رحلاته الثلاث من الأمصار والبحار ، وأخبار من لقّيه من السّادات وذوي العلم والجاه ؛ وعنوانه الكامل هو : " الترجمانة الكبرى من الأمصار والمدن والقرى والقفار والبحار والجبال والأنهار والعيون والمعادن والآبار وغير ذلك من عجائب الحيوانات والأحجار وما يؤيّد ذلك من التفسيروالآثار ونوازل الفقه وشواهد الأشعار " ، وأثناء إقامة الزّياني ببعض المدن الجزائرية ونزوله ضيفاً عند محمد الكبير ، خلّد ملاحظاته في " الترجمانة الكبرى" فأفادني ذلك من خلال إبرازه لخصال عض الحكام العثمانيين في الجزائر ، والإشادة بانجازاتهم. توفي الزياني سنة 1249 ه/ 1833 م.

ج ـ المصادر الغربية الملحقة بالمحلية :

أخذت عن بعض الذين أقاموا بالجزائر خلال الحكم العثماني لها ، سواء كانوا سفراء أو قناصلة أو أسرى حرب أو رحالّة .

منهم: ـ **ديغو دي هايدو**(1) **Diego de Haedo** : وهو راهب بنديكتيني كان سجيناً بالجزائر خلال 1578ـ1581 . أهم ما كتبه: **Histoire Des Rois D'Alger** ـ

ـ**Topographie et Histoire Gènèrale D'alger**

استفدت منه فيما ذكره عن موضوع الأسرى المسيحيين وتعامُل السّلطات الجزائرية معهم .

ـ **الأب دان**(2) **Le père DAN** : كان من كبار جماعة الثالوث المقدّس ، وفداء الأرقاء ؛ عاش في الجزائر خلال جزء من عشريّة 1630 ـ 1640 .

أهم ماكتبه :" تاريخ بلاد البربر وقراصنتها " Histoire De Barbarie Et de ses corsaire أفادني في اكتشاف نظرته المتطرّفة والمنحازة للعنصر المسيحي ، خاصة ماتعلّق منها بمسألة الأسرى المسيحيين في الجزائر .

ـ **لوجي دي تاسي** (3) **Laugier de Tassy** : كان مسؤولاً في القنصلّية الفرنسّية بالجزائر عام 1724 ، كتب تاريخ مملكة الجزائر : **Histoire du Royaume d' alger** ، فأفادنا بنظرته المعتدلة عموماً في كشف بعض الجوانب التي ركّز عليها الكتّاب الغربيون كمسألة الأسرى ومسألة الضرائب ، وذلك من خلال ردوده عليهم وسرده للحقائق كما عايشها وشهدها بنفسه أثناء إقامته بالجزائر .

ـ **جوزيف مورقان** (4)**:** عاش سنوات طويلة في الجزائر ، وتولى بعض المهام في قنصلية بلاده

---

(1) أنظر د. سعد ا : مؤرخو وكتاب الحوادث ، القرن السادس عشر ، ضمن ترجمته لكتاب جون وولف : الجزائر وأوربا ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 ، ص : 462 .

ـ توبوغرافيا وتاريخ الجزائر العام ، ص 05 .

(2) أنظر د. سعد ا : المرجع السابق ، ص : 462 .

ـ د. بلحميسي : مجلة الأصالة ، إصدار و.ت.أ.ش.د ، الجزائر 1973 ، عدد 14و15 ، ص : 74 .

(3) أنظر د. سعد ا : المرجع السابق ، ص : 462 .

(4) أنظر د. سعد ا : " مدينة الجزائر في كتاب انجليزي قديم " ، مجلة الأصالة ، إصدار : و.ت.أ.ش.د ، الجزائر 1972 ، عدد : 08 ، ص ص : 27 ، 36 .

بالجزائر في عهد القنصل البريطاني العام روبير كول " **COLE** " الذي أقام في مدينة الجزائر أكثر من أربعين سنة ؛ طبع مورقان كتابه " الكـامل في تاريخ الجزائـر " بلندن سنة 1731 ، ويقع في أكثر من 700 صفحة من الحجم الكبير ، وهو في مجلدين : مجلد في تاريخ شمال إفريقيا عامة (بربارية **BARBARY**) من أقدم العصور إلى بداية القرن السادس عشر ، والمجلد الثاني في تاريخ الجزائر خاصة ، من بداية العهد العثماني حتى زمن طبع الكتاب سنة (1731) ويحتوي على جزئين : الأول من قدوم العثمانيين حتى تولي الحاج باشا (1545) والثاني منه إلى بداية القرن الثامن عشر .

كان جوزيف مورقان على اطلاع كبير بأحوال الجزائر وعادات سكانها وتقاليدهم الإسلامية ، وكان يتصل بالمرابطين ويستمع إلى أقوالهم ويتعرّف على علاقاتهم بالسّكان ، وله كتاب عن الإسلام سمّاه " التعريف بالإسلام " **MOHAMETISM EXPLAINED**

أخذت عنه ما تعلّق بحديثه عن قوّة الحكومة الجزائرية في تصدّيها للهجومات الخارجية ، وتفوّق بحريتها .

ـ **شاو** [1] **schaw** : هو راهب انكليزي ، عاش بالجزائر ما يزيد على العشر سنوات خلال القرن الثامن عشر ، أخذت عنه ما تعلّق بجباية الضرائب في الجزائر من وجهة نظره وما كان يعانيه السكان من جرّائها .

ـ **فونتير دي بارادي**[2] **Venture de Paradis** أوفدته فرنسا إلى الجزائر لتسوية خلافات نشبت بينهما في عام 1788 ، فأقام سنتين بالعاصمة الجزائرية ، وكتب عنها المذكرات التي عايشها أثناء إقامته ، فأفادتنا كثيراً في معرفة الكثيرمن الأشياء بشهادة غربية منوّهة بجهود الحكام العثمانيين في الجزائر، سواء ما تعلّق منها بالإنضباط والجدية أوالحرص على الأمن، وقليلة هي مآخذه على الحكام .

ـ **كاثكارت**[3] أسير الداي ، وهو أمريكي وقع في أسر الجزائريين عام 1785 ضمن السفينة الأمريكية

---

(1) أنظر د. سعد ا : رحالة وجغرافيو القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ضمن كتاب " الجزائر وأوربا " ، ص : 466 .

(2) أنظر نفس المرجع ، ص : 468 .

(3) أنظر د. اسماعيل العربي : مذكرات أسير الداي كاثكارت ، د.م.ج ، الجزائر 1982 ، ص ص : 9 ، 10 .

التي كانت تقلّه ، واختيرمع أربعة من رفاقه للخدمة في قصـرالداي ، فـي سـنة 1796 عـاد كاثكارت إلى و.م.أ يحمل معه رسائل تتعلق بصياغة بنود معاهدة للسلام مع الجزائر؛ فأفـادني بشهادته كأسير مسيحي عاش في الجزائرظروفاً معيّنة لم يألفها من قبل .

كما استعرضت نماذج مختلفة من الكتابات الغربية التي شملت الثلث الأول من القرن التاسع عشر إلى غاية الإحتلال الفرنسي 1830 ، أذكر منهم :

ـ الأمريكي **وليام شالر**(1) قنصل أمريكا في الجزائرمابين 1816ـ1824 ، كتب مذكراته فأفادتنا بكثير من الحقائق المطبوعة بوجهة نظره ، وخاصة ما تعلّق منها بسياسة الجزائر الدّاخلية ومع الخارج .

ـ الألماني **سيمون بفايفر**(2)**:** ولد بمنطقة رانهيسن بألمانيا حوالي1810، وقع أسيراً لدى الجزائريين مدة خمس سنوات ما بين 182ـ1830 وعايش عملية الاحتلال الفرنسي للجزائر ونهاية الحكم العثماني ، غادر الجزائر في 16 سبتمبر 1830 ، ووصل الى ألمانيا بعد حوالي شهر ، وفيها نشر مذكراته حول الجزائر تحت عنوان " رحلاتي وسنوات أسري الخمس في الجزائر"عام 1832، فأفادنا من خلال حديثه عن علاقة السّلطة الحاكمة بالسكان ، وكذا بانطباعاته حول بقايا الحكم العثماني في الجزائر .

ـ والألماني الثاني: **شونبيرغ**(3) الذي شارك ضمن الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 ، ولمّا عاد إلى بلاده عام 1832 نشر الملاحظات والإنطباعات التي كان قد كتبها على شكل ذكريات في الجزائر ، تحت عنوان " نظرات على الإحتلال الأخير والتاريخ الحديث للجزائر واستعمارها " فأفادنا بالحيثيات المختلفة لهذه الحملة .

ـ الانجليزي **وليام سبنسر**(4) الذي ألّف كتابه : الجزائر في عهد ريّاس البحر ، معتمداً في مؤلفه على مجموعة من الوثائق الإيطالية والإسبانية والفرنسية والإنجليزية والعثمانية ؛فأفادنا بما كتبه حول السياسة العثمانية في الجزائر ، وعلاقة السّلطة بالسّكان ، وحرصها على الإنسجام معهم .

---

(1) أنظر اسماعيل العربي : مذكرات وليام شالر ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1982 ، ص ص : 5 ، 18 .

(2) أنظر أبو العيد دودو : مذكرات سيمون بفايفر ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1974 ، ص : 1، 6 .

(3) أنظر د. أبو العيد دودو : الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830 ـ 1850 ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1975 ، .

(4) أنظر عبد القادر زبادية : "الجزائر في عهد رياس البحر " لوليام سبنسر ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1980 ، ص : 5 ، 6.

الفصل الأول

نظرة المصادر المحلية إلى السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر

ـ مرحلة ما قبل التحرير الشامل للمواقع المحتلة ـ

918 ـ 1207 هـ/ 1512 ـ 1792 م

تمهيد :

عرفت الفترة **918 ـ 1207هـ / 1512 ـ 1792 م** التي دامت ما يزيد عن قرنين ونصف من الزمن تطورات عديدة في مختلف الجوانب السياسية ، والإقتصادية والإجتماعية .

أ ـ ففيما يتعلّق بما تميّزت به المرحلة من الناحيّة السّياسيّة ، يمكن القول :

انّ المرحلة التي بدأت بتحرير جيجل ، وانتهت بتحرير وهران نهائياً من الإحتلال الإسباني، تميّزت بجهود العثمانيين لتحرير المواقع التي احتلها أو أخضعها الإسبان ، ونجاحهم في طرد هؤلاء من كافّة المدن السّاحلية التي كانت تحت سيطرتهم،والتّصدي للحملات الغازيّة الإسبانية وغيرها، ونجاحهم في إقامة دولة قويّة تصدّت للأخطارالتي كانت تستهدف مدينة الجزائر وغيرها . وقد نال حكامها شهرة ومكانة بين السّكان لما أظهروه من مآثر ، جعلت **صالح العنتري** يصفهم في كتابه بقوله : " اعلم أيها النّاظر في هذا الكتاب المشتمل على ولّاة الترك ، وبعض سيّرهم مع رعيّتهم وأحكامهم ... ذلك أن الأتراك في بدء أمرهم حتى لم يتمكّنوا من الوطن كلّ التّمكن عدلوا بين النّاس ولم يظلموا أحداً ..."[(1)]

ب ـ أمّا ما تميّزت به المرحلة من الناحيّة الإقتصادية ؛ فإنّ العثمانيين خلالها قد اعتمدوا على غنائم البحرية ومداخيلها لدعم خزينة الدولة وتنميتها ، وقد عرف هذا النشاط حيويّة منقطعة النظير خلال هذه الفترة ، وتركوا المجال واسعاً للسّكان في ممارسة الأنشطة الفلاحية والرّعوية والحرفية وغيرها ، مقابل مطالب ضريبيّة تُجبى منهم ، كما عملوا على التّفنّن في بناء المساجد والقصور في مدن كثيرة ، خاصّة تلك التي تمثّل عواصم البايليكات ، كقسنطينة والجزائر ، ومعسكر، والمدّية .

جـ ـ وأمّا ما تميّزت به المرحلة من الناحيتين الإجتماعية والثقافيـة ؛ فهـو تشـكل المجتمع الجزائري من عناصر أصلية عربية وأمازيغية ، ثم انضافت اليها عناصر جديدة وافدة كعنصر الأتراك والأوربيين والسودانيين .

---

(1) فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهاأو(تاريخ قسنطينة) مراجعة وتقديم وتعليق د. يحي بوعزيز ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1991 ، ص : 47 .

ـ أمّا الناحية الثقافية فقد تميّزت باستمرار الثقافة العربية التي بقيت سائدة بالرّغم من دخول الأتراك العثمانيين بلغتهم ومذهبهم الحنفي ، واستمرار المراكز الثقافية الأساسية التي كانت تعمل قبل العهد العثماني في نشاطها، مع ميل بعضها إلى النشاط كالجزائر وقسنطينة ومعسكر، وأخرى إلى الضّمور كتلمسان وبجاية وتنس .

ولابد قبل الدخول في صميم الموضوع أن نتوقف قليلاً عند نقطة مهمّة جداً ألا وهي : دواعي ارتباط الجزائر بالدّولة العثمانية ، والكيفيّة التي تمّ بها ذلك الإرتباط .

1ـ دواعي ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية :

لقد كان للبعد الديني دوره الفعّال في قناعة الجزائريين بضرورة الإستنجاد بالعثمانيين ضد الغزاة الإسبان خلال العقد الثاني من القرن **16م** ، والإنضواء طواعيّة تحت لواء الدّولة العثمانية ، و الإنضمام إلى حضيرتها ، حفاظاً على مقوّماتهم الحضارية الإسلامية ، وخوفًا من التّنصير الذي كان الإسبان يرمون إليه إن هم تمكّنوا من أرضهم ، كما فعلوا بأهل الأندلس ، ممّا يجبرهم على هجرة ديّارهم كما تقتضي بذلك الشّريعة الإسلامية على رأي كثيرمن الفقهاء، وهو ما أثار مخاوف السّكان . فلقد أفتى **الونشريسي** [1] ـ لأهل الأندلس ـ بوجوب الهجرة على كلّ مسلم إذا استولى النّصارى على وطنه ؛ وفحواها : "...إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيّامة ، وكذلك الهجرة من أرض الحرام و الباطل بظلم أو فتنة .... و الواجب الفرار من دار غاب عليها أهل الشّرك و الخُسران إلى دار الأمن والأمان... " [2]

---

(1) هو أبو العباس أحمد بن محمد الونشريسي التلمساني ، صاحب كتاب "المعيار"، المتوفي سنة 914هـ ـ 1508م أ استوطن مدينة فاس ، وواكب فيها على تدريس المدونة ، وكان فصيح اللسان والقلم حتى قيل عنه " لو حضر سيبويه لأخذ النحو من فيه " . تخرج عليه العديد من الفقهاء أمثال أبي زكرياء السويسي ، وأبي بن مليح اللمطي ، والفقيه عبد السميح المصمودي . ترك العديد من التآليف نذكر منها : " التالي على وثائق القشتالي " و" المعيار " و" الفروق في مسائل الفقه " و" الفائق في أحكام الوثائق " . توفي سنة 914 هـ وعمره نحو 80 سنة وكان ذلك يوم الثلاثاء 20 من صفر . (أنظر الحفناوي : تعريف الخاف برجال السلف ، مؤسسة الرسالة ، المكتبة العتيقة ، تونس 1982 ، القسم الأول ، ص ص : 62 ، 63 .

ـ الزركلي : المرجع السابق ، ج 1 ، ص : 269 .)

(2) " أ سنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر " نقلا عن **محمد بن عبد الكريم** : حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1981 ـ ص : 71 .

و يضيف "... ولا يُسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطّاغيّة ـ لعنه ا ـ على معاقلهم و بلادهم إلاّ تصوّر العجز عنها بكلّ وجه و حال ، لا وطـن و لا مـال ، فإنّ ذلك كلّه مُلغى في نظر الشّرع ".[1] و يَستدلّ بالآية الكريمة : " إِن ٱلَّذِينَ توفاهم المَلائكةُ ظَاِلمي أَنْفُسهِمْ قَالُوا : فِيمَ كُنْتم ؟ قَالُوا : كُنَا مُسْتَضعَفين فِي الأَرْضِ ، قَالُوا : أَلَم تَكُنْ أَرْضُ ا واسِعةً فَتُهاجروا فيها ؟ فَأُولئك مأواهم جهنّم و ساءتْ مصيرًا " .[2]

كما استدل بالأحاديث الشريفة و منها قوله صلى ا عليه و سلم : " لا تُسَاكنوا المُشركينَ ولا تُجامعوهُمْ ، فَمَنْ ساكنهم أو جامعهم فهو منهم ".[3]

وكذلك قوله صلى ا عليه وسلم " أنا بريءٌ منْ كلّ مسلم يُقيم بينَ أظهُر الكافرين " .[4]

هذه الفتاوى القائمة على أدلّة شرعيّة ، كان لها الوقع الكبير في نفوس الجزائريين ممّا دفعهم و دونَ تَردّد إلى طلب الحماية منَ الأسطول العُثماني وإنْ تَطلّبَ منْهُمْ ذلك فيما بعد : الإنضمامَ إلى الدّولة العُثمانية ، فكان ذلك أجدى عندهم من حكم النّصارى أو هجرة وطنهم .

ذلك أنهم لم يكونوا قادرين على التّصدي للحملات التي كان يشنّهاالأسبان على مدنهم السّاحلية، ممّا أثار الفزع في نفوسهم ، وصاروا ينظرون إلى مصيرهم بما آل إليه مصير أهل الأندلس الذين تعرّضوا لكل أنواع التقتيل والتعذيب والتنصير ومحاكم التفتيش .

2 ـ انضمام الجزائر للدولة العثمانية :

يرى مؤلف الغزوات ؛ وهو من المؤلفات التي تُثني كثيراً بلْ وتُمجّدُ عروج وخير الدين في مدّ النفوذ العثماني إلى الجزائر ، أنّ بقاء خير الدّين في الجزائر بعد نكبة أخويه عروج وإسحاق ، كان بإلحاح من الجزائريين .

وقد جاء في الغزوات : "... ثم عزم خير الدّين على السّفر إلى الرّوم لأجل الغزو والمواصلة إلى الجهاد ، و جمع أهل الجزائر من العلماء والصّلحاء و قال لهم : " إنّي قد عزمت على السّفر إلى حضرة السّلطان وأمّنت بلادكم من العدو بما تركت عندكم من العدّة ،

---

(1) نفس المرجع : ص 72 .

(2) الآية : 98 من سورة النساء .

(3) رواه البخاري ومسلم و النسائي .

(4) رواه البخاري ومسلم .

لأنّي تركت في بلادكم أكثرمن أربع مائة مدفع ، و لم يكن في بلادكم و لو مدفع واحد ".(1)
فقالوا كلّهم له :" يا أيها الأمير لا تطيب أنْفسنا بفراقك و لانسمحُ لك بذلك ، فا ا أمّة سيدنا محمد فإنّ ا يسألك عنهم . " ، ومن جملة ما خاطبهُ العلماء به أن قالـوا لـه :
" أيّها الأمير ، يتعيّن جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستها و الذّود عن ضعفاء أهلها ، ولا رُخصةَ لكَ في الذّهاب عنهم و تركهم عُرضةً للعدو " .

وحسب المصدر نفسه فإنّ خير الدين ، وضع شروطاً لبقائه ، وافق له عليها أعيانُ الجزائر، وممّا قاله لهم خير الدين : " أنتم رأيتُم ما وقع منَ الملاعين الكافرين ولا يؤمن عواملهم ، و قدْ ظهرَ لي منَ الرأي أن نَصلَ يدنا بطاعة السّلطان الأعظم مولانا السّلطان سليم ، فيمُدنا بالمال و الرّجال و جميعَ ما نحتاجُ إليه منْ آلة الجهاد ، و لايكونُ إلاّ بصرف الخُطبة إليه و ضرب السّكة عليه ".(2) فَرضي أهلُ المدينة بذلك ، و صَوّبوا رأيهُم فيه ، فأمرَهم أن يكتبوا على لسانهم كتاباً إليه يخبرونه بصرف طاعتهم إليه(3) ، وكتب هو أيضًا كتاباً يتضمّن مفهوم كتابهم ، وعيّن أربعة أجفان للسّفر إلى حَضرَة السّلطان ، وقدم عليهم رجلاً اسمه الحاج حسين ، ووجهَ معه هديّةً عظيمةً . فوصلت الأجفان إلى حضرة السّلطان سليم، ونزلوا بتلك الهديّة إلى الوزيرالأعظم ، فأعلم السّلطان بقدومهم وأوصل إليه الهديّة التي قدموا بها ، فقبلها السّلطان ، و أمرَ بإنزالهم إلى دار الضّيافة ، و أجرى عليهم النّفقة ، ووجّه صُحبتهم سَنْجقاً وكتاباًإلى أهل الجزائر بقُبول ما كتبوا إليه، و أنّهُم ممّنْ تَشملهُم عنايتهُ وتَحرسُهم رعايتهُ .(4)

فلمّا وصل الحاج حسين الوزير بكتاب السّلطان سليم إلى الجزائر ؛ استقرّ خير الدّين أميراً بالجزائر منْ قبل السّلطان الأعظم سليم خان ، و صرفَ دعوتها إليه فأمر بذكره على

---

(1) مجهول : غزوات عروج وخير الدين ، تصحيح و تعليق : نورالدين عبد القادر ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر 1934م ، ص : 41 .

(2) أنظر محمد بن عبد الرحمان بن الجيلاني التلمساني : " الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائرحين أغارت عليها جنود الكفرة "مخطوط بالمكتبة الوطنية ـالجزائر ـ يحتوي على16ورقة مكتوب بخط مغربي يوجد تحت رقم 1626 ـ ص : 6 .

(3) أنظر نص رسالتهم الى السلطان العثماني سليم الأول ، وهي بتاريخ أوائل ذي الحجة 925 هـ الموافق لـ أواخر أكتوبر وأوائل نوفمبر 1519 ، والتي قام بتعريبها ونشرها عبد الجليل التميمي في المجلة التاريخية ، العدد 6 ، تونس 1976 ، ص ص : 119 ، 120 .

(4) غزوات عروج وخير الدين ، ص : 42 .

منابرها و ضرب السّكة عليه ...." [1]

أما **حمدان خوجة** وهو ممن عاصروا السّنوات الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر فيقول عن هذا الإنضمام "... أمّا عن حكومة الأتراك ، فإنّ هؤلاء السّكان عندما رؤا أنّ القائد المسلم جاء لنجدة الأندلسيين ، و لمنع الإسبانيين من أنْ يَقتلوهم أو يُغرقوهم ، استقبلوه بالعرفان و الحماس و عيّنوا لهُ القصبة ليتّخذها مقراً ، وبعد حين من ذلك تكوّنت في مدينة الجزائر حكومةٌ قائمةٌ على مبادئ معتدلة ...". [2]

وممّا تقدم يمكن القول :

انّ الجزائر التي كانت تمر بظروف صعبة في العهدين الأولين من القرن 16م/ الثاني والثاث من القرن 10 هـ .

استقبلت طواعية الإخوة بربروس . وكان أهالي مدينة الجزائر أوّل من تقدّم طواعية بطلب الدخول تحت لواء الدولة العثمانية وكان الطلب محل الإستحسان والقبول . من طرف السلطان سليم العثماني ثم من تلى بعده . فاستحكمت العلاقات عندئذ منذ 1519 على الأقل بين الجزائر والدولة العثمانية .

وفي المبحث القادم نحاول التعرف على تلك العلاقات من خلال نظرة المصادر المحلية التي كتبت عنها في تلك الفترة .

---

(1) نفس المرجع : ص 44 .

(2) **المرآة** : تقديم و تعريب و تحقيق د . محمد العربي الزبيري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1982 – الطبعة الثانية ، ص ص : 108 ، 109 .

المبحث الأول

نظـرة الإشـادة والتأييد والإستحسان الى السلطة الحاكمة :

تمثل هذه النظرة المصادر التي حظي أصحابها بمنزلة محترمة ، ومكانة مقربة لدى السّلطة الحاكمة عموماً ، ومن هؤلاء : أحمد ابن سحنون الراشدي ، ابن هطال التلمساني ، أبو راس الناصري ، محمد بن ميمون الجزائري ، عبد القادر المشرفي ، حمدان بن عثمان خوجة ، وغيرهم ممن تفيض مؤلفاتهم بالإشادة والتأييد والإستحسان للدّور الذي كانت تقوم به السّلطات العثمانية في الجزائر طيلة الفترة التي سبقت التحرير الكامل للمواقع التي كانت محتلة من طرف الإسبان ، وما تميّز به حكامها من مواقف إيجابية في غالب الأحيان خاصّة تجاه القضايا التي تتعلّق بوجود الأمة ومصيرها .

ويفهم ممّا ورد في مؤلفات من تقدّم ذكرهم ، أنّ نظرات إشادتها واستحسانها للسلطة العثمانية التي كانت تحكم في الجزائر تعود الى مجموعة من العوامل يمكن تلخيصها فيما يلي:

1 ـ ارتباط الوجود العثماني في الجزائر بمساعدة الأندلسيين ونقلهم الى البلاد المغاربية .

2 ـ سرعة استجابة العثمانيين لنجدة الجزائريين .

3 ـ ارتباط الوجود العثماني في الجزائر بالجهاد البحري ضد المعتدين من النصارى .

4 ـ الحركة الجهادية المستمرة للعثمانيين في سبيل تحرير المدن الساحليّة الجزائرية من الإحتلال الإسباني ، إلى غاية افتكاك وهران والمرسى الكبير من أيديهم مع مطلع القرن الثالث عشر الهجري و نهاية القرن الثامن عشر الميلادي .

5 ـ المعاملة المتميزة التي حظي بها أعيان الجزائر ومشايخها من المرابطين ورجال الدّين والمثقفين وزعماء القبائل عموماً لدى السّلطة الحاكمة .

6 ـ الجهود المبذولة في مجالات الأمن ورعاية العدل ومحاربة الفساد .

7 ـ عدم تدخل الحكّام العثمانيين في فرض عاداتهم و تقاليدهم و لغتهم ومذهبهم الحنفي على السّكان ، مراعاة للإستقرار والإنسجام والتعايش معهم .

وإذا ما فُصّل القول في هذه العوامل يمكن تناولها على الشّكل التالي :

أ ـ نظرة المصادر المحلية إلى علاقة السّلطة العثمانية بالقوى المحلّية :

يمكن القول ، أنّ العلاقة بين السّلطة الحاكمة والسّكان كانت مؤطّرة بتعامل السّلطة المباشر مع العلماء ، وشيوخ الصّوفية ، و شيوخ القبائل ، هؤلاء كانوا ينقلون أحوال الرّعية ومطالبها إلى الحكام ، ويتدخلون في التوسّط لحلّ ما يحدث من أزمات بين الرّعية والسّلطة . وعلى هذا الأساس ارتأينا التطرّق إلى علاقة السّلطة الحاكمة مع هذه القوى اعتماداً على نظرة المصادر المحلية .

أولاً ـ نظرة المصادر الى علاقة السلطة مع المرابطين و الصّوفية :

إنّ نظرة الدين والمسلمين كان هو المبرر الأول لظهور العثمانيين في المغرب الإسلامي ، فلولا الحروب الصليبية التي شنتها أوربا الغربية بقيادة إسبانيا ضد الجزائر والمغرب الإسلامي عموماً والأندلس ، لما كان هناك مبرّر لتدخل العثمانيين ، فقد كانوا مدفوعين برغبة الجهاد والحماس الدّيني للدّفاع عن حدود الإسلام الغربية ، وكانوا بالطّبع يبحثون لهم عن حلفاء ومؤيّدين ، فوجدوهم في رجال الدّين ، وخصوصاً المرابطين . (1)

فلم يتوان العثمانيون بالجزائر في التقرّب من رجال الطّرق الصّوفية و طلب دعواتهم كلّما أقبلوا على أمر شديد ، و الرّفع من منزلتهم وتجنّب إذايتهم وإغضابهم . لقد كانوا يرون الصّلاح في أشخاصهم و الأمن و السّلامة في صالح دعواتهم .

هذه المكانة التي حظي بها المرابطون و رجالُ الصّوفية من طرف السّلطات العثمانية الحاكمة في الجزائر ، هي التي جعلت الكثير من المصادر تشيد وتنوّه بها ؛ ومن ذلك ما ذكره حمدان خوجة : "... لم يكتف الأتراك بأن فرضوا على أنفسهم احترامَ هؤلاء المرابطين ، وإنّما صاروا يقدّمون لهم أكبرَ الإمتيازات ، وأثمنها ، وصارت أماكن سُكناهم، وضرائحهم ، بعد الموت ، مقدّسة ، كما أن القانون لا يمسّ كلّ منْ لجأ إليها ..." .(2)

لقد كان الحُكّام العثمانيون يتفاءلون بأقوالهم ويستبشرون بها خيراً ، ذلك أنّ بطولات أولئك الحكام والتزامهم بالمباديء الجهادية ، كانت محلّ اهتمام المتصوّفة ومن جهة أخرى

---

(1) أنظر د. أبو القاسم سعد ا : تاريخ الجزائر الثقافي 1500 ـ 1830 ، 8أجزاء ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998 ، الطبعة الأولى ، الجزء الأول ، ص : 460 .

(2) المرآة : ص : 110-111 .

محلّ الإشادة والإستحسان كما نجد ذلك فيما كتبه **القرومي** [1] مخاطبًا به الدّاي محمد بكداش قبل فتحه لمدينة وهران ، وفيه مدح له واطراء وإشادة بخصاله و بسياسته : " الأميرالذي شهدت بإمامته أبرارُ الرّجال ، ووجبت بيعته وطاعته علينا في جميع الأحوال ، فقمنا في نُصحه بالدّعاء له بالنّصح والرّشد في الأفعال ، إمامُ المُسلمين و خَليفةُ رسول رَبّ العالمين ، في أحكام ا وتعظيم شعائره السيّد محمد داي (2) بلُغَة الوقت، والإمام العادل حقيقةَ النّعت، سلامٌ عليكم ورحمة ا تعالى وبركاته ، من محبّكم ، و معظّم جلالكم بالشّرع والطّبع ، أبي زيد محمد عبد الرحمن بن ابراهيم . و بعد : ممّا وَجب إعلامكم ببشائره لعظم قدره و فقد نظائره ، ما أجرى ا بوادر الإلهام ، وتحقيقَ سيرة النّبي عليه السلام **ـ على لسان والدنا ـ** حفظه ا ـ الشيخ المسن بتحقيق إمامتكم، والشهادة بمنصّة جلالكم ، وذلك أنّه أملى علينا لسبعة عشر يومًا خلت من رمضان أبياتًا ، جرت على لسانه بوادر الجبر ، الذي هو نوع من المكالمة والمحادثة في طريق القوم (يعني رجال التصوّف) على بساط المُشاهدة والعلم اليقيني. ونصّ الأبيات التي أملاها علينا هي :

ا أعلم ما أقاســي مــن حــ ـوى عمّن بوهران من ذوي الأحلام
يا أمير جيش قدعليـنا تطـاولـت أيام فتحك لم تحن بتمـ ـ ـ ـام
فانهض بعسكرك العرمرم واستعـن با ينصركم على اللّئـ ـ ـام
فـإذا ظفرت بفتحها أحسن إلـ ـى من كان عندك بالرّضى و مرام
فـا ينصركم ويشكـرُ فعلكُـ ـم و يزيدكم فخـراً لدىالإمـ ـام
و لقد تشوّقت النّفوس لأوبـ ـ ـ ـة السّادات و الأولاد و الكـ ـرام
ثم السّلام على المجاهد حيثمـ ـ ـا وعلى الولّاة من ضيغم وهمـام
وعلى وليّ ا أزكى تحيّـ ـ ـ ـة فعساه يسلمها إلى الإسـ ـ ـلام

---

(1)هو أبو زيد محمد بن عبد الرحمان بن ابراهيم الشهير بالقرومي ، يعرّفه صاحب التُحفة المرضية بما يلي : "العالم ، العلاّمة الدراكة الفهّامة ، الأديب اللافظ، ، العالم العرفاني ، وهو رضي ا عنه رجل من أهل اللسان في التكلم والصبر على التعليم ، يحمل من العلم فنوناً ، ويقتضي منه على الأيام ديوناً ، ويخطب من أنواعه بابداع حفظ ، وحفظ ابداع أبكاراً وعيوناً، قد ارتسم في الولاية تلو أبيه ، وارثاً لمقامه ذلك النبيه ..." (أنظر التحفة المرضية : ص 229 .)

(2) الداي محمد بكداش : (1707-1710)

ثم الصّلاة على النّبي ورهطـــه   وعلى العواتك من ذوي الأرحام[1]

وذكر صاحب التّحفة : " أنّ الأمر كان كما قال هذا الشيخ (ض) و حقّقَ ا أمنيّة الأمير ، فأدركَ طلبهُ منهُ ، فوقعَ هذا الفتح المبين عند استشراف النّفوس إليه ،بتمالؤ **الصّالحين** عليه..."[2]

ويبدو أنّ نظرة هذا المرابط ، إلى الحاكم العثماني وهو يمدحه ، ويحّييه ، ويـدعو لـه بالنّصر والتّوفيق في تخليص وهران من الأسبان ؛ هي نظرة كافّة المتصوّفة ، إلـى الحكّـام طيلة الفترة التي سبقت التحرير الكامل للمواقع المحتلة ، و قد يعود سبب ذلك إلى الإمتيـازات التي كانت تحظى بها هذه الفئة من قبل السّلطة الحاكمة ، لِما كانت تجود به هـذه الأخيـرة عليهم من الهدايا والزيارات والهبات ، بالإضافة إلى التقدير والتبجيل الذي كانوا يلقونه .

ومن ذلك ما حظيت به أسرة الفكون في قسنطينة ، وإن كانت أسرة علم فهي أسرة تصوّف ، نال به الفكون التكريم بإمارة ركب الحجيج لانتسابه الى الطريقة الصوفية الزروقية ، وهذا مقتطف من نص تعيينه[3] : " الحمد ، ليعلم من يقف على هذا الأمر الكريم .... من القواد والعمال والخاص والعام ببلاد قسنطينة ... فإن الشيخ العالم القدوة .... سيدي عبد الكريم الفكون ... ظهر له يتبع طريق إمام التحقيق شيخ الأشياخ العارف با المحقق المتبرك به في الحركة والسكون سيدي أحمد زروق[4] نفعنا ا ببركاته ... آذنا له بضرب الطبل ، ويتوجه بالمسلمين ... للبيت العتيق ... "   **كتب بأمرعبد ا المجاهد في**

سبيل ا أبي الحسن علي باشا ـ أيده ا ـ

بتاريخ أوائل رمضان المعظم عام ثمانية وأربعين وألف[5]

كما تجدر الإشارة الى الإمتيازات التي منحتها السلطة العثمانية للمرابطين في الإشراف على بعض الأنشطة التي تعود عليهم وعليها بالنفع . وللدلالة على ذلك ارتأينا تقديم هذين النصين ؛

---

(1) نقلا عن محمد بن ميمون الجزائري : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تقديم وتحقيق د. محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981 ، الطبعة الثانية ، ص : 231 .

(2) نفس المرجع ، ص : 232 .

(3) نقلاً عن د. سعد ا : شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية ، د.غ.إ ، بيروت ، لبنان 1986، ط1 ، ص ص: 225، 226 .

(4) صاحب الطريقة الزروقية ، فقيه محدث صوفي من أهل فاس بالمغرب ، قرأ بمصر والمدينة ، وغلب عليه التصوف فتجرد وساح ، وكان من المترددين على بجاية وقسنطينة وتلمسان ، وهو دفين ليبيا ، وقد أثرت طريقته في كافة المغرب العربي . (أنظر الزركلي : المرجع السابق ، ج 1 ، ص : 91 .)

(5) 1048ه/1639م .

أولهما خاص بمرابط في ناحية بجاية سنة 1682 ، وثانيهما خاص بمرابط في ناحية جيجـل سنة 1755 .

جاء في النص الأول مايلي : " أما بعد فإن حامله المعظم الفقيه الأجل السـيد الأعلـى البركة السيد عبد القادر ابن المرحوم الولي الصالح القطب الناصح الشيخ البركة سيدي محمـد أمقران نفعنا الله ببركاته . أنعمنا عليه بكافة عرش برباشة الذي هو على ثـلاث فرقـات ... يكون الجميع كلهم زاوية من زواياه ، ويكون كلهم حبساً عليه ، وعلى أعقابه ينتفع بمقـرهم ، وزكاتهم له ، ورفعنا عليهم يد باي لار المحال هذه الناحية الشرقية وعمالهم . "

عن إذن المعظم الأرفع مولانا الدولاتالي الحاج محمد باشا أيده الله بمنه آمين

أواسط شهر جمادي الثاني ثلاثة وتسعين وألف (جوان 1682)

وجاء في النص الثاني : " الحمد لله وحده ، ليعلم من يقف على هـذا الأمـر الكـريم ، والخطاب الواضح الجسيم من القواد والعمال والخاص والعام ، وجميع المتصرفين في الأحوال ، خصوصاً قرية جيجل ، أمّا بعد فإن حامله المعظم الأجل السيد الحاج أحمـد المكـي نجـل القطب سيدي محمد أمقران نفعنا الله ببركاته آمين . أنعمنا عليه وقدمناه مرابط بقرية جيجل ... ولا يتعدى عليه من أهل النوبة ولا من يكسر عليه حرمة ، لا أغا النوبة ولا غيره من سـكان قرية جيجل من العسكر ، هذا كله حرمة منا ... ولوجه جده المذكور ... "

عن إذن المعظم الأرفع مولانا الدولاتلي السيد علي باشا

أواسط شوال ثمانية وستين ومئة وألف (جويلية 1755)

إنّ هذه المنزلةَ التي أنزل الحُكام العثمانيون فيها رجالَ الصوفية والمرابطين شجّعت الكثير من الدّجالين على ابتداع أمورتتنافى مع الشـّرع ولا يقبلـها العقل السلـيم ، حتى يُنْسَبوا إلى الطريقـة الصّوفية ، وينالوا بذلك التقرّب والتقدير الذي تخصّ به السّلطة الحاكمة فئة المتصوّفة ، الشيء الذي جعل بعض العلماء ينتقدون سلوكاتهم ويفضحون تصرّفاتهم المنحرفة والمتناقضة مع حقيقة الصّوفية ، ومن هؤلاء العلماء الشيخ **عبد الكريم الفكون** الذي قال فيهم : " ... أظهروا البدع الشنيعة ....

---

(1) عن شارل فيرو : استغلال غابات خليج بجاية ، المجلة الإفريقية ، السنة : 1868 ، العدد : 12 ، د.م.ج ، الجزائر 1985 ، ص ص : 384 ، 385 .

(2) نفس المرجع ، ص ص : 387 ، 388 .

وطمسوا بترّهاتهم ودعاويهم الكاذبة بصائر العامّة .... فيا وللمسلمين من عصابة جهلة مرقوا من الدّين .... وهجموا على مناصب الأولياء والصالحين ، فادّعوها لأنفسهم حالاً ، ودعوا إليها عباد ا نساء ورجالاً ، يسـوّل لهـ ـ ـم الشيطان أقاويل مزخرفة وأخبار محرّفة فيصيدون بها العامّة وربما سرى سحرهم إلى الخاصّة ، ولم يراقبوا مولاهم ولا علموا ما أمامهم ووراءهم . " (1)

وكان **عبد الرّحمان الأخضري** قد نظّم من جهته قصيدةً طويلةً هاجم فيها المبتدعـة ونقـد انحرافاتهم عن جادّة الصّواب ، بغية فضحهم في المجتمع ، حفاظاً على قداسة التّعاليم الدّينية من التّشويه ، اخترنا منها هذه الأبيات :

وأسفا على الطّريق السّابلـة   أفسدها طائفـة الدّجاجلـة

قد أحدثوا طريقة بدعيـ ـّة   ورفضوا الطّريقة الشّرعية

ياعجباً لرافض الشّريعـ ـة   كيف ادّعى درجة رفيعـة

فكيف يرقى سلّـم الحقيقة   مخالف لسيّـد الخليقـة

لم يقتـدوا بسيد الأنـ ـام   فخرجوا عن ملّة الإسلام

لم يعملوا بمقتضى الكتـاب   وسُنة الهادي إلى الصّواب

وانتهكوا محارم الشريعـة   وسلكوا مسالك الخديعـ ـة (2)

ثانياً ـ نظرة المصادر الى علاقة السلطة مع العلماء و المثقفين :

إنّ من يبحث في انتاج كثير من المؤلفين في العهد العثماني ، وفي نظرتهم إلى الحكام العثمانيين يجد أنّ العلاقة ما بين الحكّام العثمانيين في الجزائر من جهة ، والعلماء و فئة المثقّفين من جهة أخرى ، قد تميّزت بالتّواصل والودّ عموماً ونادرًا ما سادها الفتور .

" إذ كان باستطاعة العالم ونظراً لما يمتلكه من ثقل اجتماعي له امتداداته السّياسية داخل حقـل السّلطة نفسها ، فقد كان بإمكانه أن يسهم إسهاماً أساسياً في تحديد وضبط أهداف السّلطة سواء في مواجهة معضلات الدّاخل أو تحدّيات الخارج ، كما كان بإمكانه عن طريق ما يختص بـه من أدوار تشريعية وقضائية ، أن يُسهم في صياغةِ وتقنين الأطر التشريعية النّاظمة لمباني

---

(1) منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية ، تقديم وتحقيق وتعليق : أبو القاسم سعد ا ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان 1987 ، الطبعة الأولى ، ص ص : 137 ، 138 .

(2)الرسالة القدسية : مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، عدد أوراقه : 49 ورقة ، رقم 2646 ،ص ص : 20 ، 25 .

المجتمع من جهة ، وتولي تنفيذها من جهة ثانية " . [1]

وأوضح المؤرخ سعد الله تلك العلاقة فقال بهذا الصدد : " لقد كان العلماء يمثّلون الرأي العام في الجزائر خلال العهد العثماني ، فهم رغم ترفعهم الطبقي كانوا على صلة بالناس في الدّروس ومجالس الفتوى والقضاء وخُطب الجمعة ونحو ذلك ؛ وكان الناس يثقون في رجال الدّين أكثر ممّا يثقون في رجال السّياسة والحرب ، ولهذه المكانة التي كانت للعلماء كان العثمانيون يقدّرونهم ويخشونهم في ذات الوقت ويتقرّبون منهم ويطرونهم ويمنحونهم الهدايا ، وكانوا أحياناً يلجأون إليهم في موقف تأييد أوغيرذلك ، كما أن العلماء كانوا في حاجة إلى البشوات والبايات طمعاً في مال أو وظيفة ، وقد اشتهربعض الباشوات بتقريبهم للعلماء ومراعاتهم ، إمّا حباً في الدّين والعلم وإمّا طمعاً في تأييدهم ، وإمّا حباً في المدح والثّناء ، وكان عدد هؤلاء الباشوات قليلاً ، ومن هؤلاء القلّة يوسف باشا ومحمد بكداش " . [2]

وممّا يؤكّد ذلك استعراض **العنتري** لأحوال دخول الأتراك بلد قسنطينة ، وكيف كانت من غير حرب ، ولا استعمال سلاح ، مبرزاً الدّور الذي لعبه الشيخ ابن الفكون في تسكين روع السّكان وطمأنتهم ومخاطبتهم قائلا:" هؤلاء الترك قدموامن حضرةالسّلطان العثماني...إذ لايليق بنا مقاتلتهم ولا يسعنا منعهم ... فعند ذلك انقادَ الناسُ واتفقوا(كذا) كل الناس وفتحوا أبواب البلاد ، هذا الوقت دخلوا (كذا) الترك في قسنطينة ... وتكلّموا مع ناسها ...فحينئذ تأنّسوا بكلامهم ، واطمأنوا لجانبهم . كما استعرض في نفس السّياق الرسّالة التي تقدّم بها باشا الجزائر إلى ابن الفكون في نفس الصّدد ، نقتطف منها ما يلي : " سيدي الشيخ بن الفكون أمّا بعد : السلام عليكم .... فقد بلغنا أنّك سِرتَ إلى ناس قسنطينة بالتدبير المفيد ، والرأي الصّائب الرّشيد... فجزاك الله بأحسن الجزاء ، وضاعف لك الخير والثناء ، وما أنت إلاّ حبيبنا وصديقنا... ثم نلتمس منكم دعاء الخير في كلّ خطب ، وزمانَ كلّ ركب. "[3]

كتب بأمر الباشا بالجزائر

---

(1) حسن الضيفة : الدولة العثمانية ، الثقافة ، المجتمع والسلطة ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان 1997 ، الطبعة الأولى ـ ص : 106 .

(2) أنظر تاريخ الجزائر الثقافي 1500 ـ 1830 ، د.غ.أ ، بيروت ، لبنان 1998 ، ج1 ، ط1 ، ص ص : 411 ، 412 .

(3) فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها ، مراجعة وتقديم وتعليق : يحي بو عزيز ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991 ، ص ص : 44 ، 46 .

وممّا تقدم يمكن القول : انّ العلماء كانوا ينظرون إلى الحُكم العثماني في الجزائر علـى أنّه حلقةٌ ضمن حلقات الخلافة الإسلامية التي تصونُ الأمّةَ ، و تحفظها ، و تُـؤمنُ بقاءهـا و دَيمومتها ، في وقت تكالبت فيه القوى الخارجية لإخضاع الجزائر و النّيل منها . و بالتالي كان العلماء الجزائريون يُشيدون بمآثرِ الحُكام العثمانيين ، و يُظهرون انتصاراتِهم ، و جهادِهم ، بل و يقفون في وجه كل ثائِرٍ ضدّهم ، و يوجّهون لهم النصح الصّادق كلّما وجدوا له سبيلاً .

و بالمثل كانت مُعاملة الحكّام لفئة العلماء الجزائريين معاملة طيبة إلاّ ما ندر؛ فقد كانوا يستشيرونهم و يقرّبونهم و يأخذون بآرائهم ، ويطلبون تدخّلهم ومساعدتهم كلّما اشتدّ عليهم أمر من الأمور ؛ وهو ما جعل بعض المؤلفين من عصرهم ينوّهون بذلك ، ويثنون عليهم. وقد بدأت تلك العلاقة في التنامي منذ الوهلة الأولى التي وطئت فيها أقدام العثمانيين أرض الجزائر، وتواصلت إلى مطلع القرن الثالث عشر الهجري أواخرالقرن الثامن عشر الميلادي ؛ وتوطّدت هذه العلاقة كثيراً مع مرور الأيام بين السّلطة الحاكمة والعلماء .

فعندما قامت ثورة ابن الصخري في شرق البلاد ، وتأثرت بهاعنّابة و ضواحيها ، بعث الباشا أبو جمال يوسف (1) برسالة إلى أبرز شيوخ المنطقة الشرقية وعلمائها ، ردًا على رسالته نظراً لمكانته ، ونفاذ كلمته بين الناس ، وهو محمد ساسي البوني (2) طالباً تدخّله لدى الأهالي ، ويشير عليه باستعمال نفوذه الرّوحي لديهم ، ويُعلمه بأنّه ما تخلّى عن حرب الإسبان في وهران إلاّ لأنّ الأحوال في شرق البلاد أوجبت ذلك ، ومما جاء في رسالته : "... هذا وقد انتهى إلينا كتابكم البهيّ و خطابكم الشهيّ و ما احتوى عليه من طلب العفو عمّن ظلم ، والتّجاوز عمّن أساء واجترم ... ولا يَخْفاكُم ما أساؤوا به من فضول الكلام والموجب لتشنيع الملام ، لأنّ من قال مالا ينبغي سمع مالا يشتهي، ومن فعل ما شاء لقي ما ساء ، و قد استوجبوا بفعلهم ذلك الأدب الشّنيع والتّعزير الفضيع **لولا مراقبة ا تعالى في وُجوهكُمْ** ... و الواجب عليكم ـ رضي ا عنكم ـ أن تكونَ أحوالُنا منكم بالبال ، وأن لاتدعونا في زَوايا

---

(1) حكم ما بين 1640 -1642م قامت في عهده ثورة ابن الصخري في شرق البلاد فقاد جيشاً بنفسه ، ومهّد به أمور قسنطينة، وسار إلى بسكرة ، ومنها رجع إلى مدينة الجزائر .

(2) هو محمد بن ابراهيم ساسي البوني من أبرز مرابطي وعلماء القرن الحادي عشر في عنابة ، كان تلميذاً للشيخ طرّاد ، مرابط عنابة و نواحيها ، ثم انفرد هوللفقه والتصوّف ، حتى أصبح كما يقول عنه معاصره الفكون : "كان مسموع القول عند الخاصّة والعامّة " من مؤلفاته " النّور الوضّاح الهادي إلى الفلاح "

لإهمال ، وأنْ لا تنسوا أمّة نبيّكم (ص) من دعاء الخيرفي الخلوات وأعقاب الصّلوات ، والتّعريف بما يجب عليكم من حقوق السّلطان ، وأنّ طاعتَهُ منْ طاعة الرّسول وطاعة الرّحمان . فإليكم معشر **أهل العلم** يتوجّه إليكم هذا الفرض الخصوصي ، و أنتم أجدر بما فيه من مقيس و مستنبط و منصوص والدّين النصيحة... " (1)

وتوضح رسالة **البوني** الجوابية مدى تجاوب المرابط والعالم المذكورمع القابض على السّلطة في الجزائر، فقد بعث إلى الباشا أبو جمال يوسف رسالةً يطلب فيها العفوَ والتّجاوزَ عن الثّائرين الذين قاد لأجلهم الباشا حملةً بنفسه ، يهدف تأديبهم . جاء فيها "... قد بَلغَ العبدُ ما أنفذه ا وقضاه و قدّرهُ بحكمه في خَلْقه و أَمضاه...فآه ثم آه أُعيدها مُتوجّعاً مُتأسّفاً وأُرَدّدُها مُتوجعًا مُتلهفًا، و لتعلم أعزّكُم ا أن كلّ شدّة مالها إلاّ الإرتخاء ، وأن كلّ غمّة انتهاؤها إلى الإنجلاء ، وغاية كلّ متحرّك و كمْ متحرك إلى السّكون ، وكم كربة أورثت خيراً ، وكم منْ شوكة اجتنيت ثمراً ... وها هو العبد الفقير ليس بناس لكم وُدا ولابناكث لكم عهدًا ، لا يزال سائلاً لكم من ا قابل التّوب غافر الذّنب تليين صعاب القلوب ، و تسهيل الصّعوب تجاه أكرم الوسائل لكلّ سائل تحصيل كلّ ماهو مطلوب ، وبلوغ كلّ مرغوب . " (2)

ويفهم من هذه المراسلة ، تجاوب البوني وتعاونه مع حاكم الجزائر كما تجاوب كثيرٌ من العلماء الجزائريين مع السّلطة العثمانية الحاكمة ، ومنحوها تأييدهم بآرائهم ، وتحسين ذكرهم بين الناس حتى يعمّ الأمن وتهدأ النّفوس ويعمّ الرّخاء . ومن الشّواهد الأخرى الدّالة على ذلك ما جاء في رسالة (3) **الداي محمد بكداش** (4) إلى**أحمد البوني** (5) وهي تُبرز لنا طبيعة المكانة التي كان يلقاها العالم من لحاكم ، نقدم فيما يلي مقتطفات منها :

(1)أنظر رسالة المعظم يوسف باشا إلى الشيخ محمد ساسي البوني رداً على رسالته ، مجموعة رسائل مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 2642 ، ص : 56 .

(2) أنظر رسالة محمد ساسي البوني ـ مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 2642 ، ص : 57 .

(3) كانت بتاريخ جمادى الثانية 1115هـ ، أكتوبر 1703 م .

(4) **محمد بكداش** : حكم ما بين 1707-1710م كان من كبارالعلماء والأدباء، وجه عنايته لاسترجاع وهران ،وأعانه على ذلك باي الغرب مصطفى بوشلاغم فأرسل صهره حسن أوزون على رأس قوة كبيرة فتم تحريرها مع المرسى الكبير .

(5) **هو أحمد البوني** حفيد محمد ساسي البوني ، وهو أحد العلماء الذين ألّفوا في التفسير والحديث ، نذكر من تآليفه : "تنوير السريرة بذكر أعظم سيرة " "الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة "ولد سنة 1063هـ وتوفي سنة 1139هـ .(أنظر محمد بن عبد الكريم في تقديمه لكتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية " ـ ص : 77)

" أقر ا تعالى بطلعتكم السنّية العيون ، وزادكم علمًا، الفاخرُ المصون.... أعني بـ ذلك قـ دوة أرباب الكمالات...سيدنا ووسيلتنا إلى ربّنا الأمجد، يتيمة الدّهر، وفريدة العصر، سيدي **الشيخ الحاج أحمد...**

فجودوا إذا ما اللّيل أرخى سدوله فهمّتكم نصحًا لنا تبذلونهـ ـا

لعلّ إلـه العزّ جـ ـلّ جـ ـلاله سيدخلنا في رتبة تحمدونهـ ـا

فإن قيل لي من ذا الذي وصفته أقول دعوني هو ذو الخلّ أحمد

ونجلٌ لقطب قد تحقّق مجـ ـدُه أو قاسم لازال وا محمـ ـ ـد

عليه سلام من محبّ و عاشـ ق سلامٌ كريمٌ كلّ حين يجـ ـ ـدّدُ

...أمّا بعد سيدي فلقد بلغنا كتابكم الموفقُ بحسن ألفاظه وخطابكم المشرق فآنستناكامن ألفاظه وأطربتْنا معاني ألفاظه فأخذناه بالقُبول والرّضى وذكرنا عهداً قديماً مضى ...فما نحن إلاّ طالبٌ لدعواتكم وراغبٌ إلى مرضاتكم..." [1]

من هنا نرى كيف كان الحاكم يقدّر مكانة العالم ويبجّلها ، والعالم يعرف مكانة الحاكم فيساهم في صيانتها . وإني أرى القول التالي يتناسب مع هذه المواقف " رجال السّياسة يُدركون المصالح و مناشئ الضّرر،والعلماء يطبّقون العمل بمقتضاهاعلى أصول الشريعة " [2].

كما نتلمّس هذه العلاقة في حث العلماء الجزائريين للحكّام على مواصلة الجهاد لتحرير الأوطان ، و منها تحرير وهران التي طال بها بقاء الإسبان . وفي هذا الصّدد نقدّم بعض النّماذج من القصائد التي أُنشدت لهذا الغرض ، وتبيّن بوضوح نظرات أصحابها إلى القابضين على السلطة في الجزائر . وفيها إطراء ومديح لهم على الجهود التي كانوا يبذلونها لاستكمال تحرير المواقع المحتلة من طرف الإسبان ، ومنها قصيدة لابن قوجيل [3] يحثّ فيها الدّاي الحاج أحمد [4]

---

(1) مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس رقم 6724 **نقلاً عن** د. جمال قنان : نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500 ـ 1830 ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر 1987 ، ص ص : 155- 156 .

(2)**خير الدين التونسي** : أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ـ الطبعة الثانية ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 م ، ص : 152 .

(3) هو إبن عبد ا محمد بن علي بن يسعد بن سعيد بن عبد الواحد بن يحي بن العباس الملقب بابن قوجيل الجزائري ، أهم مؤلفاته: " عقد الجمان اللامع من فعر البحر الجامع " في الحديث ، توفي سنة 1078 هـ/ 1667 م .(أنظر " التحفة المرضية ..." ص 75.)

(4) حكم ما بين 1106 ـ1109ه/ 1695 ـ 1698م .

على تحرير مدينة وهران اخترنا منها هذه الأبيات :

ولتلتفت نحو الجهاد بقـ ـ ـ ـوّة | و الكفر اقطع أصله بذكـ ـور
جهّز جيوشاً كالأسود و سرحن | تلك الجواري في عباب بحور
أظرم على الكفّارنار الحرب لا | تقلع ولا تهملهم بفتـ ـ ـ ـ ـور
و بغربنا "وهران" ضرسٌ مؤلمٌ | سهل اقتلاع في اعتناء يسير
بادرْ بنا نغزو العدوّ و سارعن | في جسم شوكتهم وفي التدمير
فإذا فتحت و قدْ ظفرت ببغية | و قفلت بعد سعيك المشكـ ـور
فارع الرعيّة خير راع سُسْهُم | بسيّاسة منْ عداك المنشـ ـور
يأيّها الملك الّذي نرجو بـ ـ ـه | عدلاً ينوط بذي الغنا وفقيـ ـر
إني أنصحك والنّصيحة ديننـ ـا | **فأقبل** و لم ينصحك دون خبير(1)

كما كاتب أبو العباس أحمد بن قاسم الملقب "بابن البوني" الداي محمد بكداش يخبره بما آلت اليه مدينة عنابة من الفساد ، ويطلب منه التدّخل لإصلاح أحوالها ، ويتقدّم اليه بجملة من النصائح ،مشيداً بخصاله مبرزاً لقدراته ضمن قصيدة شعرية اخترنا منها هذه الأبيات :

يا حاكـ ـم الجزائـ ـر | يا أنس نفس الزائـ ـر
أريـ ـد أن أخبركـ ـ ـم | أدام ربي نصركـ ـ ـم
بحـ ـال هذي القريـ ـة | بالصّدق لا بالفـ ـريـ ـة
قد صال فيها الظـ ـالم | وهـ ـان فيها العـ ـالـ ـم
خربت المساجـ ـ ـ ـد | وقـ ـلّ فيـ ـها السّاجـ ـد
والشّرع فيها باطـ ـل | الظلـ ـم فيها هاطـ ـ ـل
وكم من القبائـ ـ ـ ـح | وكـ ـم من الفضائـ ـح
وا قـ ـد ولاّكـ ـ ـ ـم | حكمـ ـاً وقد علاّكـ ـ ـم
فداركوا الإسلامـ ـ ـا | ونـ ـوّروا الظلامـ ـ ـا
وسدّدوا الأحكامـ ـ ـا | وفـ ـرّحوا الأنـ ـامـ ـ ـا

(1)أنظر القصيدة كاملة في " التحفة المرضيّة في الدولة البكداشية " لابن ميمون – ص ص : 205-209 .

أنتم قـوام الزّمـن كوالـد مؤتمـــــن

فأنت ذو فطانـــة فحسّـن البطانـــة

شـاور ذوي العقول ولّ ذوي الأصـــــول [1]

كما كان الحكّام في الجزائر يقدّمون العلماء في المواقف الحاسمة التي لا يمكن أن يقـوم بها غيرهم، خاصّة ما يتعلق منها بأمورالمصالحة ، وإصلاح ذات البين، وتقريب الوُجهات ، سواء في القضايا الدّاخلية التي تخصّ علاقة الحكّام بالمحكومين ، أو تلك التي تدخل في علاقة الجزائر بجيرانها ؛ وهو ما تمتدحه المصادر وتذكره بين طيّاتها ، مثل ما خلّده العلماء أنفسهم ضمن الحديث عن سيرهم الخاصة .

ومن الشواهد الدّالّة على ذلك ما ذكره **عبد الكريم الفكون عن** مشاركة العلمـاء والفقهـاء في الصّلح [2] الذي تمّ بين الجزائر و تونس عام 1037هـ/1628 م وهو ينقل إلينا نصّ الرّسالة التي بعثها إليه صديقه الخطيب الإمام أبو محمد تاج العارفين اخترنا منها مايلي : " هذا و اعلم أيّـها الصّديق الحميم أذاقنا ا و إياكم برد الرّضى والتسليم ، أنّه 260 رقمتـه والخجـل في الوجنات يبدي حمرته.... في منزل جبر ا فيه القلوب ، ويسّر فيه كلّ مطلوب ومرغوب ، من إصلاح ا سبحانه بين عباده ، وردّ سيف المعاند والكائد في أغمـاده ... إنّ السيد الفقـيه المشارك الوجيه سيدي أبا العباس أحمد بن الحاجة .... هو ومن معه من السادة الفقهاء الأعيان... شنفوا أسماع الفقير... من محاسن أخباركم... " (3)

إنّ هذه المكانة التي حظي بها العلماء لدى السّلطة الحاكمة استمرت طيلة الوجود العثماني ، فقد كانوا خلالها يقدمون في الصّفوف ويُستشارون ويؤخذ برأيهم . ويقدم **ابن سحنون** وصـفاً حياً للمعاملة التي خُصّ بها العلماء أثناء تحرير وهران من طرف محمد بن عثمان باي ؛ وفيها نظرة ثناء واستحسان على تخصيص البايات معاملة لائقة ومكانة محترمة للعلمـاء ، وفخـر واعتزاز بهذا الباي ، ومدح فائق له بهذا الإنتصار ، جاء فيه: "... وكان أوّل من دخلها ـ بعدالذين وضعوا الأعلام وعمّروا المدافع ، وبنوا المضرب للأمير ـ العلماء يَقـدمهم صـحيح البخاري ، ثم تلاهم الأمير في جنده الجرّار ، وفي يده رمح كاد أن يمزّق أديم السّمـاء طولاً

---

(1) أنظر القصيدة كاملة في نفس المرجع ـ ص ص : 128 ـ 132 .

(2) وقع هذا الصلح في عهد حسين باشا (1037هـ 1627م ـ 1042هـ 1632م)

(3) المرجع السّابق : ص 216 ـ 217 .

ويمسّ الثريّا ، وأسرة وجهه تتهلهل بلوامع البشرى..." [1]

ويضيف متحدثاً عن إشراك العلماء في المشورة في خضم هذه الأحداث وهذا النصر المميّز فيقول : " ولمّا رجع الأمير لأوطانه ، مغموراً بمنن سلطانه ، استشار العلماء في المغاطيس (2) الذين بوهران ، هل يؤمّنهم خوفاً من أن يذهبوا مع الكفار إلى بلادهم فيتنصّرون أو يتنصّر عقبهم ،فأشاروا عليه بتأمينهم ، فبعث إليهم كتاباً يأمرهم بالقدوم عليه آمنين ، فبعثوا إليه يقولون له ابعث لنا بالأمان مع بعض المرابطين لتطمئن نفوسنا ، فبعث إليهم بقاضي البلاد العلامة السيد عبد ا بن حواء ، وخطيب المسجد الأكبر أخينا السيّد أحمد والسيّد محمد بن فريحة.." (3)

لقد كان الباي محمد الكبير محرّر وهران من الإسبان ، من بين الحكّام الأتراك الـ ذين حظوا باهتمام كبير لدى العلماء والمثقفين ونالوا منزلة مميّزة في نفوسهم ، وخُصّوا بمدحهم ، والتنويه بسياستهم ؛ وقد وقع اختيارنا على بعض الأبيات من قصيدة طويلة خصّه بها **ابن سحنون** الراشدي هذا نصُها :

ياأيّها اللّيث الهزيـ ـر المتّـ ـقي ... وأجَل مختارٍ من الأخيـار
أبشر فثغر الفتح أصبح باسـ ـماً ... يثني عليك بريّه المعطـار
ولوامع النّصر المبين تكاثـ ـرت ... حتى كستك أشعة الأنـوار
طهّرت هذا القطرمن درن الرّدى ... ورفعته عن سائر الأقطـار
وسعيتَ للرّحمان سعياً صادقـ ـاً ... فجزاك عنه بخير عقبى الدّار
وأخذتَ من أيدي العِدى ما سلمت ... للعجم فيه شـوامخ الأقـدار
حُزت الكمال بأسره واتخـذ تـه ... حُلياً يلوح شُعـاعه للسّـاري
نقل الزّمان حديث فضلك صادقاً ... فروتْهُ عنه بقية الأعصـار [4]

لقد كان العلماء الجزائريون يرون في دعمهم للحكّام العثمانيين حماية للدّين الإسلامي وصونًا لأعراض المسلمين من الغزاة المسيحيين ، وارتباطاً وثيقاً بباقي البلاد العربية الإسلامية التي

---

(1) نفس المرجع : ص 419 .
(2) هم سكان مدينة وهران الذين سكنوا مع الأسبان وتعايشوا معهم ورضوا بحكمهم .
(3) نفس المرجع : ص 427 .
(4) نفس المرجع : ص ص 459 ـ 461 .

تعيش في كنف الخلافة العثمانية ، ومن واجبهم تذليل العقبات والصّعاب أمام الحكّام بالوقوف إلى جانبهم وبذل النّصيحة لهم .

وفي هذا الصّدد نسوق ما جاء على لسان **ابن العنّابي** وهو واحدٌ من المثقفين الجزائريين في وصفه للعثمانيين ، منوّهاً بالدّور الكبير الذي قاموا به في الحفاظ على الدّين الإسلامي وحماية مبادئه. " ولولا ظهور الدولة العثمانية ـ أعلى ا مقامها ، ورفع بالتأييد والنّصر أعلامها ـ فجدّد القائمون بأعبائها معالم الدّين ، وأحيوا ماالندرس من شريعة سيّد المرسلين ، لاتّسع الخرق ، وعمّ الفساد سائر الخلق . " (1) ، ويحذّرهم في الوقت ذاته من الهلاك وزوال الملك إذا ما انحرفوا ، ولكن بطريقة ذكيّة جاء فيها: " إنّ قسوة القلب على الضّعفاء ، والجور في الأحكام الشّرعية ، ومنع الحقوق من مستحقّيها ، والإيثار بها لمن لا يستحق ، من أسباب خراب الملك وزوال الدّولة . " (2)

إنّ قيام العلماء وفئة المثقفين عموماً ، ببذل النصح للقائمين على السّلطة في الجزائـر، محلّ استحسان كثير من المؤلفين لأنهم كانوا يرون فيها خدمة المصلحة العامة ، وهـذا مـا ذهب إليه صاحب **أقوم المسالك** حيث قال **:** " إن مخالطة العلماء لرجال السّياسة بقصد التعاضد ... من أهم الواجبات شرعًا لعموم المصلحة ... فالعالِم اذا اختار العزلة والبعد عـن أربـاب السّياسة فقد سدّ عن نفسه أبواب معرفة الأحوال... وفتح أبواب الجـور للولّـاة ، لأنّهـم اذا استعانوا به فامتنع صاروا يتصرّفون بلا قيد ."(3)

ثالثاً ـ نظرة المصادر الى علاقة السلطة مع القبائل و أعيانها :

يمكن القول بأنّ السّلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر كانت تحرص على مراعاة أحوال الرّعيّة وتتبع أخبارها ، والنظر في شكاويها حفاظاً على الإستقرار الذي كان ينشده الجميع ، وعلى هذا الأساس بذل بعض الحكام جهوداً كبيرة في سبيل هذه الغاية **؛** فنجد **ابن سحنون** الرّاشدي يعدّد خصال الباي محمد الكبير في قصيدة شعرية ، ويشيد بسيرته في الرّعيّة جاء فيها :

(1) سعد ا :المفتي الجزائري **إبن العنابي** رائد التجديد الإسلامي(1775ـ1850) ش.و.ن.ت،الجزائر، 1976،ص : 75 .
(2) نفس المرجع ، ص 74 .
(3) خير الدين التونسي : المرجع السابق ، ص ص : 152 ، 153 .

ذاك الأمير محمد بن عثمان ذو العزم   الذي فاق حدّ الصارم الذكـ ـ ـر
فهو الهمام الذي عمّت نوافلـ ـ ـ ـه   كلّ الرّعيّة من بدو ومن حضر
أقامه ا في نفع العـباد فمـ ـ ـ ـا   لديه سعى سوى بالنفع للبشـ ـ ـر [1]

لقد أدرك العثمانيون منذ بداية الأمر، أن القبائل الجزائرية لها خصوصيّاتها، و يجب أن تحترم هذه الخصوصيّات لكي تستتبّ الأمور، و يسود بذلك الإستقرار ، فكان همّهم الأكبر هو: كيف يحافظون على علاقتهم بالسّكان ، و إذا ساءت العلاقة مع إحـدى القبائـل و واجهوهـا بالقوّة سرعان يعيدون لها الإعتبار و الإحترام و المكانة التي تستحقّها ؛ وهو ما أشار إليـه صاحب المرآة : " ذلك أنّهم عندما يُخضعون قبيلةً عدوّة ثم تستسلم تلك القبيلـة ، يسـتقبلونها بحفاوة ويعيدون إليها ما أُخذ منها أثناء الحرب . " [2]و يضـيف **حمـدان** قـائلاً فـي نفـس الموضوع ،: " و قد يعوضّون لها الأشياء المتلفة حتى يتمكنوا من أن يجلبوها إلـيهم بعـد الإنتصار عليها . لقد كانوا يبرهنون لمثل هذه القبيلة على ثقتهم بها و يدفعونها إلى أن تعيش هادئة .... واذا اعتزمت إحدى القبائل على تشويش الأمن العام ، فإنّ القبائل الأخرى تنضـمّ إلى الأتراك لمحاربتها . وقلّما يلجأ هؤلاء إلى قوّتهم الحربية ، وإنّما كانوا يفضّلون الإعتـدال ..." [3]

وممّا تقدّم يمكن القول أنّ علاقة السلطة الحاكمة مع المرابطين والمتصوفة ، ومع العلماء وفئة المثقفين ، ومع القبائل وأعيانها ، اتسمت طيلة الفترة التي سبقت التحرير الكامل للمواقع المحتلة من طرف الإسبان بالتواصل ، والتعاون .

ولعل الصعوبة الوحيدة التي وجدها العثمانيون خلال هذه المرحلة ، هي تلك التي تتعلّق بطبيعة التعامل مع بعض القبائل التي رفض أعيانها الخضوع والإنقياد لغيرهم ذلك أنهم لم يألفوه من قبل ، الى أن تيقنوا بأن الحكم الجديد لا يحدّ صلاحياتهم وخصوصياتهم ضمن عشائرهم ، حينها أذعنوا له طوعاً ورضوا به مقابل نفاذ كلمتهم ، وصون مكانتهم .

---

(1) المرجع السّابق : ص : 129 .
(2) المرجع السابق ، ص : 80 .
(3) نفس المرجع ، ص : 111 .

ب ـ نظرة المصادر المحلّية الى جهود العثمانيين و مآثرهم :

أولاً ـ في مجال الجهاد و تحرير المواقع المحتلة :

رفع العثمانيون في الجزائر لواء الجهاد وحملوا شعاره منذ أوّل ظهور لهم في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، فراحوا يُنجدون مسلمي الأندلس ، بنقلهم إلى البلاد المغاربيّة التي لم تسلم هي الأخرى من هجمات الإسبان ، ويتعاونون مع المسلمين في الجزائر على تحرير المواقع التي احتلها هؤلاء الأخيرون ؛ وقد نوّهت المصادر المحلّية بالجهود التي بذلها العثمانيون منذ ظهورهم في الحوض الغربي للمتوسط .

فهذا المجهول في غزوات عروج و خير الدّين الذي يعتبر سجلاً عن مآثرهما في انقاذ مسلمي الأندلس ، وجهادهما في الحوض الغربي للمتوسط ، وجهودهما في الجزائر لتحرير جيجل ، وبجاية، والجزائر وغيرها ، يقدّم معلومات مهمّة عن تلك الجهود لا غنى للمؤرخ عنها ؛ ومنها يمكن أن نستخلص نظرة صاحب الكتاب إلى العثمانيين الأوائل في الجزائر ، وجهودهم فيها ، وهي نظرة فيها كثير من الثناء والمديح لهم ولا سيما لعروج وخير الدين . وتوضح النصوص الآتية المقتبسة منه ما ذهبنا إليه بشكل جيّد :" فكتب أهل الأندلس كتابًا إلى خيرالدين يعلمونه فيه بما وقع من النّصارى من هذه المحن، و يتضرّعون إليه في إنقاذهم بما هم فيه ، فوصل إليه كتابهم فامتعض من أجلهم ودخلته حميّة الإسلام و الغيرة للدّين المحمّدي، فعند ذلك ،حضّر ستةً وثلاثين جفنًا ، فلّما رآهم الأندلسيون خرجوا .... و سلّموا عليهم واستبشروا بقدومهم و ذهبوا إلى مدينتهم ، فرفعوا نساءهم وأبناءهم و ما قدروا عليه من أموالهم وأبنائهم ، فتكرّر ذلك منهم سبع مرات " (1)

وفي نفس الصّدد يثني **أبوراس الناصري** على خير الدّين بربروس ويعدّد خصاله الجهادية بقوله ".. دخلها ملوك الأتراك .... وأوّل من ملك بها منهم ، مشهور السّيادة ... السلطان **حسن خير الدين** ، فهو سبب سعادتهم وانتشار صيتهم ، فكان وجهه للصباحة ، ولسانه للفصاحة ، ويده للمسامحة وعقله للرّجاحة ، كان قبل حلوله بالجزائر طبق أرض الكفرة بالغزوات ، وكثر لديه الفتوحات ، وامتدت له سعادة الحياة ..." (2)

---

(1) المرجع السابق : ص : 82 .

(2) تاريخ الجزائر (إحدى عشرة ورقة) مخطوط بالمكتبة الوطنية باريس رقم 5519 ـ نقلا عن د. جمال قنان : نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830 ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ،الجزائر 1987 ـ ص :43.

وقد تواصلت الحركة الجهادية التي نوّه بها أكثر من مصدر محلّي ، والتي قادها العثمانيون منذ دخولهم أرض الجزائر ؛ فبعد استتباب الأمن في مدينة الجزائر وضواحيها، توجّه عروج إلى تلمسان إثر وصول وفود إليه من أهلها ، ولم يُضع وقتاً ، بل خلّف أخاه خير الدين على مدينة الجزائر وتوجّه إلى تلمسان ؛ وبعد قضائه على النظام الزّياني المتعامل مع الإسبان، فاجأه الإسبان بقوّة عظمى ، قادمين من وهران لاحتلال تلمسان وارجاع بوحمو الثالث إلى العرش ، فاستشهد في معركة داميّة سنة 1518 ، وتحمّل خير الدّين ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه مواصلًا الجهاد ضدّ الغزاة الإسبان ، مدافعاً عن أرض الجزائر باعتبارها جزءاً من الأمة الإسلامية .

ولعلّ أهم ما يلفت النظر هو : قوّة العزيمة الجهادية العثمانية لحماية هـذا البلـد مـن الحملات الأوربية التي كانت أعنفها في أيام حكم حسان آغا 940 ـ 951ه / 1533ـ 1544 م .

فمع تنامي القوّة التركية أعدّ الملك الإسباني شارلكان حملةً ضخمة على الجزائر قادهـا بنفسه سنة 948هـ ـ 1541 ، و قد ابتدرها بإرسال إنذار إلى حسن آغا جاء فيه مايلي **:** " أيّها الرّجل ، إنّك خديم من خُدّام باربروشة و أَمْلِكُ إصبانية بأسرها ، وجميع بلاد النّصارى تحت طاعتي ، فتحقّق أنّ هذه المدينة نملكها كما ملكتُ مدينة تونس ، كيف وقد قَدِمت إليهـا بنفسي ، أيمكنُ أن أرجع إلى بلادي ولم أحصلْ على الجزائر. فانظر لنفسك ودبّرعلـى مـنْ معك ، وها أنا قد أعذرت إليك ." [(1)]

فكان ردّ **حسن آغا** عليه عنيفاً ، ومحلّ إشادة وافتخار لدى المصدر ذاته ، نسرده كما جاء:

" وهل أنت إلّا كلب من كلاب النّصارى وأضعف ما في بلاد البربرية من القلاع لاتقدرعلى أخذها ، فكيف بمدينة الجزائر... ومع ذلك فإنّ في عسكر الجزائر ما يقابلك ، وسترى عاقبة أمرك فاجهد جهدك غير موفّق " [(2)]

وعقب الإنذار الذي تلقاه حسن آغا من شارل الخامس الذي يحمل في طياته العزم الأكيد على احتلال مدينة الجزائر ، شرع حسن آغا في حثّ الجزائريين على الجهاد والدّفاع عن مدينتهم، ومواجهة هذه الحملة بكلّ ما يملكون من قوّة ويحتسبون أجرهم عند ا ويستمدّون عونهم منه وحده، و لتكن غايتهم إحدى الحسنين إمّا النّصر أو الشهادة .

---

(1) المصدر : مجهول : تاريخ خير الدين ـ نقلاً عن جمال قنان : المرجع السابق ، ص : 45 .

(2) نفس المرجع ، ص : 46 .

وقد جاء في كتاب المؤلف المجهول بهذا الصّدد ما يلي :

" جمع حسن آغة أهل المدينة و نصّب ديواناً جمع فيه **علماء البلاد وصلحاءها و مشائخها ،** .... يستشيرهم و ينظر ما يتّفقون عليه من الأمور .

ومن جملة ما خاطبهم به تسكيناً لروعتهم : قد وردت العمارة في زمان عروج رايس رحمه ا تعالى بفضله ، وفي زمان خيرالدين باشا ، فلم يخف عليكم ماهيأه ا تعالى للمسلمين من النّصرعلى عدوّ الدّين ، وكيف ردّ ا الذين كفروا بغيضهم ، لم ينالوا خيرًا ، كذلك هذه النّوبة إن شاء ا تعالى . ومع ذلك ياأهل الجزائر قد تعيّن الجهاد علينا معشر المسلمين ، لا لغرض في الحياة الدنيا بل نريد بذلك إعلاء كلمة ا تعالى و تحصيل درجات الشهادة . فقد قال ا تعالى: ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل ا أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم ا من فضله ، و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، ألاّخوفٌ عليهم ولا هم يحزنون "[1] و إن كنّا في قلّة و العدو في كثرة يقول ا تعالى : " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن ا و ا مع الصابرين "[2] و قد وعدنا ا بإحدى الحسنين إمّا الظّفر وإمّا الشّهادة ، وقد كتب ا علينا الموت وختم علينا الفناء ، فلئن يموت الإنسان مجاهداً صابرًا بائعاً نفسه من ا تعالى خيرًا له من أن يموت حتف أنفه : فقد قال الرّسول صلى ا عليه وسلم : " الجنّة تحت ظلال السيوف "[3] ... فحصل لأهل الجزائر قوّة عظيمة بكلام حسن آغة ، ووطّنوا أنفسهم على جهاد العدو، فعند ذلك فتح خزائن السّلاح ووزّعه في أهل المدينة مع ما يحتاجون إليه من البارود والرصاص، فعند ذلك أخذوا في الدّعاء إلى ا تبارك و تعالى ".[4]

أنزل شارل الخامس قوّاته شرق مدينة الجزائر (حسين داي) يوم 23 أكتوبر 1541 ووضع مقرّ قيادته في سيدي يعقوب (فوق الجزائر) فكان مآلها الفشل ، و عاد إلى بلاده يجر أذيال الهزيمة فاقداً الآلاف من أفراد جيشه و معظم سفنة إثر زوبعة بحرية أغرقت أسطولـه ، فكان نصر ا حليف المجاهدين الذين استماتوا في الذّود عن حماهم والدّفاع عن عقيدتهم .

---

(1)الايات : 169، 170، 171 من سورة ال عمران .

(2)الاية : 249 من سورة البقرة .

(3) حديث شريف رواه الإمام مسلم .

(4) المرجع السابق : ص ص : 46 ، 47 .

وقد نوّه بهذا الإنتصار العظيم مسلمو الأندلس في الرّسالة التي وجّهوها إلى السلطان العثماني ؛ اقتطفنا منها ما يلي : " واتفق رأيهم المعكوس(يعني النصارى الإسبان) ، وتدبيرهم المنكوس ، على قتال الجزائر ، لئلا يبقى لأهل الإسلام ناصر ، فعاقبهم ا بعقاب أصحاب الفيل ، وجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم ريحٌ عاصف وموجٌ قاصف (كذا) ، فجعلهم بسواحل البحرمابين أسيرٍ وقتيل، ولا نجا منهم من الغرق قليل .... " (1)

وقد أثنى على هذا الإنتصار ، المجهول في الغزوات ورسم صورة للجزائر فيها من الفخر والإعتزاز ما تستحقّه عقب هذا النّصر المبين . " وبقيت الجزائر كالعروس تختال في حلّيها وحُللها من رخاء الأسعار وأمان الأقطار ، ولم يبق لهم عدو يخافون منه وشاعت هذه القضية في مشارق الأرض ومغاربهاوبقي رعب المسلمين في قلوب الكفار مدّة طويلة بقدرة العزيز القهار. " (2) لم يوقف العثمانيون بالجزائر جهادهم ضد غارات الأوربيين ، فعندما حكم **حسن بن خير الدين باشا** للمرّة الثانية مابين 965ـ975ه ـ1557 ـ1567 م ، حاول الإسبان بسط سلطانهم حوالي وهران ، فكسّر شوكتهم في مازغران سنة 966 هـ ـ 1558 م ، هذه المعركة التي خلّدها شعراء الملحون ، وأشادوا بها كثيراً ، ونوّهوا بالإعدادات التي واجه بها العثمانيون هذه الحملة ، واستبسال الجزائريين والأتراك معاً واستماتتهم قصد النيل من عدوّهم ، وأشادوا بالإنتصار الكبير الذي تحقق على أيديهم ؛ ومن ذلك قصيدة طويلة للشيخ لكحل بن خلوف(3) وفيها ما يشيرإلى الفخر والإعتزاز بهذا الإنتصار ، وما لقيه الأمير حسن من إكبار و مديح لدى الشاعر اخترنا منها الأبيات الموالية :

يا فارس من ثم جيت اليـوم قصّة مزغران معلومـ ـ ـة
يا سايلني كيف ذا القصّـ ـة بين النصراني وخير الدّيـ ـن

---

(1) رسالة من مسلمي غرناطة الى السّلطان سليمان القانوني سنة 1541 ، نقلاً عن عبد الجليل التميمي ، مجلة الأصالة ، إصدار وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدّينية ، الجزائر 1975 ، عدد : 23 ، ص ص : 63 ، 75 .

(2) المرجع االسابق : ص 35 .

(3) ولي صالح ؛ عاش في القرن التاسع الهجري أي في أوائل العهد العثماني ؛ في ناحية بني شقران القريبة من مدينة معسكر، وهو من أصل مغراوي بدليل قوله في نهاية احدى قصائده : مغراوي جدو رسول ا ؛ وقد تأثر انتاجه بنفسيته المتديّنة ، فانقطع الى مدح النبي صلى ا عليه وسلم ، ولم يخرج عن ذلك الاّ في قصيدة " قصة مزغران " التي طرق فيها فن الحماسة ، وقد شارك في هذه المعركة التي وقعت بين اسبان وهران المغيرين على مستغانم وبين المدافعين عنها من الجزائريين و العثمانيين . (أنظر عبد الحميد حاجيات : " أحسن ما يقال عندي" للخضر بن خلوف ، مجلة أمال ، إصدار وزارة الإتصال والثقافة ، الجزائر 2001 ، العدد 68 ، ص ص : 43 ، 47 . وهي طبعة ثانية للعدد 4 ، سنة 1969 .

طل على الكفار يوم السبـت خرجوا لك من باب مزغـران
داي الأتراك مجنده للـرّوم فزعت للكفّار يا فهجـ ـ ـة
الأمير احسن يوم مزغـران أخاف الثار ما لعدو تحقـيـق
ارجع للبهجةعاصمةالـبلدان بغنايم شتى و نصرالبيـ ـ ـق
ادعوا له ا ياناس بالغفران ا يجعل له مساك وطريـ ـق
ا يرحم قائل الأبيـ ـ ـات الأكحل واسم بوه عبدالا ـ ـ ـه [1]

ولقد لقيت الحركة الجهادية التي ميّزت الوجود العثماني في الجزائر الكثير من التنويـه والإشادة لدى السكان الذين تفاعلوا معها ساعة بساعة ، فهذا محمد بن موسى [2] يهنيء الباشا حسن بن خير الدين لما حققه من انتصار على النصارى ، ويشيد بفتوحاته في قصيدة طويلـة اخترنا منها هذه الأبيات :

هنيئاً لك باشا الجزائر والغرب بفتح أساس الكفر مرسى قرى الكلاب
ستفتح وهران ومرساهـا التي أضرّت بهذا الإقليم طراً بـلا ريب
فثق بالإله واستعن به واصبرن ينلـك المراد يا أميـري ومطلـبي
وقد وعد الرحمان جلّ جلالـه مع العسر يسر قد أتى ذاك في الكتب
فأبقاك ربّ فاتحـاً لحصونهم وكهـفاً منيعاً ذا علـوم وذا صـوب
امولاي بالمختار من آل غالب أحبّـة والصحب كـل الأقـ ـ ـارب
تحيي بنصر مع فتوح تواترت على نجل خير الدّين خير المطـ ـالب
فثق بالاله واصبـرن تنل بـه مرادك وهرانا ومرسـى القـ ـوارب
على قدرتقوى ا تأتي المواهب وتأتي على قدر الذنوب المصائـ ـب [3]

---

(1) أنظر القصيدة كاملة في كتاب : " المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون " لجلول يلس وأمقران الحفناوي ـ الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1975 ، ص ص : 23 ، 28 .

(2)هوعبد الرحمان بن محمد بن محمد بن موسى ، ولد في حدود 929هـ / 1522م وتوفي في 19 شعبان 1011هـ/1602م نشأ على عفة وصيانة واجتهاد ، وافر العقل ، علاّمة في الفقه وعلم الحديث والنحو وعروض الشعر، ماهر في اللغة والحساب والفرائض ، جيّد القريحة ، تعلّم عن كثير من كبار المشائخ أمثال الشيخ علي بن يحي السلكبيني الجادري ، والشيخ شقرون الوجديجي ، وأخذ عن والده محمد بن موسى الوجديجي ، ثم رحل الى بلاد زواوة وأخذ عن ابن عمر الزواوي . (أنظر محمد ابن مريم التلمساني ، البستان ، ص ص : 129 ، 133 .)

(3) نقلاً عن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم المديمني التلمساني : " البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان " مراجعة محمد بن أبي الشنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر 1908 ، ص ص : 129 ، 133 .

أمّا **محمد بكداش باشا** 1119 هـ ـ 1707 م / 1122هـ ـ 1710م ، فإنّه لقي من التمجيد والمديح لدى المصادر المحلّية مالم يحظى به أحد مثله ، ذلك أنّه وجّه كلّ عنايته لاسترجاع وهران من الإسبان ، وأعانه في ذلك مصطفى بو شلاغم **باي** الغرب الجزائري ، فأرسل بكداش صهره أوزن حسان على رأس قوّة كبيرة إلى وهران ؛ فعاد منها منتصراً بفتحها يقود معه الأسرى الإسبان وغنائم لاتحصى ، ووقعت في الجزائر أفراحٌ ارتجّ لها القاصي والدّاني ، وذاع صيت النّصر في كلّ مكان ، وذاع معه اسم بكداش (1) .

جاء في التشريفات مافيه وصف وتنويه بهذا الفتح : " في عام ألف ومئة وتسعة عشر... محمد بكداش أفندي (2) قرّرتحريروهران ، وقرّر لهذه العملية خليفته وصهره بابا حسن ، أعدّ له جيشاً قوياًوكلّ ما يحتاجه...وتلقى الحاج محمد بكداش بفرحة كبيرة خبر هذا الإنتصار العظيم ، وأقبل على حمد ا وشكره الذي يسّر هذه المهمة "(3)

وقد خلّد الشّعراء و العلماء هذا الفتح بقصائد ومقالات شتّى أشادوا من خلالها بالإستماتة الجهادية التي بذلها العثمانيون في سبيل ذلك ، اخترنا هذه الأبيات من قصيدة طويلة لأبي عبد ا المعروف بابن علي(4) .

أبى ا إلاّ أن يشعّ هلالـ ـ ـ ـه	وليس لما بيده ذو العرش كاتـمُ
وهل طاوعت (وهران) قبل مُملّكاً	سواه فأضحى أنفُها وهو راغـمُ
ومالمهـل الرّحمن لحكمـة لها	قلّما لتصريف في اللّـوح راقـمُ
فقيّـض للفـتح المبـين مهنـد	رقيق الشّبا صاب الصفيحة صارمُ
وعاد لوهران السنيّـة فخرهـا	و آب إليـها عهدهـا المتقـادم(5)

---

(1) أنظر ابن ميمون : التحفة المرضية ، ص ص : 262 ، 263 .

(2) الداي 75 للجزائر حكم عام 1119ه وقتل عام 1122ه من طرف دالي ابراهيم الذي أصبح داياً بعده .

(3) **Tachrifat Recueil de notes Historiques sur L'administration de L'ancienne Regence D'alger Par A .Devoulx – conservateur de archives arabes des domaines imprimerie Du gouvernement Alger 1852 – P P: 10-11 .**

(4) هو أبوعبد ا محمد بن محمد المهدي بن رمضان بن يوسف العلج الجزائري المعروف بابن علي ولد حوالي عام 1090هـ / 1679 م ، نشأ في أسرة كانت على صلة بالفتوى والوظائف الرسمية منذ عهد مبكر للعهد العثماني ، كما استمد منها تقاليد الشعر . تولى ابن علي وظيفة الفتوى سنة 1150 ه خلفاً لحسين بن محمد العنابي بعد وفاته واستمر في هذه الوظيفة الى غاية 1169 ه ، وتوفي حوالي سنة 1171ه / 1757 م (سعد ا : تاريخ الجزائر الثقافي ، م.و.ك ، الجزائر 1985 ، ج2 ص ص : 311 ، 323.

(5) أنظر القصيدة كاملة في التحفة المرضية لابن ميمون الجزائري ـ ص ص : 290 ، 298 .

كما نوّه الأديب الشاعر أبو عبد ا محمد بن يوسف بجهاد الباشا بكداش حول نفس الحدث ومآثره فيه ، في قصيدة طويلة اخترنا منها هذه الأبيات :

مولاي فضلك للكروب مفرّج	وبتاج عزّ ا أنت متـ ـ ـوّج
سبقت لك الحسنـ ـ ـ ـ ـى	فعل جميل نوره يتـ ـ ـ ـ ـدرّج
جهزت حقا للجهاد عساكـ ـر	الورى بقدومهم تتفـ ـ ـ ـ ـرج
و حباهم المولى بنصرعندمـ ـا	ركبوا المطايا للجهاد وأسرجوا
فرّت جيوش المشركين أمامهم	لمّا رأوا برق الهدى يتضـ ـرّج
عادت إلى الإسلام داراً مثلما	كانتْ فصار أريحها يتـ ـأرج[1]

ويصفه **ابن سحنون** مبرزاً خصاله الجهادية : " بكداش هو الإمام العلاّمة النّاظم الثّائر مقيم رسم الجهاد الدّائر ... إذ هو الذي أخذت وهران في أيّامه بأمره على يد أميره السّيد مصطفى بيك المشهور بأبي شلاغم .... فكان لا ينفق على الجهاد إلاّ من خاصّ ماله دون مستعين إلاّ بخالقه تعالى،وقد أنفق عليه مالا يحصى له عدد ولا تسمح به نفس سواه أبداً..."[2].

ويقول **ابن ميمون** مشيداً بجهود الباشا المذكور قائلاً : " فلما صار ، الأمر لمولانا "**بكداش**" لم يقدّم شيئاً على الإعتاد بجهاد الكفرة الأوباش ، فجمع من جيش العسكر المنصور ، وأمّر عليهم السّيد حسن ، نصره ا وأيّده ، وخلّد ملكه و أيّده ، ثم قام المولى في عساكره المنصورة با وقال " هذا خليفتي عليكم في حال ، تخيّرته للنّيابة عنّي في تدبيركم ، ..... وقد أمرته أنْ يكونَ لناشيئكم أباً ، و لكَهْلكُم أخًا ، ولذي التقْويس والكبَر إبناً ، ما أعنْتُموهُ على هذا المراد ولزُوم الإنقياد ... فقالوا كلهم : أيْ نعم ، درُه من خليفة وأنعم .... ثم ارتحل من الجزائر بالعسكر المنصور ، و رياح النصرتضرب اللواء المنشور ، ولم يزل يجد سيره في حفظ ا إلى أن نزل بالمحلات ، وطاول المدلات ، فطارت نفس الكافر في أثناء منازلتهم جزعاً ونغصت عليه منيته ، وجاءته منّيته... فخرّ جميعهم من عرشهم ، وعرضوا التراب من فرّهم، فتبارك من لا يكيده كائد ، ولا يبيد ملكه ـ وكل شيء بائد ـ [3] ، وأنشد مادحاً بكداش بقوله:

---

(1) نفس المرجع ، ص ص : 239 ، 244 .

(2) الثغرالجماني في ابتسام الثغ الوهراني: تحقيق وتقديم االمهدي البوعبدللي، مطبعة البعث بقسنطينة ، الجزائر 1973، ص:.109

(3) التحفة المرضية ، ص ص : 210 ، 211 .

ا أكبر أي شيء حزتـ ـ ـه حتى استكان لأمرك العظماء

شهدت لك الأعداء أنّك ماجد و الحق ما شهدت به الأعداء (1)

ويذكر الحلفاوي (2) هذا الفتح في أرجوزته (3) الشهيرة ، ويشيد بمحمد بكداش وصهره حسن أوزن الذي كلّف بهذه المهمّة الصّعبة التي انتظرها الجزائريون منذ زمن طويل ، وتفاعلوا معها أيما تفاعل ؛ اخترنا منها هذه الأبيات :

لمّا أراد ا بالدين جـ ـ ـ ـلا عن أرض وهران بني الكفر جلا

أجاد من حاد عن الخلافـ ـ ـ ـة فاستنهض فتى لهـ ـا خلافـ ـه

فجهّز جيشاً حمى الدّين فسـ ـ ـاد إذ طَهُرَت به بقاعٌ من فسـ ـاد

مؤمر صـ ـهره "أوزن حسـ ـناً " قوماً رضى فسار سيراً حسنـ ـاً

و الحازم العارف باي مصطفى (4) و هو من الأقيال فايق مصطفى

و انقرضت دولة ذي الفسّـ ـ ـاق و الملك القديم الباقـ ـ ـ ـي

و الحمد على إعلائـ ـ ـ ـ ـه كلمة التوحيد في ملائـ ـ ـ ـه(5)

أمّا **عبد القادر المشرفي** فقد نوّه بجهود مصطفى بو شلاغم ، وأشاد بحماسته الجهادية ورباطه المستمر على وهران لمواجهة النصارى الإسبان ، ويشير الى هذا الفتح بقوله: "... والحال أنّ باي الإيالة الغربية الجامع بين إيالة مازونة وتلمسان السيد مصطفى أبو شلاغم بن يوسف المسراتي كان رابطًا على وهران ملازماً لجهاد النصارى ، رائمًا فتحها و صابرًا على بلائها ... فامدّه الباشا السيد محمد بكداش بالجيش العظيم براً وبحراً ، لنظر صهره ووزيره السيد "اوزن حسن " واجتمع الجيش العظيم بساحتها و ضايقوا من بها..." (6)

---

(1) نفس المرجع ، ص : 140 .

(2) هو أبو عبد ا محمد بن أحمد الحلفاوي عرف بصلاحه في الدين وبلغ درجة الإفتاء والتدريس.

(3) تحتوي هذه الأرجوزة على 72 بيتاً وخمسة فصول ، الفصل الأول في ذكر دولة محمد بكداش ، الفصل الثاني في وصف تجهيز الجيش وتوجهه إلى وهران ، والفصل الثالث في كيفية محاصرة المدينة وبروجها ، والفصل الرابع في وصف ما آل إليه المسلمون الفاتحون والإسبان المطرودون ،والفصل الخامس في الثناء على ا و الصلاة على رسوله .

(4) هو الباي **مصطفى بو شلاغم** باي بايلك الغرب يومها.

(5) أنظر أرجوزة الحلفاوي كاملة في كتاب التحفة المرضية لابن ميمون ، ص ص : 249 ، 259 .

(6) بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر ، تحقيق وتقديم : محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، د.ت.ن ، ص ص : 38 ، 39 .

فهذه المواقف الجهادية التي طبعت سيرة الحكام العثمانيين كلّهم تقريبًا ، كانت محلّ الإشادة والتنويه من المصادر المحلّية طيلة فترة تحرير المواقع المحتلّة .

ففي عهد **الداي محمد عثمان** 1179 ـ 1205ه/1766 ـ 1791 م ؛ واجهـت الجزائـر غـارة دانماركية وأفشلتها فعادت الدانمارك تطلب الصلح مع الجزائر وترضخ لشروطها ؛ وقد أشادت المصادر المحلية بهذا الحدث ، ومنها أنشودة شعبية طويلة تجاوزت المئة بيت للشاعر **ولـد عمر** اخترنا منها بعض الأبيات التي ينوّه فيها بعزيمة الحكام العثمانيين على مواجهة الغـزاة وكسر شوكتهم وبطولات المجاهدين واستماتتهم دفاعاً عن الجزائر ، فيقول :

يارب يا عالـم الخفـــــا	اهـزم جيش اعدانـــــــا
قصّة هذا الكـافر ظاهـــرا	**ديـل المرك**[1] اخـزيو جـده
خذلهم ربّي و ذلهــــــــم	لاصلاح الاسلام كيـف شـاء
كيف شاف السلطان [2] ذا العـدو	نادى لاهل الحرب كلهـــم
البهجة اللّي حازت النصـر	ضنّـوها الخزيان ساهلـــه
عرفـوا الكفـار عومـــوا	ذاك اليـوم امشـاو هاربيـن
هذو هما أهـل السّلطنــة	لطـراد الكفار هاويـــــا
تبات الريـّاس واقفـــــا	ما تغفل سهــــــــــران
تمت ذا القصّـة الموافــقة	في شهر المولـد عـن يقيـن
بعد الميا والألف لاحقـــــه	في الرابـع من الثمانييـن[3]
ولد عمر يبغـي كـما شـفـى	تدعوا له بدعـا صالح زيـن [4]

و في عهد الدّاي عثمان دائماً ورد ت على الجزائر حملة عسكرية اسبانية منّيت بالهزيمة ، خلّد تفاصيلها ابن سحنون مشيداً بدور الدّاي في تحقيق النّصر في قصيدة طويلة اخترنا منها الأبيات الموالية :

---

(1) الدانمارك .

(2) الداي محمد عثمان .

(3) 1184هـ/1770 م .

(4) أنظر القصيدة كاملة لدى جلول يلس و أمقران حفناوي:المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون ، ص ص : 29 ، 34

يا بشير السّرور سر في البـلاد مسرعًا فوق عاديات الجيـ ـ ـاد
كي تبشّر كلّ حـمى بمـ ـ ـاذا فعلت بالعدا الصقور العـ ـوادي[1]
حين جاءوا إلى الجزائـ ـ ـ ـر دار النّصر باسم ثغر كلّ بـ ـلاد
جاهلين بكون آمال أهـ ـ ـ ـل الكفي يعكسها إله العبـ ـ ـ ـ ـاد
و يدافع دائماً عن أنـ ـ ـ ـاس جاهدوا في رضاه حق جهـ ـ ـاد
فعدت عنهم الصقور التي قيّجوها لا تصيد غير الأعـ ـ ـ ـ ـادي
قد كستهم من المذلة والعـ ـ ـار وباس الخسار ثوب حـ ـ ـ ـ ـداد
مثل ما ألبستهم ليلة الحـ ـراش[2] ما ألبستهم من سـ ـ ـ ـ ـ ـ ـواد
وكست ديننا من العز ثوبـ ـ ـا قد ترداه كل ضيغم عـ ـ ـ ـادي[3]

أما فترة حسان باشا1205هـ - 1791م / 1212هـ - 1798 م فقد شـهدت أعظـم فتح اشرأبت له أعناق الجزائريين منذ زمن بعيد ؛ إنه فتح وهران الذي تمّ على يد البـاي محمد بن عثمان [4] سنة 1206 هـ/ 1792 م وأعطاه الباشا لقب "محمد الكبير" إثر ذلك .

وقد خلّد العلماء والشعراء والكُتّاب هذا الفتح بقصائدهم و كتاباتهم ، وأشادوا به أيّما إشادة واصفين مراحله بدقّة متناهيّة ، مادحين محقّقه بكلّ ما جادت به ألسنهم من شعر ونثر ، وتناقل الناس أخباره حتى ذاع في كلّ البقاع .

ومن ذلك ما ذكره **ابن هطال التلمساني** مبرزاً عزيمة باي الغرب و تصميمه علىتحرير مدينة وهران من الإسبان ، بأسلوب يحمل في طيّاته الفخر والإعتزاز بهذا الرّجل ، وهو يثنـ ـي عليه بقوله : " و في فاتح صفر 1205ه قررّ محمد الكبير أن يستردّ مدينة وهران من الإسبانيين ، وأرسل الى الداي يشاوره في الأمر ، فأذن له الداي محمد عثمان باشا في ذلك ، فنادى الباي في الناس حي على الجهاد ، وأرسل إلى جميع نواحي معسكر رسل ليخرجوا رغبةً بما عزم عليه و صمّم في تنفيذه ،

---

(1) يعني به الجيش الذي جهزه الداي محمد عثمان باشا .

(2) الموقعة التي انهزم فيها شارل الخامس سنة 1541 .

(3) المرجع السابق : ص 262 .

(4) هو محمد بن عثمان باي الغرب الجزائري ، تولى البايليكية سنة 1192هـ/1779م و تمّ على يده تحرير مدينة وهران من الإسبان سنة 1206هـ/ 1792 م متخذًا منها عاصمة لبايلك الغرب بدل مدينة معسكر .

فأتته النّاس زرافات ووحدات ، و اجتمع لديه جمعٌ غفيرٌ من أهل كلّ ناحيّة من نواحي الإيالة الغربية في مدّة أسبوع منذ انطلاق الخبر .... وبعد هجومات متوالية على أسوار المدينة قام بها جيش الباي في غضون أسبوعين ، قرّر الباي أن يبقـي جيشـه هنـاك محاصراً للبلاد.... وقد دام هذا الحصار إلى أول محرم 1206هـ [1] حيث رُفـع بسـبب إبرام إتفاق صلح بين داي الجزائر و سلطان الإسبان ؛ جاء فيما يتضمنه من مواد : تُسلّم مدينة وهران إلى الدّولة الزّكية الجزائرية بجميع ما فيها من سلاح و ما عليها مـن بنـاء مثلما كانت عليه يوم خروج مصطفى أبي الشلاغم سنة 1143ه [2]......" [3] .

كما خصّه **ابن سحنون** بقصيدة ، فيها مدح وثناء على ما بذله وجيشه من جهد في تطهير وهران من الأسبان ، وكيف أعاد إليها هدى الإسلام .

أمسى لها[4]دين الهدى عروساً والعلم فيها يقتضي دروسـ ـً ـا

بيوم سعد عطره أريـ ـ ـج عمّ البلاد نوره البهيـ ـ ـ ـ ـ ـج

جند الأميرصادف الأعداء فلم يدع في الأرض منهـا داء

وحلّ فيها رتبة الخلافـة سليـلـه متبعـًا أسلافـ ـ ـ ـه[5]

كما أشاد **أبو راس الناصري** بهذا الفتح ومنوّهاً بالفاتح في قصيدة طويلة اخترنا منها ما يلي:

خليلي قـل كاب الشراب المـورد لما أن صارالأميرفي الثغـر يقصده

واجبت رحال الوافدين أم عسكـر وقل كان مأوى للوجـود و مقصـده

تجز ا وهران لما افتتـحـها وقل قالت أهلا بالحبـيب محـمد

بفتحه لوهران وسطـة عقرهـم بها طال ملكهم قديـما ممـ ـدّد[6]

وامتدح نقيب أشراف الجزائر جهود باي وهران التي تكلّلت بفتح المدينة : " وفي سنة

---

(1) 1792م

(2)1730م

(3) رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الجزائري ، تحقيق وتقديم : د . محمد بن عبد الكريم ، الطبعة الأولى ، مطبعة عالم الكتب ، القاهرة ، 1969 م ، ص :19 .

(4) يعني مدينة وهران .

(5) المرجع السابق : صفحة 423 .

(6) عجائب الأسفار ولطائف الأخبار : مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، تحت رقم 1632 ، عدد أوراقه 165 ورقة مكتوب بخط مغربي ، ورقة : 17 .

الست [1] فتح الباي محمد وهران ... وأطال الحصارعليها ، حتى سلّموا وخرجوا منها،و جاءت البشائر للجزائر بفتحها ، وانتقل الباي محمد إليها وسكنها و صارت سكنًا للبايات من بعـده ، ودخل النّاس إليها وعمّروها ، و بُنيت فيها المساجد . وبعث حسن باشـا ، بشـارة فـتح وهران ، و مفاتيحها إلى السّلطان سليم [2] .... ففرح بذلك واستبشر المسـلمون بهـذا الفـتح العظيم و النصر المبين..." [3].

وقد أشاد بالدّور البطولي والجهادي الذي قام به الباي محمد في تحقيق هذا الفتح كثير من المثقفين الجزائريين ، الذين وإن لم يعاصروه فقد تأثروا بموقفه الجهادي هذا وتواتروا أخباره ونوّهوا به ؛ ومن ذلك ما جاء على لسان **أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي** : " لمّا مـنّ ا على المسلمين عامة وعلى أهل المغرب الأوسط خاصة بفتح وهران ، وتطهيرها من أرجـاس الأوثان على يد من قيّضه ا لفتحها وأرشده لسعادتها ونجاحها ، مشيّد راية الإيمان ، وباسـط مهد العدل والأمان... "[4]

وما جاء على لسان **الأمير محمد** من إشهار وإبراز للمواصفات الجهادية التي ميّزت محمد الكبير ومكّنته من استرجاع وهران حين علم الأسبان بأن لا جدوى من مواجهة هذا الرّجل "...لمّا علم ملك اسبانيا أن **محمد باي** قوي العزيمة ، عظيم الرغبة في فتح وهران ، كتب إلى **بابا حسن**[5] في تسليمه و اشترط أن يسلّمها على ما كانت عليه حين دخلتها جيوشها ،وأن يخرّبوا جميع ما أحدثوه فيها من الأبراج والقلاع ، فأجابه الوالي إلى ذلك على أن يدفع مصاريف الحرب فقبل الملك وتمّ الجلاء " [6] .

ويعطينا **ابن سحنون** في الثغر الجماني وصفًا دقيقًا لجهاد الجزائريين في العهد العثماني جاء فيه. ".... فإن أهل الجزائر نصرهم ا لم تزل أساطيلهم تغزو في البحر التي ضيّقواعلى الكفرة عريضه ، ومنعوهم سلوكه،و كثيرًا ما غزت الكفرة بلادهم فرجعوا بخفي حنين،وباؤا بخسر

---

(1) الست : أي سنة 1206هـ / 1791م

(2) سليم : هو السلطان سليم الثالث الثامن والعشرون من آل عثمان حكم ما بين 1203ـ 1222ه/ 1789 ـ 1807م.

(3) أحمد الشريف الزهار : مذكرات ، تحقيق أحمد توفيق المدني ، ش.و.ن.ت ، الجزائر1980 ، ط2 ، ص : 63 .

(4)القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط ،تحقيق وتقديم : د.سعيدوني ، د.غ.إ.بيرمت ، لبنان1991،ص:72

(5) هو الداي حسان باشا الذي فتحت وهران في عهده .

(6) تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر ، شرح وتعليق : د . ممدوح حقي ، دار اليقضة العربية ، بيروت ، لبنان 1964 ، الطبعة الثانية ، ص : 112 .

وجبن..." [1]

" إنّ تاريخنا الجزائري المجيد ، منذ نشأت الدولة الجزائرية ضمن الخلافة العثمانية ، الى أن تمكن الجزائريون من انقاذ مدينة وهران نهائياً ، أي سنة 1207ه/ 1792 م ، كان تاريخاً حافلاً بالبطولات ، مسجلاً للأمجاد، زاخراً بانتصارات حربية باهرة ، مدهشة ، لا يكاد العقل يتصورها. " [2] . وندرك ذلك بوضوح من خلال نماذج التعبئة الجهادية التي مرّت بنا ، والتي التزمها العثمانيون في الجزائر طيلة وجودهم بها ، وكانت هي السّمة الغالبة على فترتهم والمميّزة لسّياستهم ؛ والتي لم نكد نجد معاصراً لها إلاّ ونوّه ، وأشاد بأصحابها .

ثانياً ـ في مجال الإصلاح و رعاية العدل وصيانة الأمن :

كان للمصادر المحلّية نظرتها وآراؤها الى جهود الحكام العثمانيين في الجزائر في تلك المجالات ، وخاصّة فيمايتعلق منها بحمايتها والسّهرعلى مصالحها وصيانة الأمن ورعاية العدل بها، نستعرض ما تيسّر لنا منها .

يقول **حمدان خوجة** ، وهو من الذين يغضّون الطّرف عن مسـاويء الحكـام الأتـراك ويحرصون على إظهار محاسنهم : " كان قادة الحاميات الشيوخ يقولون لأجنادهم : إننا لـم نخضع هذا الشعب بحدّ السيف و لم نمتلك البلاد بـالقوة ، وإنمـا أصـبحنا سـادة بالعـدل والإحسان، وفي بلادنا قادة ؛ وإنّما حصلنا على مناصبنا في هذا القطر ولذلك فهو وطننا ، و واجبنا أن نجتهد للمساهمة في إسعاد السكان كما لو كنا نعمل من أجل أنفسنا " [3]

ندرك من هذا القول المشتمل على التّوجيهات التي يقدّمها القائد لجنده مـدى الإحسـاس بالمسؤولية لدى هؤلاء القادة ، وكيف يعملون على غرسها في نفـوس جنـودهم ، ينبّهـونهم بضرورة العدل والإحسان في تعاملهم مع السّكان ، الذي هوأساس وجودهم بأرض الجزائـر، و تجنب كلّ ما يثير أحاسيسهم ، ويثير حافظتهم . وهو ما ذهب إليه **أحمد بو ضربة** في تقريره للّجنة الإفريقية ، مقدماً بعض المواصفات التي ينبغي مرعاتها في التعامل مع السكان، والتـي ساهمت في طول بقاء العثمانيين بالجزائر، ونلتمس منها إشادة وتنويهاً غيرصريح بالسّياسة التي

---

(1)المرجع السابق : ص : 110 .

(2) أحمد توفيق المدني : تقرير رسمي عن الإنتصار الجزائري العظيم في آخر معركة بحرية ضد اسبانيا ، مجلة التاريخ، االنصف الأول من سنة 1980 ، إصدار المركز الوطني للدراسات التاريخية ، الجزائر 1980 ، ص : 79 .

(3)المرآة : ص : 100.

انتهجها العثمانيون في تعاملهم مع السّكان وأعطت ثمارها : "...وإذا أردتم دفع الحضارة إلـى الدّاخل فلديكم وسيلة واحدة هي : الصبر ، والوفاء ، والإلتزام بالعهود ، والعـدل والإنصـاف والإعتدال ، وبالتالي جميع الصفات التي يتحلّى بها الإنسان النزيـه ، وإذا أردتـم أن تفعلـوا غيرذلك ... فلن يكون النجاح حليفكم ...." (1)

أمّا **حمدان خوجة** فإنه ينوّه ويشيد بسيرة وسلوكات العثمانيين الأتراك ، وبمدى التزامهم بالقوانين ، ومدى احترامهم لعادات السّكان واجتهادهم في الإبتعاد عن كلّ ما من شأنه أن يسيء الى وجودهم بأرض الجزائر فيقول :" و من النّادر أن تجد سارقاً أو قاتلاً من هؤلاء الجنود، وقد كانوا شديدي الحرص على احترام عادات البلاد ليحبّبوا أنفسهم إلى سكان الإيالة ،ومن كانت لهم بعض المساويء كانوا يعملون على إصلاحها ، أو يخفونها بدقّة ...لأن مستقبلهم موقوف على حسن سيرتهم " (2) ، كما يبرز في نفس الصّدد بعض المواصفات والسّلوكات التي ميّزت سيرة بعض الحكام العثمانيين وهم يقدّمون المثل الأعلى في التضحيّة من أجل الجزائر فيقول **:** " فنجد الكثير منهم لا يتزوّجون عمداً ليتركوا ثرواتهم الى بيت المال . " (3)

ولعل هذه الطّباع التي اتّسمت بهاشخصيةالحكّام عموماًهي التي أطالت من بقائهم في أرض الجزائر وجعلت العلماء ورجال الصوفية والمثقفين عمومًا يساندون جهودهم ويؤازرون مواقفهم ويؤيّدون سياستهم .

فهذا **ابن سحنون** يشيد بالمجهودات التي كان يبذلها العثمانيون في الجزائر لتوفير الأمن وحفظه : ".... ثم إن دولة الأتراك ألقت بهذا المغرب الأوسط كلكلها ..... فدوّخوا عصاتها ، ودانت لهم أهلها ، فانقطعت عروق الفتن... (4)

و في نفس الصّدد يتحدث **أبو راس** منوّهاً ومادحاً ومفاخراً بالمواصفات التي ميّزت سياسة محمد الكبير في مجالات العدل والأمن والإصلاح ، وهو واحدُ من عظماء البايات العثمانيين في الجزائر فيقول : "... وكنت مرة قصدت "وهران" وافداً على حضرة من ناب في مدحه لسان الحال ، عن لسان المقال... الملك الأصيل... الرّفيع الشأن ، السيد محمد باي ابن عثمان،

---

(1) محمد العربي الزبيري : مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، ش.و.ن.ت ، الجزائر1973 ، ص ص : 200 ، 201 .

(2) المرآة ، ص : 119 .

(3) نفس المرجع ، ص : 135 .

(4)المرجع السابق ، ص : 441 .

أخاص ا جهاده ، و يسّر في قهر أعداء الدّين مراده ... المتكفّل بحفظ النفوس والأموال ، قطب المجد و سماكه ... الحافل العادل ، الفاضل الكافل ، الكامل الأصيل، هازم أحزاب العاندين وجيوشها... الرفيع المجاهد المرابط ، المقسط عدله في الجائر، القاسط ،المؤيد المظفّر المطهّر رحمه ا وسقى ثراه " [(1)] .

هذه المواصفات التي ميّزت سيرة الكثيرين من الحكاّم ، كان أثرها بليغاً في وقوف القوى المحلّية الى جانبهم طيلة الفترة التي سبقت التحرير الكامل للمواقع المحتلة .

وهو ما عبّرعنه **حمدان خوجة** ، مبرزاً بأسلوب مادح ، مدى التزام الحكام العثمانيين في الجزائر بمبدأ العدالة والإنصاف بين السّكان : " .... وهناك وسيلة أخرى استعملها الأتراك لاكتساب ثقة الأهالي و تتمثل في تطبيق العدالة و الإنصاف اللّذين يعتبران أساساً لجميع الحكومات التي تريد أن تكون عظمتها دائمة . و عندما يتم التأثير على العقول فإن الأجسام تتبع بالطّبع ، وما الفتح الحقيقي إلاّ ذلك الذي يستهدف القلوب لا الأجساد ... " [(2)]

ثالثاً ـ في مجال محاربة الفساد :

نوّهت الكثير من المصادر المحلّية بالحرص الشّديد لدى القابضين على السّلطة في الجزائر لمحاربة الفساد ، خاصة ما تعلّق منه بملاحقة قطّاع الطّرق أفراداً كانوا أو جماعات ، وتأديب المنحرفين ابتداء بتقويم سلوك البايات الذين شاع فسادهم بين النّاس ، شعورًا منهم بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم في المحافظة علىالرّابطة التي تجمعهم بالسّكان ؛ و من ذلك تتبّع سيرة القائمين على الأقاليم في سلوكاتهم ومعاملتهم لمن تحت أيديهم من الرّعيّة ، وهو ما أشاد به **صالح العنتري** في سرده لسيرة بعض البايات وعاقبة ما لقوه من السّلطة الحاكمة نتيجة انحرافهم ، فيقول عن **دالي باي** [(3)] : " تولى دالي باي في عام سبعة وثمانين وألف ، وكان رجلا قتّالا يأخذ أموال الناس بالباطل ، فاشتكوا (كذا) به ناس قسنطينة إلى الباشا [(4)] بالجزائر **فقتلـه** " [(5)] .

(1) فتح الإله ومنتّه في التحدّث بفضل ربي ونعمته ـ تحقيق وضبط وتعليق : محمد بن عبد الكريم الجزائري ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر 1990 م ـ ص 100 .

(2) المرجع السابق : ص : 110 .

(3) دالي باي : حكم بايلك الشرق مابين 1676 -1679م .

(4) هو أوّل داي حكم ما بين 1671-1682م.

(5) فريدة منيبة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها (تاريخ قسنطينة) ، تقديم وتعليق : يحي بوعزيز ، د.م.ج ، الجزائر 1991 ، ص : 49 .

وأحياناً كان الباي يعاقب **بالعـزل** جرّاء انحراف أبنائه كما فُعل بالباي مصطفى انقليز[1] الذي يقول عنه : " تولى انقليز باي رحمه ا وهو تركي قديم في قسنطينة وهو رجل عاقل متصف بأوصاف العرب ، وكانت ولايته تشبه زمان ولاية صالح باي في الرّخاء و العافية ، وتمهيد الوطن، وكان سبب انقضاء ولايته ، هو أنّ واحدًا **من أولاده اشتهر بالفسق و الفساد ، و انجرّت إدانته إلى ناس البلاد** فلمّا شاع أمر فساده وتبيّن قُبح صنيعه ، **أمر الباشا بعزلـه** . " [2]

لقد كان لهذه المواقف أثرها الفعال في كسب ثقة السّكان و حملهم على مساندة الحكام والوقوف إلى جانبهم .

وفي نفس الصّدد يمتدح **ابن سحنون** سياسة محمد الكبير وهو يقدّم من خلاله صورة حيّة عن محاربة العثمانيين للفساد ومطاردتهم لقطّاع الطّرق من أجل الحفاظ على الأمن العام وزرع الطمأنينة في النفوس، فيقول عنه: " قد نقّى إيالته من المخاوف، وأذهب من غياضها وغياباتها وشعابها موجبات المتالف ، حتى صارت مستراحاً للقوافل والسّفار ...وما ذلك إلاّ لكونه عدى على العادين فداخهم حتى طاب لأبناء السبيل مراحهم ومناخهم ...فلقد كان الأعشاش [3] وهم قوم في أخريات عمله بينه وبين رعّية سلطان المغرب لا تمرّ بهم قافلة إلاّ استلبوها ولا أوى إليهم شريد إلاّ قتلوه ... فغزاهم - أدام ا عزّه ... وشتّت شملهم حتى لا نسمع الآن من سوء ... ، وقد كان الحشم [4] المعروفون لا يؤتى من عندهم بالجاني ، ولا ينالهم من المخزن أكبر ضر حتى كثر فسادهم وقطعهم الطريق ... حتى تولى هذا الباي ... خذلوا واستكانوا ثم صيّرهم من جنده . " [5]

وأشاد بجهوده في محاربة الفساد ونوّه بخصاله في قصيدة اخترنا منها هذه الأبيات :

أما ترى الملك قد ضاعت جوانبه وما عتى مذ أتى في الغرب جـبار
ذاك الجواد أمير الناس قاطـ ـبة محمد خير من قاموا ومن سـاروا
لا زال يسطو ويعطي ثم يقطع من يسطو ويردع من عتوا ومن جاروا [6]

(1) الحاج مصطفى انقليز : كان بايا على قسنطينة ما بين 1798-1803م

(2) نفس المرجع ، ص : 52 .

(3) قبيلة قرب مغنية

(4) قبيلة قرب معسكر

(5) نفس المرجع : ص ص 136 - 137 .

(6) نفس المرجع : ص134 .

وفي نفس الصدد يشيد **حمدان خوجة** ببعض المواصفات التي أكسبت العثمـانيين ثقـة السّكان وجعلتهم يتعايشون معهم طيلة وجودهم بالجزائر فيقول : ".... كانوا يظهرون أنفسـهم في مظهر حماة الدّين ، و يمتنعون عن القيام بكل ما هو منافٍ للقوانين ، ولا يعملـون إلاّ بالقانون ، ولفائدة القانون ، ثم هناك وسيلة ثالثة عرضية فحواهـا أن الأتـراك يقيمـون الصّلاة بانتظام .... هذه هي الأسباب التي جعلت سكان الإيالة يخضعون طواعية للأتـراك ويثقون فيهم ..... وإذا اعتزمت إحدى القبائل على تشويش الأمن العـام ، فإن القبائـل الأخرى تنضم إلى الأتراك لمحاربتها ، و قلّما يلجأ هؤلاء إلى قوّتهم الحربيّة ، و إنّما كانوا يفضّلون الإعتدال لبلوغ الأهداف التي وضعوها لأنفسهم .... " . (1)

رابعاً ـ في مجال الثـقافـة :

نوّهت المصادر المحلّية بالمساعدة التي كان القطاع يلقاها من بعض رجال الحكم في شكل هبات مالية ، وأوقاف ، وإكرام للعلماء ، الأمر الذي جعل هذا القطاع يعرف بعض التحسـن والإنتعاش ؛ حتى وإن لم يكن مجال الثقافة في مقدّمة إهتمامات الأتراك ، بالقدر الذي حظي به المجال العسكري وتنظيماته في تصدّره لأولوياتهم .

وإن كان لتلك السّياسة مبرّراتها ، فإنّ الثقافة المرتكزة أساسًا على العلوم الدينية يومها ، كانت متروكة للمبادرات الشخصية للعلماء وشيوخ الزوايا و المساجد ، يعلّمون الطّلبة ، ويلقون الدّروس بانتظام ، و يقدّمون الإجازات ؛ ومنها لقي العلماء من الإحترام والتقدير لدى السّلطة الحاكمة ما يليق بمقامهم ، وإن كانت هذه الأخيرة لم تضع سّياسة لإنعاش الثّقافة و انتشارها ، ممّا جعلها محصورة في أشخاص معيّنين وأماكن محدودة في النّهاية عاجزةً عن التأثير الذي هو شرط أساسي لنهضة المجتمعات ؛ إلاّ أنّ هذا لم يثن عزيمة الجزائريين في طلب العلم وأخذه من بلاد المشرق أو المغرب حيث مراكز الإشعاع العتيقة المتمثلة في المسجد النبوي الشريف ، الجامع الأزهر، جامع الزيتونة ، جامع القرويين ، ليعودوا إلى الجزائر علماء و مدرّسين ، و نبغاء في الشعروالخطابة وعلوم الدّين، وممّا زاد في حيويّتهم وكثرة تآليفهم ، هو تشجيع بعض الحكام لهم واهتمامهم بنشاطهم .

فهذا **أبوراس الناصري** ينوّه بجهود بعض الحكام في مجال الثقافة ، متحدثاً عن بيت الكتب

---

(1) المرجع السابق : ص: 111 .

بقوله: "وقد بناها الملك الأصفى ، والخليل الأوفى ، والمحب الأضفى، السّيد البايمصطفى..."[1] ويضيف قائلاً : "ولما أردت تجديد تبييضها وترميمها ذكرت ذلك للباي الأسعد الأمجد عزيز النصر، ونخبة العصر ، وريحانة الدهر ، السادل على الرعية الأمن والأمان ، الباي السيد محمد بن عثمان ...فبعث لي مع ساقيه مائة ريال بوجوهها ، قامت أوفى إقامة بترميمها وتبييضها . [2] ويشيد بتكريم الباي محمد الكبير له كرجل علم عند عودته من الحج : " ولمّا أبتُ من الحج سنة سبع وعشرين ، [3] أعطاني مائة محبوب ، جعله ا - يوم القيامة - مقرباً ومحبوباً ". [4]

أمّا **ابن سحنون** فإنّه يمتدح هذا الباي في محبته للعلم بما يلي : " ولمحبة هذا الأمير للعلم والأدب كان يشتري كتبه بالثمن البالغ ، ويستكثرمنها وينتسخ مالم تسمح نفس مالكه ببيعه ، وكثيراً ما يأمر بقراءتها بحضرته في مجلس حكمه . " [5]

تلك هي المكانة التي حظي بها العلماء لدى بعض الحكام العثمانيين ، وهذا بشهادتهم هـم أنفسهم ومن ذلك نظرتهم الى هؤلاء ، وقد عايشوا حكمهم ، ومـدى مراعـاة بعـض الحكـام العثمانيين للجانب الثقافي ، الذي كانت أهمّيته في نفوس بعضهم كبيرة ؛ حيث بناء دور الكتـب والاهتمام بترميمها ، والعناية بها ، وتكريم القائمين عليها ، وولوع بعضـهم بشـراء الكتـب والإستماع إلى قراءتها والإجتهاد في الإستفادة من مضامينها .

أمّا مدينة الجزائر وهي عاصمة الإيالة ومقر السّلطة الحاكمة ، فقد أشادت العديد من المصادر بمكانتها العلمية ودورها الثقافي .

فهذا **عبد الرحمان الجامعي** يفاخر بها فيقول : " فهي والحمد إلى الآن دار الجوهر الفريد في الأدب ، وعلم العقل والنقل ، و تُنبت العلماء ، والصّالحين كما تُنبت السّماء البقل ... وهذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء وعلماء أدباء ، وأعلام خطباء ، مساجدهم بالتدريس

---

(1) فتح الإله ومنّته (المرجع السابق) ص 75 .

(2) نفس المرجع: ص 75 .

(3) 1227 = 1812م .

(4) نفس المرجع : ص 76 .

(5) المرجع السابق ، ص : 147 .

معمورة ، و مكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة ومشهورة ..." [1]

و في هذه الأوصاف ما يعكس جهود الحكام في توفير الأجواء المشجعة على إنعاش الثقافة ، خاصّة الدّينيّة والأدبية منها ، وبقي هذا الإهتمام الى آخر أيامهم .

فقد جاء في قصيدة لشاعر مجهول نقشت على اللّوحة التي وضعت عند مدخل المدرسة الكتانيّة التي أمر صالح بـاي [2] ببنائها عام 1189هـ/1775م ، تنويهاً بدور هذا البـاي في تشجيع العلم وإحياء دروسه ، والإهتمام ببناء مراكزه ومدارسه ؛ تضمنت هذه الأبيات :

طاب الزّمان بمن يولي نفعـه   للمسلمين وزاد في عليـ ـ ـ ـاه
ملك يؤمّ الصالحـات بعدلـ ـه   فاختار آخرته على دنيـ ـ ـ ـاه
أحيا دروس العلم بعد اندراسهـا   و بنى لها داراً زكى مبناهـ ـ ـا
يعني مدرسة لاحت أشعة نورها   لم لا وهي الدّر في معنـ ـ ـ ـاه
جاءت بها نفس المعظّـم صالح   ذاك المجاهد يبتغي مـ ـ ـ ـولاه
فا يرزقه السّعادة دائمـ ـ ـًا   و ينبله يوم القيّامة منـ ـ ـ ـ ـاه
قد بيّن التاريخ في قول لنـ ـ ـا   فخر المجاهد بالهنا مبنـ ـ ـ ـاه [3]

وفي نفس الصدد أشاد **أحمد القرومي** [4] بالمدرسة المحمدية التي بناها الباي محمد الكبير بمعسكر إلى جانب الجامع الكبير في قصيدة جاء فيها مايلي :

وترى المدرّس قد علا كرسيّـه   يلقي على العلماء حب الجوهـ ـر
تحويه مدرسة غدت آثارهـ ـا   تحييه بالعلم الشريف الأشعـري
تمحي رسوم الجهل من ألواحه   تحمي شمائله من الزور السـ ـرى [5]

---

(1) نقلا عن عبد القادر نور الدين : صفحات من تاريخ مدينة الجزائر ، مطبعة البعث بقسنطينة ، الجزائر 1965 ، ص ص : 198،199

(2) صالح باي : حكم بايلك الشرق مابين 1771- 1792 م.

(3) نقلا عن سعد ا : تاريخ الجزائر الثقافي ، جزءان ، م.و.ك ، الجزائر 1985 ، ط2 ، ج2 ، ص ص : 294 ، 295 .

(4) هو أحمد بن محمد بن علال القرومي ، وفد على الباي محمد الكبير بمدينة معسكر ومدحه على أعماله بقصيدة شعرية . وهو من قرية قرومة ، قرب الأخضرية ، والجدير بالذكر أن أحد أفراد أسرته قد مدح محمد بكداش من قبل كما أشرنا الى ذلك رسالتنا ص : 34 . (أنظر سعد ا : نفس المرجع ، ص : 270) . وقد ذكره الورثيلاني في النزهة واصفاً إياه بالصلاح بقوله : " فاجتمعنا مع فضلاء زمورة وخاصتها ، وعلمائها ، وأهل الفضل منها وكذا مع صلحائها كالقرومي . " ، ص : 699 .

(5) نقلاً عن سعد ا ، نفس المرجع ، ص : 271 .

ويذكر ذلك **ابن سحنون** من جهته مشيداً بالترتيبات التي وضعها محمد الكبير لهذا المسجد ، والتي تبرز جهوده كواحد من الحكام العثمانيين في ميدان العلم والثقافة فيقول: "......ورتب له خطـيباً (يقصد المسجد) وإمامًا وأربعة مدرّسين أحدهم للتفسيروالحديث ، والثلاثة لغيرهما، ورتّب لكلّ بيت في المدرسة ما يكفي لشراء الزّيت في كلّ شهر، ولمقدّم الطّلبة راتبًا معلومًا ، ولمن يصحّح ألواحهم كذلك ، وكذا لمن يقرءون الحزب داخل المسجد صباحًا و مساءً، و لمن يروي للنّاس حديث اللّغو يوم الجمعة ومن يقرأ لهم تنبيه الأنام وغير ذلك ، وكتب اثبات الجميع في حجر مثّبتة في جدرانه، فكان كلّ ذلك له من الأثر العظيم المثبت في عقد حسناته النظيم..." (1) .

ولم يقتصر الأمر على البايات فحسب ، بل الدايات أيضاً قد تفاعل بعضهم مع هذا النشاط الى آخر أيام حكمهم ؛ ومن ذلك ما حدّث به **الشريف الزهار** عن **الداي حسين** وهوآخر الحكام العثمانيين في الجزائر منوهاً بجهوده في مجال العلم والثقافة فيقول :

" وفي هذه السنة(2) هدم الأمير مسجد سافر وأعاد بناءه في نفس السنة وجعل درساً لصحيح البخاري كلّ يوم ، بجامع خضر باشا ، على أن يُختم كلّ شهر ثم جعل حزبًا بالجامع الأعظم ، وفيه أربعون طالباً ، يقرأون سورة " إنا فتحنا لك فتحًا مبيناً " (3) كلّ يوم وقت الزوال " (4).

خامساً ـ في مجال التعميـر :

انصبّ اهتمام العثمانيين على بناء الحصون و المساجد والقصور ، فكان ذلك محلّ فخر واعتزاز نوّهت به المصادر المحلّية ووصفت مختلف معالمه .

إنّ الشّروع في التعمير كان مع أوّل ظهور للعثمانيين بأرض الجزائر ، إذ كانت البدايـة بإقدام خيرالدين بربروس على إنشاء المرسى الجزائري حين أوصل الجزرالجزائرية بعضـها ببعض ، إثر تمكّنه من تطهير قلعة الجزائر(برج الفنار) من الإسبان .

وكثيرة هي المآثر العمرانية التي خلّدت العثمانيين بأرض الجزائر ، فأشاد بها معاصروها بل اعتبروها مفخرة للجزائر خاصّة ماكان منها لصدّ الأعداء .

(1) المرجع السابق : ص 132 .
(2) سنة : 1244هـ/1828م .
(3) الآية: 01 من سورة الفتح .
(4) المرجع السابق ، ص : 166 .

ومن هؤلاء **الحسين الورثيلاني** الذي أشاد بذلك في رحلته قائلاً : "... ولأنّ مادة البحر في الجزائر أوسع من مادة البر ، وعلى تقدير وجود الأموال ،... بنوا الحصون بها والأبراج والأسوار والثّغور ، وأقاموا العساكر والنّوبات في كلّ محلّ محوّف ، كثغر بجاية وجيجل والقل وبونة وغير ذلك ممّا يحتاج إليه الحفظ من العدو . " [1]

ويقدم **محمد بن يوسف الزياني** بأسلوب يحمل في طياته الإكبارلما أنجزه الداي ابراهيم، وما وصف به انجازه فيقول : " ثم تولى ابراهيم بن رمضان أفندي سنة 1144ه[2] وهو الذي بنى قنطرة الحراش ونقش اسمه وتاريخ بنائها على لوح من الرخام مركباً فيها أربع أبيات من الرجز نصها:

تـمّ بناؤها البديـع البـاهـي عـن اذن بانـيها لوجـ ـه ا

وهو ابراهيم باشا بن رمضان فصار قنطرة كمـا ترى العيان

جعـل ا سعيه مذكـ ـوراً ثـم جـزاه جـزاء موفـوراً

سنة تسع اربعين مائة ألـف[3] من هجـرة من له العزوالشرف[4]

أمّا **الشريف الزّهار** فإنّه أشاد بمآثر الداي **محمد عثمان** العمرانيّة قائلاً: " وله مآثر حسنة ، منها بناء عدة أبراج للجهاد ، أوّلها برج سردينة والبرج الجديد ، وبرج رأس عمّار بناه فـي قتاله الأخير مع الصبنيول ، وكان أهل البلاد يذهبون و يخدمون هناك بأنفسهم يبتغون بذلك وجه ا ، ويرجون ثوابه... فمن حسنات هذا الباشا رحمه ا أنّه أعاد بناء ذلـك المسـجد العتيق وجدّده أحسن تجديد ، و كساه بأعراض الرّخام الأبيض ، و كسا حيطانـه بـالزّليج ، حتى لا يرى البياض بداخله إلاّ المنبر وأعراض الرّخام . ومن خيراته أنّه أتى بماء الحامّة للبلاد ، وبنى له ساقية ، وأوقف عليه أوقافاً لخدمة مجرى الماء إن فسد ، ولأجرة وكيـل الماء و أمر بتفريقه على أبراج باب الجهاد ، وعلـى المسـاجد و القشـل العسـكرية ، و الميضات للوضوء ،وما بقي فرّقه على العيون بزقاق البلاد ، يملأ النّاس منه للدّيار ... " [5]

---

(1) نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار(الرحلة الورثيلانية) ،مطبعة بيير فونتانا الشرقية ،الجزائر 1908،ص:686.

(2) 1732 .

(3)1736م .

(4)دليل الحيران وأنيس السهران في أخبارمدينة وهران،تقديم وتعليق:المهدي البوعبدللي، ش.و.ن.ت،الجزائر 1979،ص:187

(5)المرجع السابق : ص : 24 .

كما امتدح **ابن سحنون** المنشآت العمرانية **لمحمد الكبير** بمدينة معسكر وأشاد بها قائلاً :

أنظر رعاك اله الخلاق واعتبر   لمسجد رائـق قد لاح للبشـر
متوّج بالبها بالحسن مشتمـلٌ   بالظّرف مؤتزرٌ باللطف مشتهر[1]

ويضيف منشداً شعراً في الدّار التي بناها محمد الكبيربضواحي معسكر واصفاً إياه بالليث الذي يسكنها، ويرسم أوصافها بجميع مرافقها وبساتينها ، وفي ذلك مديح للباي الذي كان مولوعاً بالعمران **فيقول:**

أهذه هالـة للبـ ـ ـ ـدر أم دار   ضاءت عليها من الأكوان أنوار
وألبستها يمين الصانعـين حلـى   كأنها في سماء الحُسن أقمـ ـار
أنظر لها وهي في البُستان واقفـة   وحولها فيه أشجـارٌ و أزهـار
أكرم به منزل رقـت مـحاسـنه   كأنـما عنده لا ـهم أسـ ـرار
لو خيّر البدر في دار يكون بـها   ماغيره كان ذاك البدر يخـ ـتار
فوق جميع ديار الأرض دارتـه   بسـاكن حلّـها كالا ـيث زءار
الجود منها نشى والحلم فيها نشى   والخير منها مسلسل وخرخـ ـار [2]

وكان **أبو راس الناصري** و غيره قد أشادوا أيضا بمنشآت الباي محمد الكبير ، من ذلك وصفه للمحكمة التي بناها هذا الباي ، وفي ذلك مديح له . منها هذه الأبيات :

فلله مبناها الجميل فإنّـ ـ ـ ـه   يفوق على حكم السعود يمانيـ ـ ـ ـا
تمد لها الجوزاء كف مصافـح   ويدنو لها بدر السّماء مناجيـ ـ ـ ـا
هي القبلة الغرّاء عز تطيرها   ترى الحسن فيها المدار المضاهيـ ـا
بها معمر حاز البهاء وقد غدا   بها القصر قد فاق المباني مباهيـ ـا[3]

وشبيه بهذا ما وجد منقوشًا على لوحة مرمرية على مدخل جامع سوق الغزل بقسنطينة، فقد بنى عباس بن جلول ، أحد كتاب حكومة الباي حسين بوكمية [4] ، هذا الجامع سنة 1143ه[5] ،

---

(1) المرجع السابق : ص ص : 128 ، 129 .
(2) نفس المرجع : ص ص : 133 ـ 134 .
(3) عجائب الأسفار : المصدر السابق ، ورقة 11 .
(4) الباي حسين بوكمية : حكم بايلك الشرق مابين 1713-1736 .
(5) 1730 .

ويقال أن الباي ، قد غار من هذا العمل فاشترط على كاتبه أن يكون الجامع مشتركاً بينهما ، ولعلّ الأبيات المنقوشة من صنع بعض الفقهاء

غرفُ المحامد أم قصورٌ تعبـ ـ ـدُ أم جنّة الرضوان للمتهجّـ ـ د
أم جامعٌ جمع المحاسن فاثنـ ـ ت في جيد منشية أعز مقلّـ ـ ـ د
بيتٌ يقام بها عمادُ الدّين فـ ـ ـي ظل امتثال للإله الأوحـ ـ ـ ـ د
كالشمس إلاّ أنّ تلك إلى الأفـ ـ ول وهذه في البر ذات تخلّـ ـ ـ ـ د
وسعت بما وسعت بدا حسين ضـ ـا حكة بما للراكعين السّجـ ـ ـ د
يرجو بها من يسبل الستر المذال على العصاة إذا أتوه في غـ ـ د
يا خير من يرجى لكـ ـل مؤمـ ـّ ـل نوله في الدارين أسعد مقصـ ـ د
ولئن تسل تاريخه فأتى بـ ـ ـ ـه بآي الزمـ ـان حسين بن محمد (1)

كما أشاد الحاج أحمد المبارك بانجازات صالح باي العمرانية بقسنطينة بقوله : " ... وبنى جامع سيدي الكتاني ، ودياره بالشارع وغرس البساتين المعتبرة ..... وبنى القنطرة ، جاب لها المهندسين من بلاد النصارى وانفق عليها أموالاً عظيمة ، وعمّر الوطن وسعدت الناس في دولته " (2) .

وفي نفس الصّدد يشيد الشّاعر **ابن علي** بالإنجازات التي أنشأها محمد عثمان باشا من خلال وصفه مخزنًا للحبوب أقيم عند باب عزون ، وفي ذلك مديح غير صريح بالحاكم الذي أمر وأشرف على هذا الإنجاز .

لئن كانت الأهرام من مصر أودعـ ـت خزائنها درًا نفيساً و ياقوتـ ـا
فذا الهرم الأعلى أجل لأنّـ ـ ـ ـ ـه جميع البرايا منه يلتمس القوتا (3)

و في الإشادة دائمًا بالمآثر المعمارية التي أولاها الحكام العثمانيون عناية خاصة ، سواء تمثلت في المساجد أو القصور أو الحمامات أو الموانيء أوغيرها، يمتدح ابن **سحنون** الباي محمد الكبير من خلال انجازاته في هذا الميدان باعتباره أحد أبرز كتّابه المقرّبين ،

(1) نقلا عن د. سعد ا : تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ص : 296 .
(2) تاريخ حاضرة قسنطينة ، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه : نور الدين عبد القادر ، المدرسة العملية للدراسات العربية ، الجزائر 1952 ، ص : 26 .
(3) المرجع السابق ، ص : 296 .

وعاش منه عن كثب فيقول : "... و بنى بالمعسكر(يعني مدينة معسكر) قناطر وسوراً مشهورًا و طبانيتن للمدافع ، وأجرى الماء للمدينة الجديدة و لقرية الولي الممجد السيد علي بن محمد ، و قد كان أهلها في العناء الشديد من بعد الماء ، وبنى الفندق الجديد الرائق بالسوق القديم ، و زاده في أناس الجامع الأكبر لما زاد فيه من الوظائف ، وله في تلمسان ومستغانم والجزائر و غيرها مباني كثيرة و آثار في ذلك شهيرة بين مساجد ومشاهد ومدارس ، بل و حتى في الفلوات الخالية والطرق المعطشة المقفرة لا يخلو سائر من رؤية آثاره ومآثره ، و قد جدّد المدرستين القديمتين بتلمسان ، وأحيا ما أماته الزّمان من آثارهما ، فأعاد لهما الشّباب بعد التعنيس .... وبنى بالجزائر البيت التي سكنها أهل ديوانه ، وتأنّق فيها ما شاء وأجرى على ساكنيها الأرزاق ، وبنى لأولاده داراً بمستغانم قضى الرايون بأنها من أعجب المباني و أبدعها ..." . (1)

في نهاية هذا المبحث لا يسعنا إلاّ أن نشير بأن جهود العثمانيين في المجالات المختلفـة التي وقع التطرّق إليها ، لقيت الكثير من التّنويه و الإشادة لدى المصادر المحلّية ، ما غطّـى الفترة الممتدّة من بداية الحكم العثماني في الجزائر إلى غاية تحرير مدينة وهران سـنة 1792 بأكملها ، ولا سيما أنّها تزامنت مع حركة الجهاد لتحرير المواقع التي كانت محتلة من طـرف الإسبان .

فضلاً عن حفاظ الحكام العثمانيين على بعض التقاليد الإدارية التي كانت سائدة في المجتمع نظراً لملاءمتها لأوضاع البلاد وتماشيها مع الحالة الإجتماعية السّائدة آنذاك بالأرياف والحواضر ، ومن ذلك سلطة شيوخ القبائل ورؤساء العشائر والإعتراف بنفوذ مرابطي الطّرق الصّوفية والزّوايا (2)

لكن هذا لم يمنع من وجود بعض المآخذ التي لم تغض بعض المصادر المحلّية الطّرف عنها تجاه السّلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر ، وهو ما سنتناوله ضمن المبحث القادم .

---

(1) ديوان ابن علي ، مخطوط ، عن د. سعد ا ، نفس المرجع : ص 133 .

(2) د . ناصر الدين سعيدوني : موظفو الإيالة الجزائرية في أوائل القرن التاسع عشر ، صلاحيتهم الإدارية ، مهامهم الإقتصادية والإجتماعية ، مجلة المؤرخ العربي ، إصدار الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، العراق 1987 ، ص : 201 .

المبحث الثاني

نظرة الاستياء والتذمر والإنتقاد الى السلطة الحاكمة :

لم نجد الكثير من آثار الناقمين ، والمستائين من السّلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر، خلال الفترة التي سبقت التحرير الكامل للمواقع التي كان يحتلها الإسبان ، "حيث أنّ معظم المؤرخين الذين وصلتنا آثارهم وانتاجهم كانوا من الموالين للأتراك أو موظفين عندهم ، ومن ثمة كان من الطبيعي ألا يصوّروا القضايا إلاّ بمايرضي الهيآت الرّسميّة " (1)

أمّا غيرالموالين للسلطة الحاكمة الذين عبّروا عن نظرتهم تجاهها في مؤلفات شعرية أو نثرية فقليلة جداً ، وربما ضاع الكثير منها ، ممّا صعّب مهمّتنا كثيراً . فمن أبرز الذين عبروا عن تذمرهم ونقمتهم على السّلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر عن طريق الشعر نذكر أولاً **سعيد المنداسي** الذي كان من أشدّ المستائين لسياستهم في تلمسان ، وهاجر إلى المغرب وعاش في بلاط الملوك العلويين ، وصبّ جمّ غضبه ونقمه عليهم في قصيدة فريدة ، واتّهمهم بتهم شنيعة قال فيها :

أمن قادر با يحمي تلمســ ــ ــان فإنّ بها من قوم ياجوج إخوانـ ـا
بنى السدّ ذو القرنين للناس رحمـ ـة فياليته من شوكة الترك هنّانـ ـا
فما دبّ فوق الأرض كالترك مجرم ولا ولدت حواء كالترك إنسانا
عتوا واستفزوا المسلمين من القرى وقد عبـ ـدوا حمر الدنانير أوثانا
وأكبـ ـر شـ ـيء أفسدتـ ـه أكفّهـ ـم تلمسان عين الغرب علمًا وإيمانا (2)

ولم يكتف المنداسي بالتشنيع بالأتراك فحسب ، بل وبمن ولاهم من العلماء وساند سياستهم وبكلّ من وقف إلى جانبهم . ونشير في هذا الصّدد الى قصيدته التي هجا فيها ابن زاغو و هو شيخ تلمسان ومفتيها لمّا وقف مساندًا سيّاسة الأتراك بتلمسان ، و التي أسماها " الإعلام فيم وقع للإسلام من قِبل الترك بتلمسان و الجزائر " اخترنا منهاهذه الأبيات :

و كانتْ لهم لمّا أرادوا فسـ ـادًا أراذل منها كالبطارق أعوانـ ً ـا
فمنهم قرينُ السّوء مفتي بلادهم تودّ العباد الترك كانوا ولا كانـ ـا
فقل لإبن زاغو للضّلال أئمّـ ـةٌ تدبّرْ لحاك ا ما قال مولانـ ـا
ولاتركْنوا و الركن منك سجّيّةٌ كأنّك لم تسمع من ا قرآنـ ـ ـ ـا

(1) أنظر المهدي البوعبدللي في تقديمه لكتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغرالوهراني ، ص : 37 .

(2) نفس المرجع : ص ص 56 ـ 57 .

فإن أمير الوقت بالأمر قائــمٌ وأنت جليسُ السّوء في زي هامانا
اتدهم دار العلم في حانك الدني تبيتُ و تضحى فيه ويحك سكرانا
لئن فعلت بألحان مثلك سوقـة فقد هدّ منك الظّلم للنّاس أركانـا
لقد كنت حبراً بالمدينة صالحًا فصرت بها أخا القرامط حمدانـا[1]

وجدير بالذكر أن نشير بأنّ المنداسي كان موالياً لسلاطين المغرب ، ومنهم مولاي محمد بن الشريف[2]، ومولاي الرشيد [3] ، ومولاي اسماعيل [4] ، حيث لازمهم بـالبلاط الملكـي ، ومدحهم بقصائد كثيرة ، نذكر منها بعض الأبيات التي قالها في مدح مولاي اسماعيل

كـفى لمن يراقـب دار المـلك من شاف بعساكره ديما حراك
دار بقطر سوس الأقصى دور الفلك بثواقب الرّجم تهوى من الأفلاك
طبعه من طبع الذهب يصفى بالدّلك ما ينكر التبراذا شافـه سبّاك
كم كفى في مجالس السّلطان وحاك عن سرّه فاق به ألباب النّسـاك
ذهبه ما شـاف حسنه ذاك (5)

وكان ابن السويكت قبل المنداسي من الناقمين على الحكم التركي في الجزائر خلال الفترة التي سبقت التحرير الكامل للمواقع المحتلة ، إثر إخضاع العثمانيين لقبيلته [6] " سويد " بالقوّة . فقال شعراً ينتقد فيه الأتراك ، ويشير الى طمعهم في إخضاع موطن قبيلته سويد التي يتباهى ببطولاتها وشجاعة رجالها يوم واجهوا الأتراك وأرغموهم على الإنسحاب خائبين ؛ اخترنا منه هذه الأبيات :

---

(1) المنداسي سعيد بن عبد ا : ديوان شعر، تحقيق وتقديم : رابح بونار ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1976 ، ص ص : 87 ، 91 .
(2) توفي عام 1075ه / 1664 م .
(3) توفي عام 1082ه / 1672 م .
(4) توفي عام 1139ه / 1727 م .
(5) نفس المرجع : ص ص 16: 17 .
(6) ثارت قبيلة سويد العربية ضد العثمانيين في القرن 10هـ/16م ، وكانت قاعدتها أحياناً مدينة تنس البحرية التي كانت قاعدة لحكم سويد قبل مجيء العثمانيين ، وكان لسويد علاقة بشيوخ الثعالبة الذين كانوا يحكمون متيجة ومدينة الجزائر عند مجيء العثمانيين . ويبدو أن العثمانيين قد أجلوا سويداً عن أماكنهم في تنس بعد وفاة زعيمهم حميد العبد . (أنظر سعد ا : تاريخ الجزائر الثقافي ، جزءان ، ط2 ، ج 1 ، ص : 213).

على ارهيووعلى جديوية كارسيـن　　الترك جوق واسويد جاوا للقبلة
خيمة مع اخبا وبنود متقابلـ ـ ـين　　من الصبح للمسا كل يوم مقتلة
الترك جاوا واسويد اعقابهم طافحين　　والترك شاربين الهبال في سطلة
الباي شـ ـ ـور ليهم *** واسويد ليه زادوا حملوا
ارفد اسناجقو والحقهم *** عمدوا للقتال وقتلـ ـوا
احنا أهل الشناواحنا اللي طايغـين　　احنا أهل الطبل والعلام والصولة
اداكم الطّمع في امطافل امتمقيـن　　اسويد ما ايطيعوا الترك قتالـ ـة
الـ ـ ـترك للبـ ـلاد يـنـ زادوا　　واسويد ما اعطـ ـ ـوا الصفحة

وفي بيتين آخرين لخّص الشّاعر سبب هذا التّمرد واختيار قبيلته الإستماتة في المقاومة ، دون الرّضوخ للأتراك الطّامعين في إخضاع موطنهم " شاف " جاء فيهما :

قالوا التـ ـرك ندوا شاف لا وهمـة　　قلنا لهم جدودنـا في الـ ـواد
ما نتركوش شاف حتى تطيب الصمة　　وما نهدّوش العقبة على الاولاد

كما نتلمس نفس التذمر والإنتقاد للساطة العثمانية الحاكمة في الجزائـر لـدى شـعراء الدواودة [2] حين ثارت قبيلتهم على العثمانيين ، فخلّدوا آثار قادتها أمثال علجية بنت بـوعزيز بوعكازالتي قاومت الأتراك بكل قوّة ، كما تدل على ذلك الأبيات الأتية التي يتبـاهى قائلُهـا ببطولتها وشجاعتها ، ويصف العثمانيين الأتراك بالجور والدناءة والخداع ، جاء فيها ما يلي :

---

(1) أنظر المهدي البوعبدللي في تقديمه لكتاب " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني " ، ص ص : 36 ، 37 .

(2) حدثت ثورة الدواودة في القرن الحادي عشر هجري ، السابع عشر ميلادي ؛ خلاصتها أن شيخ العرب ، محمـد بن الصخري بوعكاز العلوي الهلالي ، قائد الدواودة والحنانشة ، قد زار مراد باي حاكم قسنطينة سنة 1047هـ/1637م فـي مكان خارج المدينة ، ولكن الباي اتهمه بالخروج عن الطّاعة وأمسكه سجيناً عنده ، وشاور في شأنه باشا الجزائـر والـديوان فأشاروا عليه بقتله هو وابنه أحمد ، كما قتل معه ستة من أعيان العرب . وبعد عام أي سنة 1048هـ/1638م ثـار أحمـد الصخري ، أخ القتيل ، وقاد جموع العرب والحنانشة والدواودة وغيرهم ضد العثمانيين ، وقد هاجم الثوار مدينـة قسـنطينة وغيرها ، وجاءت النجدات من الجزائر الى مراد باي ، حاكم الإقليم ، وامتدت الثورة الى الزيبان والصحراء وعنابة .
ومن المعارك التي انتصر فيها الثوار (معركة كجال) التي هرب خلالها مراد باي ، ولم يعرف مصيره بعدها ، كما قتل فيها كاتبه شريط بن صولة ، وأثناء هذه الثورة عدل يوسف باشا عن اعلان الجهاد ضد الأسبان في وهران ، وجاء بنفسه لحرب الثوار ، فأقام سنة في قسنطينة . (أنظر سعد ا : تاريخ الجزائر الثقافي ، جزءان ، ج1 ، ص ص : 216 ، 217.)

قصة طراد شاو الزّمان ياحضـ ـ ـار مع التـ ـرك الخدّاعين ياحسـ ـرة
طاحوا اليوم سادات في الحروب ابدان أهل العلوم يقروا من الحمد للبقـرة
يندهـ ـوا الى أشـياخ القـومـ ـ ـان بنـت بوعـزيز سيدة الرجـالـة
راكبا على زرقا تنطمى فرخ الجـ ـان تسبق الغزال تشطنه تزيد في لغواط [1]

وقد أشار **الحسين الورثيلاني** الى مثل هذه الثورات التي عرفتها الجزائر في عهده بنظرة المتأثر والمتألم ، والمتذمّر في سياق حديثه عن عودته من رحلة الحج : " وصلنا الى مقامنا ودارنا ليلة الجمعة وليلة العيد ويوم عرفة عام 1181ه [2] واحد وثمانينومئة وألف... فسألنا ا التوبة الصادقة... والعصمة من الفتنة فإنّ أشرّ الشّرور في وطننا الفتنة والقتال بينهم ، فليس أمر أشر من هذا . " [3]

ولم تكن أساليب الإخضاع العنيفة التي استعملتها السلطة الحاكمة مع بعض القبائل وحدها محل التذمر والإنتقاد ، بل كان لانتشار الفساد والظلم أثره البليغ في بروز النظرة المتذمرة تجاه السّلطة الحاكمة خلال الفترة التي سبقت التحرير الكامل للمواقع المحتلة ، والذي نستشفه من بعض الكتابات ، حتى وإن لم يبد بعض أصحابها وجهات نظرهم بوضوح ، ولم يعلّقوا على الأحداث التي عايشوها .

ومن هؤلاء نجد **عبد الكريم الفكون** الذي يتحدّث متذمراً من سلوكات أحد المدّعين للولاية والصلاح في عصره ، وفي سياق حديثه عنه يُبرز ظاهرة كانت متفشّية أنذاك وهي ظاهرة الرّشوة ، وفي إبرازها انتقاد ضمني للقائمين على السلطة . فيقول : " وتراه [4] تمشي زبانيته بين يديه لتفريق الرّشا على الحكام والأمراء ، فتسمح نفسه ببذل مائة لأولئك ولا تنقاد لدفع درهم واجب عليه " [5] .

وفي نفس السّياق يتحدّث ابن حمادوش ضمن رحلته عن اسخدام الوساطة في التهرب من المكس . يقول متحدثاً عن نفسه : " ... الى يوم الأثنين ، فتحت دكاني وكنسته وجلست فيه بعد صلاتي في الجامع الكبير . وكان لي تلميذ ، ابن عمّتي ، يصطحب مع خوجة الملح .

(1) أنظر القصيدة كاملة في المجلة الافريقية ، سنة 1874 ، د.م.ج ، الجزائر 1985 ، ص ص : 214 ، 216 .
(2) سنة 1767 م .
(3) المرجع السابق : ص : 704 .
(4) يعني قاسم بن أم هانيء
(5) المرجع السابق : ص : 123 .

وكان إذاك علج الباشا ابراهيم ، فطلبت منه أن يطلب من صاحبه إجازة سلعتي ، فنزل اليه وجلس عنده حتى وجّهتها له هنا ، فأدخلها مخزنه وبعثها مع أحد خدّامه . فلم يمسكه صـاحب الباب . فسلمت من المكس . " [1]

وهذا دليل على انتشار ظاهرة الوساطة في أجهزة السّلطة الحاكمة ، وهو بطبيعة الحال محـلّ تذمر السكان وعدم رضاهم على سلوك يفقد الإنصاف بينهم .

كما تحدّث **الورثيلاني** عن هذا الفساد الذي كان متفشياً في أوساط السّلطة الحاكمة في سياق حديثه عن مدينة بسكرة فيقول : " ... وقد سمعت أنّ القاضي والمفتي فيها لا يتولّى إلاّ باعطاء لهم وارتشاء لديهم ، وكذا في غيرها من عمالة الجزائر . " [2]

ولم ينته الأمر عند هذا ، بل تجاوزه الى الإعتداء على الأوقاف في بعض الأماكن حسب ما جاء على لسان **الورثيلاني** في استياء كبير ممّا آل اليه أمر مدينة بسكرة ، نتيجة هذه السياسة فيقول : " ....غير أنّ الأتراك استولوا عليها استيلاء عظيماً ، وما كان من المدارس والأحباس التي لا توجد في الأمصار هي في أيديهم ، يأكلون منها وينتفعون بها أتـم انتفـاع كـالأملاك الحقيقية المباحة ، بل هي ليست لهم ، ولا أنهم من أهلها ، بل تمردوا وطغوا ، جعلـوا جميـع الخطط الشرعية لهم ظلماً وعدواناً . " [3]

فهذه السّلوكات وعوامل أخرى كانت وراء تمرّد بعض السّكان على السّلطة الحاكمة . ولعلّ من بين العوامل التي أدّت الى نفور بعض الفئات الجزائرية من الخضوعَ للحكام يعود لنظرهم الى الأتراك العثمانيين على أنهم غرباء أعاجم عن الأصالة العربية ، وشرافة النسب التي تخوّل لهم السيادة على العالم الإسلامي . [4]

وهو ما يؤكده الورثيلاني في سياق حديثه من خلال الرّحلة واصفاً بعض ما كان يعانيه الشرفاء غير الموالين للسّلطة بإشارة خفيفة وهادفة فيقول : "غير أنّه أصابت الشّرفاء جائحة الفتنة وعوائق العداوة ، فهم فريقان فريق في القرية وهو المتمكن المعتصم بأولي الولاية من الترك والمتمسّك بجاههم ،

---

(1) الرحلة : ص : 114 .

(2) المرجع السّابق ـ ص : 111 .

(3) المرجع السابق : ص : 111 .

(4) **د. ابن خروف عمار :** إخفاق العثمانيين في احتواء وعثمنة المغرب الأقصى ، المجلة التاريخية المغاربية ، منشورات : مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، زغوان ، تونس 2004 ، العدد 114، ص : 17 .

إذ من تمسّك بهم تَفَرْعَنَ على غيره ، وفريق آخر خارج عنها مستقر بغيرها من قرى الـزّاب ومدينة بسكرة حتى يفتح ا عليهم وهو خير الفاتحين لأنّ الدّهر قُلّب إن دام لشخص يوماً فبعده يتقلّب ... " (1)

وفي اعتقادنا أنّ النظرة المتذمرة التي لمسناها عند هؤلاء أو أولئك ، ظاهرة طبيعية في كلّ المجتمعات البشرية عبر العصور ، تتعدّد أسبابها ومعطياتها بتعدد ظروفها ، فلقد كان للحصانة التي حظيت بها القبيلة في المغرب الأوسط منذ القدم ، وعدم انقيادها عنوة للغير أياً كان ، وتوارث أجيالها لهذه الصّفة المليئة بالرّفعة والعنفوان ، أثره الكبير في عدم تجاوب الكثيرين مع السّلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر . كما كان لمحدودية الإنسجام بين بعض القبائل مع العثمانيين بسبب عدم الاندماج الكلّي لهؤلاء الأخيرين في المجتمع الذي يحكمونه أثره في وجود تلك الحالات من عدم التجاوب ، والتي كثيراً ماآلت الى الصّدام المباشر أو غير المباشر مع السّلطة ، ومنه بروز النظرة الإنتقادية المتذمّرة والمستاءة تجاه السّلطة الحاكمة .

وفي الأخير نقول : إن مآثر الحكام في الفترة العثمانية قد تركت بصماتها في تاريخ الجزائر الحديث ، من خلال ما سجلته المؤلفات المعاصرة لأولئك الحكام أو عليهم سواء كانت نظماً أو نثراً ، ولا سيما من قبل الجزائريين ، و في مقدمة المآثر التي حضيت بالتسجيل مآثر الإستماتة و الجهاد في وجه الحملات الأوربية ، دفاعاً عن الأرض الجزائرية ، ومواقف أخرى تخصّ مجالات مختلفة سبق التطرّق إليها ضمن هذا الفصل .

ولعلّ ما يميّز غالبية كتابات الجزائريين : هو مؤازرة أصحابها للسّلطة العثمانية ووقوفهم إلى جانبها ودعمهم لمواقفها ، و مدحهم لسيّاستها ، و قد تقاطعت مواقف العلماء مع مواقـف عامة المثقفين في هذه النظرة ، ولا شكّ " أنّ تفاعل الحكام الأتراك مـع الحركـة الجهاديـة جعلهم يحظون بمساندة الفقهاء كلّما حصلت مواجهة بينهم وبين السّكان أو الصّلحاء . " (2) ممّا يدلّ على أنّ الإنسجام هو الذي غلب على علاقة السّلطة الحاكمة بالسّـكان خـلال هـذه المرحلة ، و إن تخللتها بعض الأزمات بين الحين و الآخر؛ فإنّ ذلك لم يغيّر مـن نظـرتهم ، حفاظاً على الدّين من جهة ، وعلى وحدة المجتمع من جهة أخرى ، وعلـى اسـتقرار الـبلاد وحمايتها من الغزو الأجنبي .

---

(1) المرجع السّابق : ص 114 .

(2) عبد ا العروي : مجمل تاريخ المغرب ، الطبعة الأولى ،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان 1999، ج 3، ص:77.

الفصل الثاني

نظرة المصادر المحلية إلى السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر
- مرحلة ما بعد التحرير الثاني للمواقع المحتلة -

1207 - 1246هـ / 1792 - 1830م

تمهيد :

لا شك أن الدّارس للعلاقات بين الجزائريين والسّلطة العثمانية في أواخر العهد العثماني يتبيّن ويتضح له أنّها عرفت تغيراً ملحوظاً بالنّظر إلى ما كانت عليه قبل تحرير وهران ، وما آلت إليه بعد استكمال التحرير . فالعلاقات تميّزت بالإنسجام والتّعاون بين السّكان و السّلطة الحاكمة الى حد كبير، في المرحلة التي سبقت تحرير وهران ، والتي تميّزت بالجهاد ضد الغزاة الإسبان ، وتحريرالمواقع المحتلة ، وصدّ المعتدين عن الجزائر.

أمّا في المرحلة الثّانية فقد تميّزت باتساع الهوّة بين الحكام و المحكومين ؛ ذلك أن الجزائر قد استكملت حرّيتها من الإحتلال الإسباني ، وتوقّفت حركة الجهاد والرّباط ، و تقلّص معها النشاط البحري ، و تزامن كل ذلك مع سنوات القحط التي أضرّت بالزّراعة في هذه المرحلة .

لقد ارتأينا التطرّق بنوع من التفصيل إلى الأوضاع التي ميّزت هذه المرحلة ، وكيف عالجت السّلطة الحاكمة أزماتها ؟ والتعرّف من خلال ذلك على نظرة المصادرالمحلية إليها.

أ ـ ففيما يتعلّق بما تميّزت به المرحلة من الناحيّة السّياسية : يمكن القول بأنّ البلاد قد عرفت خلال هذه الفترة تدهوراً كبيراً في الميدان السّياسي حيث بدأت الأوضاع تسوء إثر موت الداي محمد عثمان باشا ، وتولّي مقاليد الحكم الداي بابا حسان(**1791ـ1798**)، والداي مصطفى باشا (**1798ـ1805**) هذا الأخير الذي كثرت في فترته أعمال الإحتكار في القمح والحبوب من طرف اليهوديين بكري و بوشناق ، وارتفعت الأسعار، وانتهى الأمر الى قيام فتنة شملت طائفة اليهود ، وتوالت بعد ذلك اغتيالات الدّايات ، حتى تعاقب على الحكم خلال تسع سنوات ما بين **1220ـ1230**ه / **1805** ـ **1814** م ، خمس دايات [1] فضلاً عن الداي مصطفى باشا المذكور هم : الداي أحمد باشا (1220ه ـ 1223ه / 1805 ـ 1808م)

الداي علي باشايعرف بالغسّال (1223 ـ 1224ه / 1808 ـ 1809م)

الداي الحاج علي باشا (1224ه / 1809م)

الداي محمد باشا (1230ه / 1814م)

الداي عمر باشا (1230 ـ1233ه / 1814 ـ1817م) [2]

---

(1) أنظر الأستاذ أحمد توفيق المدني : محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م ، م.و.ك ، الجزائر 1986 ، ص ص : 56 ، 58 .

(2) أنظر مذكرات الشريف الزهار ، ص ص : 71 ـ 129 .

هؤلاء قُتلوا كلّهم على أيدي العساكر ، ممّا يدلّ على انعدام الإستقرارالسّياسي الذي عاشته الجزائر في هذه المرحلة من الحكم العثماني ، الشيء الذي أثّر سلبًا على الإستقرار الدّاخلي للبلاد ، حيث وجد البايات متسعًا من الحرّية في تصرفاتهم ، فعاث بعضهم فسادًا بين الناس ، و شاع ظلمهم للسّكان ، فكان هؤلاء يرفعون مظالمهم للدّايات الذين بالرغم ممّا بذلوه من جهود لإزالة الفساد ، لم يغيّروا من الوضع المتردي شيئًا ؛ اذ أصبح من العسير تحكّم السّلطة في أجهزتها المختلفة ، ممّا انعكس سلباً على الأوضاع العامّة للبلاد .

يقول **العنتري** واصفًا هذه المرحلة من الحكم العثماني :

" ...و صاروا يظلمون النّاس ويسفكون دماءهم ويأخذون أموالهم بغير حق ويعِدون ولا يوفون ويؤَمّنُون و يغدرون ".[1] ويضيف " ومن هذا الوقت صاروا(كذا) الترك يأخذون الجور، ونبذوا الحقوق المشروطة ، وبدى (كذا) منهم الفجور ، وبالجملة أنّه من حين موت الباشا الذي اسمه بابا محمد (الداي محمد عثمان باشا)(1766ـ 1791) ومات صالح باي، تبدلت أحكام الترك، وانقلبت حقائقهم ، وصار صغيرهم لا يواقر (كذا) كبيرهم ، وبد (كذا) النقص في ملكهم ." [2] ؛ **كما** أصبحت الجزائر خلال هذه الفترة مستهدفة من الخارج أكثر من أي وقت مضى .

ب ـ وأمّا ما تميّزت به المرحلة من الناحية الإقتصادية ، فلم يكن الوضع يختلف عن الوضع السّياسي من حيث التدهور والتردّي ، بل عرف هوالآخر صعوبات لم تعهدها البلاد من قبل ، ذلك أنّ مداخيل البحريّة قد تقلّصت بسبب المضايقات الأوربية ، وعرفت البلاد سنوات متتالية من الجفاف ، فأدّى ذلك إلى قلّة الإنتاج الزّراعي ، وازدادت بذلك معاناة السّلطة الحاكمة ومعاناة السّكان معاً ، وتحوّلت المعاناة في النهاية إلى مأساة ساهمت بشكل كبير في إخفاق الجزائريين عند مواجهتهم للحملة الفرنسية الغازية سنة 1830 .

ج ـ وأمّا ما تميّز به الوضعان الاجتماعي والثقافي خلال هذه المرحلة فإن الأول قد تأثر كثيراً بالوضعين السّابقين ، فأدّى تفاقم المآسي التي عاشها السّكان إلى اتّساع الهُوّة بينهم وبين الحكّام ، وممّا زاد في اتساعها غلاء الأسعار ، وانتشار المجاعات ، وزيادة المطالب الضريبية ممّا أدى في نهاية الأمر إلى قيام التمرّدات والثورات ."

---

(1) فريدة منسية ، ص : 47 .

(2) نفس المرجع ، ص : 68 .

في النهاية اتسمت السياسة التركية بالتناقض ، كانت من جهة في حاجة الى استرضاء الأعيان للحفاظ على الأمن وضمان الجباية ، ومن جهة أخرى تضطر ، بسبب شح الموارد الى استعمال القوة ، مما كان يؤدي أحياناً الى ثورة الرّعايا ، عندما كان الأعيان يجبرون على مجاراة أتباعهم حتى لا تنفلت السّلطة من أيديهم . [1]

أمّا الوضع الثقافي فإنه بقي على حاله ، لم يشهد أي جديد ، إذ العناية به كانت محدودة من قبل ، وبقيت على حالها ، خاضعة لبعض المبادرات التي يقوم بها بعض الحكام ، وهي لا تتعدى كونها أوقافاً ، أو هدايا لبعض العلماء .

(1) عبد ا العروي : المرجع السابق ـ ص : 76 .

المبحث الأول

نظرة الإشادة والتأييد والإستحسان الى السلطة الحاكمة :

إنّ نظرة الإشادة والتأييد الى السلطة العثمانية في الجزائر والقابضين عليها خلال الفترة التي سبقت التحرير الكامل للمواقع التي كانت محتلة من طرف الإسبان ، لا نفتقدها لدى أي مؤلف معاصر لتلك الفترة ، أو جزء منها على الأصح ، ولا نجدها هي الغالبة في مؤلفات أواخر العهد العثماني في الفترة التي أعقبت تحرير وهران ؛ لأنّ الحكام الأواخر بدوا وكأنهم مخالفون لمن سبقهم من الحكام ، لأن الدّايات الأواخر صاروا يطلبون من الداخل وبقوّة وشدّة ما كان الأوائل من البيلربايات والباشاوات والدايات الأوائل يحصلون عليه من الخارج بواسطة نشاط البحرية أساساً ، بأسطولها القوي في الحوض الغربي للمتوسط .

وعلى الرغم من أنّ الكثير من المؤلفين المعاصرين مالوا الى ذكر مساويء الحكم العثماني في هذا الموقف ، أو هذا التصرف أو ذاك ، فإنّ الباحث لا يعدم بعض الإشادات في المصادر المعاصرة المادحة ، والشاكرة والموالية للسّلطة العثمانية ، لقيامها بهذا الجهد أو هذه المبادرة أو تلك ، في عهد هذا الحاكم أو ذاك ، ولذلك ستكون نصوصهم محلّ استشهاداتنا على هذه الفترة .

أ ـ في مجـال البناء والتعمير :

كثيرة هي الإنجازات العمرانية التي شيّدها العثمانيون في الجزائر خلال هذه الفترة ، فتناولتها المصادرالمحلّية بالذكر، والوصف ، والمباهاة بها ، والإشادة بصانعيها من الحكام سواء كانت حصوناً أو قصوراً أو مساجد أو غيرها .

ومن ذلك ما أشاد به **الشريف الزهار** وهو يتطرّق لبعض إنجازات الحاج **علي باشـا** (1) فيعبّر عن ذلك : " وكان الأمير قد بنى باب الجهاد بالمول ، وبنى المخازن التي بين البلد وبرج الفنار ، وجدّد قنطرة وادي الحراش وبنى قنطرة وادي شلف " (2)

ويضيف في ذكر المآثر العمرانية التي شيّدها العثمانيون بالجزائر فيقول عن **عمر باشا** (3) : " بعث الأمير لعمّاله بالبلدان وأمرهم بأن يبعثوا البنائين الذين عندهم ، وأمرالبنائين

---

(1) الحاج علي باشا : حكم ما بين 1809 -1815م

(2) المرجع السابق : ص : 110 .

(3) عمر باشا : حكم ما بين 1815-1817 م .

بالبلدان أن يصلحوا الأبراج ، وأضاف إليهم بناء العمالة عندما قدموا ، وكان واقفاً معهم ، وهم يعملون ليلاً و نهاراً ، فلم ينقض شهراً حتى أصلح ما فسد من الأبراج ، و بنى الجامع الأعظم " [1].

أما عن **مصطفى باشا** (2) فيذكر عنه ما يلي : " أنّه بنى بستانًا بعين الرّبط ، وبنى به دورًا و قصوراً و غرّسه بجميع الفواكه والثّمار " [3]

أمّا الإنشاءات العمرانية التي عرفتها السنوات الأخيرة من الوجود العثماني أيام الـدّاي حسين [4]. فيشيد بها **الزهار** وينوّه بصاحبها قائلاً : " صنع طريقاً لماء عين الزّبوجة ، واشترى مياهًا أخرى ، ضمّها للماء الوارد على المدينة . فكثر الماء بها حتى أعلاها ، ثم بنـى بـاب البحر ، و طبانة في الصنانجية و بنى جامع سفر ، ثم تهدّمت بعض الصّفوف بالجامع الكبيـر فبناها ...[5] .

ب ـ حول **علاقة السّلطة الحاكمة بالعلماء والمثقفين :**

أشادت العديد من المصادر المحلية التي عاصر أصحابها الحكم العثماني خلال فترة ما بعد استكمال التحرير بالعلاقة الطّيّبة التي بقيت تربط السّلطة الحاكمة بالعلماء ، بالرغم من تأثر الوضع الإجتماعي للجزائر بتردّي الأوضاع السّياسية والإقتصادية التي سادت الفترة التي أعقبت تحرير مدينة وهران ، حيث قلّ الأمن وفقد الإستقرار وساءت العلاقة بين السّلطة العثمانية الحاكمة والسّكان . ولم يستطع العلماء التوفيق بين مطالب الحكام المتزايدة للأموال من السّكان عن طريق مضاعفة الضرائب ، وبين مظالم الرّعيّة و شعورها بالإجحاف ، فوجدوا أنفسهم في حيرة من أمرهم و أصبحت مواقفهم تميل إلى الحياد في غالب الأحيان ، ولكن دون التخلّي عن واجبهم ، في المحافظة على الدّين والدّولة معاً.

فهذه رسالة من محمد بن عبد الكريم بن الفكون إلى الداي حسين رداً على رسالة تلقّاها منه

---

(1) الزهار: مذكرات ، ص : 127 .

(2) مصطفى باشا : حكم ما بين 1798-1805م .

(3) نفس المرجع ، ص : 80 .

(4) الداي حسين : حكم ما بين 1818 -1830 م .

(5)نفس المرجع ، ص : 158 .

تدلّ على هذه المواقف : "…. هذا و قد بلغنا بَلّغكم ا المُنى…. كتابكم و فهمنا ما تضمّنه الأشرف خطابكم ممّا شوّش العقول وحيّر الأفكار….. على أني مع كبر سنّي **مشغول بخويصة نفسي** ، وما يعنيني من أحوالي في يومي وأمسي، لا أخرج من مضربي إلاّ للصّلاة أو مذاكرة علم مع بعض الأنبات ، ولستُ ممن يستنشق الأخبار ويبحث عن الأسرار ….." [1] .

ورغم ذلك بقيت مكانة العلماء مصونة عند معظم الحكام .

ينوّه **حمدان خوجة** بحادثة عايشها بنفسه تدلّ على مكانة العلماء لدى الحكام العثمانيين ، و المنزلة التي بقوا يحظون بها عندهم الى آخر أيام حكمهم فيقول: " وقع في عهد حسين باشا؛ إنني سأنقل حرفيًا ما جرى أمامي في تلك الأثناء : لقد اشتكى بعضهم ذات يوم ، للداي بأن القاضي لا يحكم بالعدل ، و قيل له أنّه أصدر حكمًا منافياً للقانون ، لم يسبق لغيره من الفقهاء و رجال العدالة أن أوردوه . و بدلاً من أن يعاقب المتهم دون الإستماع إليه ، فإنّ حسين باشا قد طلب من القاضي ـ في أدب ـ أن يحضر إلى بيته حيث كان قد جمع سائر رجال القانون ، ثم دعاه إلى تقديم الأسباب التي دفعته إلى إصدار حكم ظالم ، وأمر المفتي و الفقهاء أن يتناقشوا معه في الموضوع ، وأن يطلبوا منه ذكر المادّة التي جعلته يتّخذ مثل ذلك القرار. و لمّا تلكأ القاضي في أجوبته ، و ثبتت الشكوى التي قدّمت ضده ، عزله الدّاي في حينه و نفاه إلى وهران ". [2]

لئن كانت هذه الحادثة تدلّ على مدى مراعاة الحكام لمشاعرالعلماء ومكانتهم بين النّاس ، فإنّ تقديمهم في السّفارات ونسخ المراسلات لأدلّ على هذه المكانة التي أشادت بها العديد من المصادر المحلّية .

جاء في مذكرات **الزهار** عن الصلح الذي تمّ مع تونس أيام الداي أحمد باشا[3] : "… ثم إنّ الأمير ، أمر الفقيه محمد العنّابي ، قاضي الحنفية ، أن يكتب كتابًا الى حمودة باشا ، فكتب الكتاب ، وبعثوا به .. " [4] . ويتحدّث عن الصلح الذي تمّ مع تونس أيام حكم الداي علي باشا[5]

---

(1) عن د. جمال قنان : المرجع السابق : ص ص : 279 ، 280 .

(2) المرآة ، ص : 230 .

(3) حكم ما بين 1805 ـ 1808 .

(4) المرجع السابق ، ص : 97 .

(5) حكم ما بين 1816 ـ 1818 .

فيقول : " ثم إنّه في يوم من الأيام ظهر له أن يجعل الصلح بينه و بين تونس ، فبعث إلى تونس الحاج يوسف من كبراء المماليك ، و بعث معه العالم العلامة الشيخ سيدي علي بن النيكرو والباش كاتب ، فلمّا وصلوا لتونس أنزلوهم و دفعوا المكاتيب لباي تونس وتكلّموا في شأن الصلح ..." (1)

ويتحدث عن احدى السّفارات الجزائرية الى المغرب فيقول : " كتب الأمير عمر باشا (2) للسلطان مولاي سليمان ، وعيّن السيّد الحاج محمد العنابي قاضي السّادة الحنفيّة رسولاً ، فلمّا بلغ المغرب ودفع المكاتب للسّلطان ، أمر السّلطان باستضافته ، وبعدما استراح مع السلطان فأحسن اليه ، أعطاه مركبين من نوع كربيط ، وبلاندرة وأعطاه أموالاً وأمر بتسليمها للمجاهدين ، ورجع للجزائر . " (3)

لقد حاول الحكام المحافظة على علاقتهم المميّزة مع العلماء الى آخرأيامهم ، شعوراً منهم بأهميتها.

فهذا جواب من الدّاي الى الشيخ الفكون ، جاء به الباي عبد ا (1219 ـ 1221هـ/ 1804 ـ 1806م) مع قدومه إلى قسنطينة معيّناً على رأس بايلكها ، وفيه إشادة واعتراف من الحاكم بمنزلة هذا العالم ومكانته بين الناس ، هذا نصّه : " الحمد الأشهر الخيّر الأنـور مـأوى القليلين وملجأ الضعفاء والمساكين سيدي الشيخ الفكون : السلام على مقامكم الرفيع ...أمّا بعد فإنّـا نستكثروا(كذا) خيرك من شأن وقوفك وصيانتك للبلاد ونصحك وحمايتـك للعبـاد ، إنّ خيرك معنا سابق ... ثم نلتمس منكم الدعاء الصالح ..." (4) .

وفي صدد آخر كتب الداي علي (5) رسالة الى السّلطان العثماني ينبئه فيها بوقوع الإختيار عليه على رأس إيالة الجزائر ؛ وفي المراسلة ما يدلّ على الإشادة بمكانة العلماء ومنزلتهم ممّا يوجب استشارتهم والأخذ بأرائهم في القضايا الهامّة ؛ جاء فيها : " ...وعليه اجتمع العلمـاء ، والمشايخ ، والصّلحاء ، والأغنياء ، والفقراء ، والأوجاق ، ليتبادلوا الرأي فيما (كذا) سـيتولى أمرهم ، تماشياً مع المبدأ القرآني (وشاورهم في الأمر) . لقد اتفق المجتمعون على عزل عمر

(1) المرجع نفسه، ص : 138 .

(2) حكم ما بين 1814 ـ 1816

(3) المرجع نفسه ، ص : 127 .

(4) فريدة منسية ، ص : 72 .

(5) حكم خلال عامي 1817 ـ 1818 م .

باشا من منصب الداي وتعييني مكانه . " [(1)].

ج ـ في محاربة الفساد وحفظ الأمن والتصدي للثورات :

اجتهد الحكام العثمانيون طيلة السنين التي قضوها بالجزائر ، على حفظ الأمن ، وصـيانة العدل، ومحاربة الفساد ، وتتبع سيرة البايات وتقويم انحرافاتهم بأشدّ العقوبات ، لأنّ ذلك هـو أساس الإستقرار ، ونلمس ذلك خلال الفترة الأخيرة من وجودهم ضمن هـذه النمـاذج مـن الإجراءات التي اتخذها الدّايات ضدّ بعض البايات الذين عاثوا بين الناس فساداً ، وبلغ صـداها الى الدّايات الذين لم يألوا جهداً في الأخذ بهم ، **وكان موقفهم منهم إمّا القتل أو العزل** ؛ وهـو مـا جعل الكثير من المصادر تنوّه بهذه السّياسة ، ومن ذلك ما ذكره العنتري عن **عبـد ا بـاي** (1219 ـ 1221ه/1804 ـ 1806) : " ... رغم شجاعته وإقدامه في الحروب أمر الباشا **بقتلـه** عام 1221ه لأن امرأته تشاركه في الأحكام ، وذلك أمر قبيح عند العرب والأعجام . " [(2)]

فقد جاء في كتاب " تاريخ بايات قسنطينة " (المرحلة الأخيرة) [(3)] ما فيـه إشـادة بجهـود الدّايات في محاربة الفساد ، خاصة ما تعلّق منها بانحراف البايات .

يقول عن ولاية أحمد طوبال 1223هـ/ 1808م : " بعد توليّه السّلطة مدّة ثلاث سنوات ، وسبب مقتله أنه كان منشغلاً بالزّهو والطّرب وترك الحكم لصهره ، **فعزل** ".

وعن محمد نعمان باي 1226هـ/1811م : " كان مُفرطاً في الأحكام ، وقد مسّ الكثير من الناس بأحكام الباطل ، وأخذ الخطايا في غيرموجب ، ممّا جعل الناس يشكون منه إلى الداي في الجزائر **فأمر الداي بقتله وعزله** وولّى مكانه أحد الصبايحية و هو محمد شاكر ".

وعن ولاية محمد شـاكر 1225هـ/1814م: "...أنّه ترك الجيش يعيث في الأرض فسـاداً ، فقتلوا ونهبوا، وأكلوا أموال النّاس ، واغتصبوا النّساء ، وعندما تكاثرت الشكوى في شأنهم على الدّاي بالجزائر؛ أمره بقتل بعض قادتهم ، وعندما رفض **عُزل وقُتل** ".

وعن ولاية محمد باي الميلي 1233هـ/1818م **:** "... كان قائد العواسي ، فلمّا ولّى اشتغل بقتل الأعراب ، و النّهب في أرزاقهم ، وبدع قطع الرأس بالشّاقور حتى سمّوه البـاي

---

(1) رسالة علي خوجة داي الجزائر الى السلطان العثماني ، نقلاً عن عبد الجليل التميمي : بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ، الجزائر وتونس وليبيا : 1816 ـ 1871 ، الطبعة الثانية ، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني ، زغوان ، تونس 1985 ، ص : 151 .

(2) المرجع السابق ، ص : 74 .

(3) المصدر : مؤلف مجهول ، تحقيق حساني مختار ، منشورات دحاب ، الجزائر 1999 ، ص ص : 19 ، 30 .

بوشطابية..."**.**ويقول عنه **العنتري** : " قليل العقل يظلم الناس يأخذ أرزاقهم بالباطل ... صدر فيه الظلم والجورعلى الناس، فرفعوا شكاياتهم الى الباشا(كذا) الجزائر فحينئذ عزله بهذا السبب." (1)

لقد حاول الدّايات - رغم الفترة الحرجة التي كانت تمرّ بها البلاد - المحافظة على الإستقرار الدّاخلي ؛ وهو ما تؤكده رسالة الدّاى علي خوجة إلى السّلطان العثماني ، والتي جاء فيها : "... ومنذ استلامي مقاليد الحكم ، وأنا ساهر على حماية البلد ...كان الواجب يُحتّم علينا رفع الطّاعة والولاء إليكم والدّفاع عن البلاد بجهادنا وحماية الفقراء والضّعفاء ، وحلّ المشاكل المعلّقة على الدّولة . إنّ عبدكم لصارفٌ نهارهُ وليلـهُ إلى أداء مثل هذه الواجبات . "

عبدكم علي بن أحمد ، متصرف الجزائر المحروسة .

25 ذي القعدة 1232 هـ / 6 أكتوبر 1817 م . (2)

غير أنّه و بالرّغم من المجهودات التي كان يبذلها الدّايات لإصلاح الأوضاع العامّة ، فإنّ فساد البايات حال دون ذلك ، فزاد النّاسُ نفوراً من الحكّام ، وفُقِدت الثّقة بين الجانبين ، فكان ذلك إيذانًا بظهور هوّة ازدادت اتساعاً مع مرور الأيام ، ممّا أدّى إلى تفكّك تلك البُنية التي تشكّلت خلال ثلاثة قرون من الزمن بين الجزائريين والعثمانيين . وهوما استقى منه **حمدان خوجة** بعضاً من أفكاره : " يجب على السّلاطين وعلى أولي الأمر ، أن يكونوا مع من تحت تصرّفهم بمنزلة الأب المُطاع مع أطفاله وأهل بيته ، فيجب عليهم أن يبادروا بإصلاح ما يُدخل عليهم الضّرر..." (3)

ولم يكن الأمر يختلف في بايلك الغرب ؛ فمع موت الباي محمد الكبير محرّر مدينة وهران سنة **1792** من الإسبان ، تولى إبنه مكانه وهو الباي عثمان بن محمد الكبير **،** الذي انحرف عن الجادّة ، ولم يلتزم بسيرة أبيه ولم يحافظ على أمجاده ، فكان ذلك وبالاًعليه وعلى الناس. وهو ما ذهب إليه **المزاري** واصفاً إياه : " وهكذا بدأت سياسته في التدهور والتراجع ، وبدأ ما شيّده أبوه يتعرض للخراب ". (4)

ويقول عنه **مسلم بن عبد القادرالوهراني :** ".... وانتقل باللّهو والطّرب متشبهاً ملوك بني العبّاس

---

(1) المرجع السابق ، ص : 86 .

(2) أنظر الرسالة كاملة في كتاب د. عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ، ص : 151 .

(3)اتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس عن الوباء ، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم ، ش.و.ن.ت ،الجزائر 1968، ص : 78

(4) طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا وإلى أواخر القرن 19م ، تحقيق ودراسة : د . يحي بوعزيز الطبعة الأولى ، الجزء الأوّل ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، لبنان 1990 ، ص : 299 .

العرب .... بعث إلى تونس رجلاً يأتيه ببعض جواريها المغنيات ، فأتاه بجاريتين مغنيتين متصدّرتين في الجمال والغناء ، فتسلّى معهما أيامًا و ليالي ، إلى أن بلغ ذلك متولّي أمره بالجزائر ، واستشاط من ذلك غضبًا ، فأمر بعزله ، وكبس دوره ، وأخذ جميع مافي خزانته من الأموال والذخائر **...**" (1)

هذه الإجراءات التي كان يتخذها الدايات في حق البايات المنحرفين ، بالرغم من أنها كانت ترضي العامّة ، وتشيد بها المصادر المحلّية كما رأينا ، وتُظهر مدى جدّية السّلطة الحاكمة في محاربة الفساد الذي أصاب أجهزتها ؛ فإنّ مفعولها في إصلاح الأوضاع العامّة للبلاد بقي محدوداً ، بالرّغم من التزام الكثير من الدايات بأنبل المواصفات التي تقرّب الى نفوس السّكان ؛ وتساير مواقفهم في بعض القضايا التي يتفاعلون معها.

ولعلّ من المواقف التي لقيت الكثير من الإشادة والتنويه ـ ضمن المصادر المحلّية ـ بالسّلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر خلال هذه الفترة ، هو الموقف الذي ميّز فترة حكم مصطفى باشا 1212 ـ 1220ه / 1798 ـ 1805م ، والمتميّز بسياسة الجزائر تجاه فرنسا إثراحتلالها مصر عام 1798م ، حيث أعلن الداي الحرب عليها ، وألقى الفرنسيين المقيمين بالجزائر مع قنصلهم في السّجن ، لا لشيء إلاّ مسايرة للرأي العام المحلّي الذي تفاعل مع الحدث ، ووقوفاً بجانب مصر التي ترتبط معهم في الدين و اللّغة والثقافة و التاريخ والتبعية للدولة العثمانية .

فقد ذكر **الزهار** ما فيه إشادة بهذا الموقف : " لما أخذ الفرنسيون مصر وبلغ خبر ذلك إلى مصطفى باشا ، استدعى القنصل الفرنسي و سأله عن ذلك ، فأخبره بأنهم أخذوها فاغتاظ الأمير لذلك ، وأمر أن يجعلوا قيد الحديد برجله ، وأن يخدم الحجر مع الأسرى ، واستدعى جميع قناصل فرنسا الذين بالجزائرمثل عنابة ووهران ، وعندما قدموا وضع القيود في أرجلهم مثل صاحبهم يخدمون الحجر... و بقي مع الفرنسيين في العداوة إلى أن فتح ا مصر".(2)

أمّا تفاعل الناس مع هذا الحدث فإننا نستشفّه من القصائد التي قيلت على إثره ، وقد اخترنا هذه الأبيات التي أنشدها الشيخ عبد ا بن عبد الرّحمان التليلاني التواتي وهو أحد الجزائريين الذين عاصروا الحدث ، ضمن قصيدة طويلة جاء فيها :

ا أكبر حلّ الخطب عيانـ ـ ـا و قد أتينا و هذا أصل بلوانـ ـا

---

(1) أنيس الغريب و المسافر ، تحقيق و تقديم : رابح بونار ، ش.و.ن.ت ، 1974 ، ص : 65 ، 66.

(2)المرجع السابق ، ص : 76 .

يا رب قاعدة الإسلام حلّ بهـ ـ ـ ـ ـا	أمر عظيم لها لنا و التجانـ ـ ـا
الروم أخزاهم الإله قد ملكـ ـ ـ ـ ـوا	مصر العين وحزاه سهمانـ ـا
الكفر قد خفقت رايتـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـه	و دينا قد بداه اليوم نقصانـ ـ ـا
انا استخرنا بك اللهم يا أحـ ـ ـ ـ ـد	فالق جمع العدا عن قطرمصرانا
أردد على ملّة الإسلام مصر و خـ ـذ	أخذاً عزيزاً طغاة الكفرهوانـ ـا[1]

وسواء كان الأمر يتعلّق بموقف من مواقف أحد الحكام ، أوخصال حميدة تميّز بها أحد رجال السّلطة أو ذاك ، فإنّ ذلك لم يغيّرمن الأمر شيئاً . فبالرّغم ممّا اتصف به آخر الحكـام العثمانيين في الجزائر من صفات حميدة ، وسيرة حسنة بين النّاس ، فإنّ الأمور بقيت علـى حالها من اتساع الهوّة بين السّلطة والرّعيّة .

يتحدّث عنه الزهار ، منوّهاً بخصاله ، مادحاً لسياسته : " وحسن باشا هذا ، وهو آخر الترك بالجزائر، قد كان قوي النفس ، لايتزعزع لعظائم الأمور ، ولا يتضعضع لنوائب الدهر. وأمّا سيرته في أهل البلد ، وأهل مملكته فقد سار فيهم سيرة حسنة ، لم يسرها من تَقَدّمَهُ . من لين الجانب ، وسهولة المجاب ، والعفو عن الجرائم والصّفح عن الزّلات . والكفّ عن الدّماء والمحارم ، ورفع الظلامات ، وتفقد أحوال الضّعفاء ، وكان تقياً ، محباً للصّالحين ولمن انتسب اليهم ، وكان يلتزم أحكام الشّريعة المطهّرة ، أمّا عمّاله على أهل البادية فقد ظلموا وجاروا على الرّعية . " [2]

ويمدحه أحد الشعراء المجهولين في قصيدة طويلة اخترنا منها هذه الأبيات :

أصلي تركي شجيع بايـ ـن	اسمي حسين داي حاكم
فى البهجة مدينة المحاسن	حصراه اقبيل كنت باسم
قصوري شامخة محصن	وطبولي صايلة ترنـ ـم
بمحافل زايخة مزيـ ـّن	بين بشاوتها وعالـ ـ ـم
وسلوع مضيقة السفايـ ـن	واموالي ياسرين ناعـ ـم
وجاقي طوع السلاطيـ ـن	عديانه ما تروح سالـ ـم [3]

(1) أنظر القصيدة كاملة في دفاتر التاريخ المغربية ، معهد علم الاجتماع ، جامعة وهران ، الجزائر ، 1988 ، ع 2 ، ص :144.

(2) المرجع السابق ، ص : 176 .

(3) أنظر القصيدة كاملة في كتاب :المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون ، المرجع السابق ، ص ص : 40 ، 43 .

غير أنّ هذه السّيرة التي سارها بعض أواخر الحكام العثمانيين في الجزائر وما لقوه من إشادة ومديح ، لم يشفع فيهم لدى السّكان ، جرّاء ما تعرضوا له من ظلم ونهب وسلب من حكام الأقاليم على وجه الخصوص ، فكانت نتيجة ذلك : اضطراب الأوضاع الإجتماعية في شرق البلاد و في غربها و في الجنوب ، فكانت ثورة ابن الشريف الدرقاوي بالغرب الجزائري، وثورة ابن الأحراش بالشرق الجزائري، وثورة التيجانيين انطلاقاً من عين ماضي ؛ من أكبر الفتن التي عرفتها الجزائر في فترة ما بعد التحرير الكامل للمواقع التي كانت محتلة من طرف الإسبان .

ارتأينا التّطرق بإيجاز إلى هذه الثورات من خلال المصادر المحلّية ، لمعرفة كيفية معالجة السّلطة الحاكمة لها ؟ وكيف نظر إليها معاصروها ؟

1ـ ثورة الشريف بن الأحرش :

كانت من أخطر الثورات التي عرفها القطر الجزائري طيلة الوجود العثماني، لأنّها شملت رقعة واسعة من بايلك الشرق ، ولأنّها دامت ثلاث سنوات متتالية ، وقتل خلالها باي الإقليم الشرقي .

ولقد أشادت المصادر المحلّية بالسّلطة الحاكمة التي واجهتها بالقوّة ، ونعتت أصحابها بنعوت دنيئة ، وتهكّمت من أقاويلهم وممّا كانوا يدّعون . فممّا جاء في تآليفهم عن هذه الثورة وزعيمها ؛ يقول **ابن المبارك** عن زعيمها : " دخل وسط القبائل ووعدهم بأخذ قسنطينة ، وأظهر لهم أموراً يزعم أن بارودهم يتكلم وأن بارود أهل قسنطينة يرجع ماء في مكاحلهم ، وغرّهم بأمثال هذا الكلام ، واستمالهم ووعدهم بأموال قسنطينة وحريمها ... " . (2)

ويقول عنه **العنتري**: "... وزعم أنّه صاحب الوقت وأنّ دعوته مستجابة والنّصريتبعه حيثما يتوجه و بارود عدوّه لا يضرّه ، ولا يصيب أتباعه بل يرجع إليهم ماء ؛ إلى غير ذلك من الدعوات الكاذبة ، و خرج الباي يطلب رأس الشريف في جيش بلغ عدده أربعة آلاف جندي ..." (3)

ففي سنتي 1806-1807 م تواصلات المعارك ولمّا هاجم الشريف سهول بجاية تصدّت

---

(2) الحاج أحمد المبارك : تاريخ حاضرة قسنطينة ـ تصحيح و تعليق نور الدين عبد القادر ، المطبعة الرّسمية ، منشورات : المدرسة العملية للدّراسات العربية ، الجزائر 1952 ، ص : 13 .

(3) مجاعات قسنطينة ، تحقيق و تقديم رابح بونار ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1974 ، ص ص : 29 ، 33 .

له جيوش الباي و اضطرته إلى الفرار و الإلتحاق بشيخ الدرقاوة في بايلك الغرب ؛ حيث " بقي في معيشه إلى أن دسّ له من قتله من أصحابه وكان ذلك في**1807**م ". (1)

ويتحدث عنه **مسلم بن عبد القادر**: "... ذلك أنّ ابن الأحرش أتى إلى القبائل أصحاب الأرياف ، وادّعى أنّه صاحب وقت وكانت إليه حيل أظهرها إليهم فنصروه .... " . (2)

لقد تصدّت السّلطة الحاكمة لهذه الثورة بكلّ ما أوتيت من قوّة ، ولم تيأس رغم ما تكبّدته من خسائر، لأن ذلك كان يهدّد أمن الجزائرالدّاخلي من جهة ، والوجود العثمانيبها من جهة أخرى، فكان ذلك محلّ إشادة وتنويه للسّلطة ممن عاصروها من الكتّاب والمؤلفين في حين نظروا الى زعيمها بنظرة التذمر والإنتقاد والتهكّم .

كما لم تكن ثورة ابن الأحرش هي الوحيدة التي عرفتها هذه الفترة من حيث قوتها وسعة انتشارها و كثرة أتباعها ، بل تزامنت مع قيام ثورة درقاوة بالغرب الجزائري.

2 ـ ثورة درقـاوة :

يذكرها **محمد بن يوسف ا لزياني** بتفاصيلها ، ويعيب على أصحابها سـلوكاتهم وأفعـالهم ، فيقول عن زعيمها عبد القادر بن الشريف: " وترك تعليم القرآن للطلبة. لبس المرقعـة وركـب الكلخ وعلّق البّوش والقرون معه ... وابتدع أموراً يمجّها الطّبع وينكرها الشّرع ، اقتدى بـه كثيرمن الناس.... فسمع به الباي مصطفى (3) فجهّز جيشاعظيمًا وقصد به ابن الشريف إلـى أن تلاقيا بفرطاسه بين وادي مينا ووادي العبد ، و شعلت نار الحرب بينهما .... كـان ذلك يوم الأحد ثالث ربيع الأول سنة 1219ه/ 1805م (4)

فكانت هذه المواجهة شديدة الوقع على السّلطة الحاكمة بوجه خاص ، وعلى عامّة النّاس بوجه عام ،لِمَا ذهب ضحيّتها من أعيان .

يذكرها **مسلم بن عبد القادر** فيقول : " مات في فرطاسة من الأعيان من كتاب انشاء الباي كأحمد ابن هطال وأبو عبد ا محمد الغزلاوي... ، وقال فيها شعرًا يشيد فيه بالباي مصطفى وماجهّزه من قوّة لمواجهة الدّرقاوي الذي يذكره باحتقار .

---

(1) الأمير محمد ، المرجع السابق ، ص : 118 .

(2) المرجع السابق ، ص : 67 .

(3) هو مصطفى بن عبد ا العجمي : تولى السلطة على بايلك الغرب ما بين (1215ـ1220هـ /1800 ـ 1805م)

(4) المرجع السابق ، ص ص : 208- 209 .

فيوم فرطاسـ ـة يوم كبـ يـ ـ ر ذُلّ فيـ ه العزيز وعـ ـزّ الحقيـ ـ ر
لقد هيأ مصط ـفى جيشـًا كثيـ ر تركًا و مخـ ـزنأ الملك الكبيـ ـ ـ ر
فلم تكـ ن ساعـ ـة وانهزمـ وا من جيـ ش قليـ ل هيـ أه الفقـ يـ ـ ر [1]

ويذكر زعيم هذه الثورة بنظرة المتذمرالمنتقد لأفعاله وسلوكاته وأتباعه : "…. وكان رجلا عالمًا متفننًا في جميع العلوم ورعًا زاهدًا ، والناس يشيرون إليه بالصّلاح لا غير إلى أن زغت به نفسه ، وباع آخرته بدنياه ، فحصل له بذلك الطّمع الكثير ، مع نظره الى اجتماع الغوغاء عليه ، وهم جموع الأحرار وغيرهم الذين يشبهون صغار الجراد في الفساد..." [2] .

ويتحدث عنهم حين فشلوا في دخول مدينة وهران وانهزموا بتفاخر كبير ومديح للسـ ـلطة الحاكمة التي أفشلت مساعيهم فيقول : "... فمكن جيش درقاوة الخذلان ، وقطعوا الإياس مـ ـن فتح البلد ، ... وارتحلوا يريدون بلاد الشرق ، فالتقاهم رجال البرجية فنصرهم ا عليهم فكان يوماً كبيرًا على درقاوة ، قُتل فيه من قُتل وأُسر فيه من أُسر ...وأمّا الباي[3] فإنّه لمّا أتاه الخبر بتشتيت شمل الدّرقاوي ، بعث بعثًا إلى أم العساكر ليأتوا بنساء الدّرقاوي وأولاده ، وما ادّخره ..... فقدموا بهم على الباي في وهران ، فأمر بركوبهم في البحر في شُقفٍ عيّنَهم إليهم وبَعثهم إلى الجزائر ." [4] ؛ وأنشد أبياتاً شعرية موجهة إلى أتباع الدرقاوي فيها الكثير مـ ـن الهجـ ـاء والتهجّم العنيف والتهديد بسوء المصير ، جاء فيها :

أيا عسكر الأعراب غُررتم بجمعكم فسوف تروا ماذا بجيشكم يصيـ ـ ر
فالموت هاهي تأتي إليكم عن عجل من قوم عاتية منها الرؤوس تطيـ ر
فتباً لمن بكم جا و دلّ عليكـ ـ ـ م برأي خسير يا له رأي عسيـ ـ ـ ر
وهذا يوم الفـ ـراق حان مجيئـ ـ ه واليسر نادى فراقه يا ذا اليوم الكبير
و لكن أمر ا لـ ـيس لـ ـ ـ ه ردّ وحين القضا يأتي يعمى له البصيـ ـر[5]

---

(1) المرجع السابق ، ص : 76 .
(2) نفس المرجع ، ص ص : 71 ـ 72 .
(3) محمد باي الملقب بالمقلش حكم بايلك الغرب بعد الباي مصطفى العجمي مابين 1220 ـ 1223هـ/ 1805 ـ 1808م .
(4) نفس المرجع ، ص ص : 77 ، 78 .
(5) نفس المرجع ، ص ص : 90 ، 91 .

وعن هذه الثورة يسوق المزاري موقف العلماء الجزائريين منها ، وهم يتبادلون الفتاوى الشرعية مع علماء المغرب تجاه التعامل مع أصحابها ، فيقول: وفي هؤلاء درقاوة وقع السؤال والجواب من أولي الألباب ونصّه :

أيا أهل تطوان فما الحكم عندكم	في أصحاب درقاوة إلى الجهل ينسب
بنص يزيل المشكلات بأسرهـ ـا	أيتبع مطلقاً أو التـ ـرك أصـ ـ ـ ـوب
و ما أحدثوا من جلد ذيب و نحوه	في لبسهم و الحبل و العود يركـ ـ ـب
إذا نصبوا للإقتداء فهل لنـ ـ ـ ـا	ثواب صلاتنا ام الأمر أصعـ ـ ـ ـ ـب
وهل غيبة تجري و ينصف عادل	جوابكم نبغي من الحوض نشـ ـ رب

وكان جواب علماء تطوان كمايلي

عليك سلام ا يا سائلي فمنـ ـذ	نقولاً من المعيار بالسـ ـوط يضـ ـ رب
وابن هلال شدّد جداً محـ ـ رراً	ومن يتبع ذا الأمر إبليس يصحـ ـ ب
ومن يعتقد الرقص والشطح باليد	عبادة ربه فزنديق يـ ـحسـ ـ ـ ـ ب
وقد خالفوا سبل الرسول محمـ ـد	ومن خالف سنن النبي يعـ ـ ـ ـذب
إمامتهم مع الشهادة باطلـ ـة	لبدعتهم حقاً و صدقاً مركـ ـ ـ ـ ـ ب
فلا غيبة تجري في سبعة طبقوا	في مثلهم الأخيار للعلم ينسـ ـ ب [1]

3 ـ الثورة التجـانية

جاء في رحلة الأغواطي ذكره لهذه الثورة على العثمانيين مع وصفه لعين ماضي فيقول: " إن هذه البلادة (يقصد عين ماضي) تقع غربي تجمعونت ، وهي محاطة بأسوار تشـ ـبه أسـ ـوار طرابلس ، ولها بابان عظيمان ، ولحاكمها الذي يسمى ولد التجيني حوالي مائة عبد وخزنة مليئة بالنقود و منذ سنتين فقط جمع أخوه جيشاً زحف به غرب الناحية المحيطية إلى لوائه ، وزحفوا بالطّبول والمزامير ، وُأعطيت لهم الخيول و الخيام . وقد سقطت مدينة معسـ ـكر في أيديهم و تقدّموا نحو وهران غير أن باي وهران [2] وزّع الدراهم على عرب الحمـ ـة بهدف هزيمة الجيش، وقد نجح الباي فجعلهم بذلك يسحبون أيديهم لولد التجيني الذي قتـ ـل فيما بعد إثر هجوم قام

(1) المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص : 303 .

(2) الباي : هو حسن بن موسى آخربايات وهران المعروف بحسن الباهي الذي حكم مابين 1821-1830م.

به الباي ضد جيشه " . [1]

من خلال استعراضنا للوضع العام في الجزائر وما تخلّله من ثورات كبرى أنهكت الجميع ؛ وتصدّي السّلطة الحاكمة لها بالقوّة ومواجهتها بحدّ السلاح ، رغم ما كلّفها ذلك من الخسائر الماديّة والبشريّة ، كمقتل الباي عثمان في مواجهته لابن الأحرش بشرق البلاد ، ومقتل كبارالأعيان و كُتّاب الباي مصطفى؛ أمثال ابن هطّال في مواجهة الشّريف الدرقاوي بغرب البلاد ؛ فإنّ الحكّام الأتراك لم يستسلموا لهؤلاء الثائرين ، رغم الظّروف الصّعبة التي كانت تمرّ بها البلاد ، معتبرين خطرهم أكبر مهدّد للأمن الداخلي . وهو ما تؤكده مضامين الرّسالة التي بعث بها الداي عمر باشا(2) إلى السّلطان العثماني ، والتي جاء فيها: " ...أمّا واجبكم فهو معاونتنا بإرسالكم الأوجاق والأسلحة ، خصوصاً عندما ظهر هذا المهدي الكاذب منذ خمس وعشر سنوات في غرب وشرق الجزائر . لقد ثار علينا ...لقد هاجم العساكر الأتراك ...وعليه فإننا نعلمكم أن عددًا من الموتى قد سُجل في المعارك .....نطلب من حضرة سلطاننا أن يرسل إلى أوجاقنا الذّخائر الحربية نظراً لقلّة ما نملكه الآن ... "

والي الجزائر عمر باشا في رجب 1231 / جوان 1816 م (3)

من خلال ما سبق ذكره فإنّنا نلمس نظرة المصادرالمحلّية إلى هذه الثورات ؛ إذ أنّ معارضة أصحابها تبدو جلّية بدليل الأوصاف التي وصفوا بها زعماء هذه الثورات وأتباعهم .

فابن الأحرش : تذكره المصادر المحلّية بكثير من السخريّة ؛ يقول عنه أحمد المبارك: " أظهر لهم أموراً يزعم أنّ بارودهم يتكلم وبارود أهل قسنطينة يرجع ماء ..... ووعدهم بأموال قسنطينة وحريمها . "

أمّا العنتري فإنّه يصف ادعاءاته **بالدّعوات الكاذبة** .

ويقول عنه مسلم بن عبد القادر: " كانت لديه **حيل** أظهرها، **وادّعى** أنّه صاحب وقت .... "

---

(1) الحاج بن الدين الأغواطي : رحلة الأغواطي في شمال إفريقية و السودان والدرعية ترجمها عن العربية إلى الإنجليزية وليام ب ـ هودسون قنصل أمريكا بالجزائر ، و المراسل الأجنبي للجمعية الملكية الآسيوية (لندن) طبع مؤسسة الترجمة الشرقية سنة 1830م ـ لندن ـ عرضها الأستاذ أبو القاسم سعد ا في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ،جزءان ، ج2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر 1986م ص : 243 .

(2) حكم ما بين 1230 ـ 1232ه/ 1815 ـ 1817م

(3) أنظر الرسالة كاملة في كتاب **د.**عبد الجليل التميمي : بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ـ ص : 144 .

وعن **الشريف الدرقاوي :** فإنّ المصادر المحلّية تذكره بما يلي **:** يقول عنه محمد بن يوسف الزياني : " إنّه **ابتدع أموراً يمجّها الطّبع وينكرها الشّرع .** "

يقول عنه مسلم بن عبد القادر : **باع آخرته بدنياه** ، ويصف أتباعه بالغوغاء و صغار الجراد ، وقدم شعراً فيه الإهانة والوعيد بالهزيمة ، والمذلّة ، وقطع الرؤوس لأتباعه .

كما قدّم المزاري أبياتاً شعرية لبعض علماء الجزائر يطلبون فيها تحقيق فتوى من علماء المغرب في الدرقاوي وأتباعه ، وإجابة هؤلاء لهم فيها إنكارلأفعالهم وأعمالهم وسخريّةً منهم.

من خلال هذه النماذج التي اطّلعنا عليها اعتمادًا على المصادرالمحلّية يتبيّن لنا بأنّ الشريحة المثقفة في المجتمع آنذاك من العلماء ورجال الدّين وغيرهم ، أبدوا مساندتهم للسّلطة الحاكمة ودعمها في مواجهة هذه الثورات ، حفاظاً على بقاء الدولة قائمة في وجه المخاطر الخارجيّة ، رغم ما آلت إليه من ضعف ، وارتكاب أخطاء ، الشيء الذي صعّب مهمة الثائرين في تحقيق أهدافهم .

ومن جهة أخرى ورغم الإنعكاسات السّلبيّة لهذه الثورات على الحياة السّياسية والإقتصادية والإجتماعية فإنّها لم تتمكن من الإطاحة بالحكم المركزي المستقر بمدينة الجزائر ، نظراً لتعدّد الأطراف الدّاعية لها ، واختلاف وجهات نظر زعمائها إلى حدّ التنافس بينهم .

فقد روي عن محمد التيجاني قوله : " قال لي سيد الوجود (ص) من نظر وجهك يوم الجمعة والإثنين دخل الجنة بغير حساب ولا عقاب ....وقال (ص) : من ترك وردًا من أوراد المشايخ لأجل الدخول في طريقتنا هذه المحمدية التي شرّفها ا على جميع الطّرق أمّنه ا في الدنيا والآخرة فلا يخاف من شيء يصيبه ، وأمّا من دخل زمرتنا وتأخر عنها ودخل غيرها تحلّ به المصائب دنيا وأخرى ..." (1)

والشيء نفسه يؤكده أبو العباس أحمد التيجاني " ... وكل من أذنته وأمرته بتلقين أورادنا وإعطاء طريقتنا فله هذا الشّرط : بأن لا يلقن أحداً من له ورد أو طريقة من المشايخ ، فإن فعل وخالف فقد رفعت عنه الإذن ، ولا ينفعه هو نفسه ، ولا لمن لقّنه إياه ... " (2)

---

(1) محمد بن محمد التيجاني : أقوال مروية عنه ـ مخطوط بالمكتبة الوطنية باريس رقم 5461 نقلا عن د . جمال قنان (المرجع السابق) ص : 258 ، 259 .

(2) جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التيجاني ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائر ، يوجد تحت رقم 1711 ، تاريخ المخطوط : 1799 م ، نوع الخط مغربي ، حالته جيّدة ، ص : 44 .

هذا **التنافس** بين الطّرق الصّوفية ، وعدم تمكن أيٍ منهامن بسط نفوذهاعلى كامل البلاد ، أعطى السّلطات العثمانية فرصة لتجنيد كامل قواها ، متفرّغة للقضاء على هذه الثورات التي ساهم في اضعافها ومحدوديّة تأثيراتها ، معارضة العلماء وفئة المثقفين لها بما لديهم من وزن في المجتمع.

إلاّ أنّ هذه الثورات كانت في واقع الأمر بمثابة رد فعل لانشغال السّلطة الحاكمة بأزماتها الدّاخلية والخارجية عن تقربها المعهود من المتصوّفة عن طريق الهـدايا والزّيـارات وطلـب الدّعوات من جهة ، وعلى التّكاليف الضّريبة التي أرهقت كاهل الأهالي من جهـة ثانيـة ، ولا سيما بعد تضاؤل دور رجال الدّين في التّوفيق بين المتطلبات المالية للجهاز العثماني الحاكم ، وبين مجموعات السّكان المحليين المتأثرين بالنّفوذ الرّوحي لرجال الدّين[1] ، وقد جاء في كتاب **الاستقصا** مايدلّ على تعاطف رجال الصّوفية مع أتباعهم من الأهالي ، وتذمرهم ممّاا آلت إليـه سّياسة الأتراك ، ونلمس ذلك في الكلمات التي عبّر بها ابن الشّـريف الـدّرقاوي المُحاصِـرْ آنذاك لمدينة وهران ، لمبعوث [2] السّلطان المغربي المَولى سليمان عندما قَـدِم إليـه سـنة **1220**هـ **1806**م ، بقوله " مانال الفقراء والمنتسبين و سائر الرّعية من عسف الترك وجورهم، و إنهائهم في ذلك إلى القتل والطّرد من الوطن ". [3]

د ـ عن علاقة السّلطة الحاكمة بأعيان القبائل :

اجتهد بعض الحكام العثمانيين في الجزائر ، خاصة من حكّام الأقاليم ، خلال هذه الفترة في التقرّب أكثر من بعض زعماء القبائل ، وهذا بتخصيص امتيازات إضافية لهم ، شعوراً منهم واعترافاً بمكانتهم وكلمتهم في الأوساط الإجتماعية ، ورغبةً في مساندتم والوقوف الى جانبهم ، في وقت كثرت فيه المصائب على الجزائر من الدّاخل ومن الخارج ؛ وفي المراسلات الآتية ما يستحق الإشادة والتنويه بطبيعة هذه العلاقة التي جمعت الطرفين والسّياسة المتّبعة أنذاك في هذا المجال ؛ والتي يبدو بأنّها لم تشهد كثيراً من التغيير .

---

(1) د. سعيدوني : النظام المالي للجزائر في أواخرالعهد العثماني 1792 ـ 1830 ، م.و.ك ، الجزائر 1985 ، ص 60.

(2) هوأبو عبد ا :وهو شيخ ابن الشريف الدرقاوي الذي بعثه السلطان المغربي سليمان ،بطلب من محمد باي وهران الملقب بالمقلش ، الذي ترجاه إرساله إلى أتباعه المحاصِرين لمدينة وهران لاقناعهم بالعدول عن ثورتهم (الإستقصاء ، ص :110)

(3) أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي الناصري : " كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى " 9 أجزاء ، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف : جعفر النلصري ، ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب 1956 ، ج 8 ، ص : 110 .

فهذه رسالة من **محمد باي** الملقب بالمانامانى الذي حكم بايلك قسنطينة من أواخر سنة 1822 الى 1826 ويعود تاريخها الى أواخرربيع الأول 1241ه الموافق لأواخر أكتوبر وأوائل نوفمبر عام1825م ، وهي موجهة الى إحدى العائلات الكبرى ذات المكانة الإجتماعية والسّمعة الدّينية في منطقة بلازمة بناحية الأوراس ، ويتعلّق موضوعها بحفظ الإمتيازات وتأكيد مكانة تلك العائلة لدى الحكّام والأهالي وذلك بمعاملتها معاملة خاصّة ، وبإسقاط المطالب الضريبية عنها . وقد تضمنت ما يلي :

" الحمد وصلى ا على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، يعلم من يقف على هـذا الأمر الكريم والخطاب الواضح الجسيم العلي شأنه النافذ أمره وسلطانه من الآغوات ، والخلفاء والقياد ، والعمال ، وسائر من له تصرّف في الأحوال من العرب والأجناد سـدّد ا الجميـع ووفّق الكل لصالح العمل وحسن الصنيع ؛ **إنّا أنعمنا** على الفاضل الأجلّ الخير الأجـلّ الشـيخ البركة **الشيخ ابـراهيم** وولديه سي محمد ، وسي أحمد ، والسيد محمد مراح ، وسي الطيب بـن بوبيدي ، وسي محمد بن مسعود ، ومحمد بن عباس ، وكافة إخوانه أولاد سي أحمد بن سـعيد الشريف وجردنا لهم على مقتضى الأوامر التي بأيديهم المتضمنة تحريرهم من جميع المطالـب المخزنية والوظائف السلطانية ، قلت أوجبت بحيث لا تنتهك حرمة ولا ينظم لهـم عقـاب ولا يقاسون بما يقاس به غيرهم بسبب من الأسباب ولا يطالبون بمغرم ولا غيره لكونهم لم يجـري عليهم عادة في ذلك ، ولا يتعدى عليهم أحد ولا يطرق ساحتهم ولايقربهم بإذاية ولا بمكـروه ؛ وأوصينا بحرمهم واحترامهم ورعيتهم وإكرامهم إنعامًا تامًا وتحريرًا مباركـا شـاملًا عامّـاً ، فحسب الواقف عليه العمل وعدم المخالفة والسلام.

من الأسعد السيد محمد باي أعزه ا بمنّه آمين .

أواخر ربيع الأنوار عام 1241هـ. (1)

كما راسل أحمد باي آخرالحكام العثمانيين على إقليم قسنطينة الذي حكـم مـا بـين 1826ـ1837م إلى نفس العائلة بتاريخ أواسط شوال 1243هـ االموافق لأواخر أفريل 1827 م. وفيها ما يستحقّ التنويه والعرفان بالعلاقة التي جمعت الحكام بالأعيان، وفيما يلي نصّها بالكامل " الحمد و صلى ا على سيدنا محمد وآله و سلم . يعلم من يقف على هـذا الأمرالكـريم والخطاب الواضح الجسيم ، العلي شأنه النافذ حكمه وسلطانه من العال والقواد وسائر

(1) **د. ناصر الدين سعيدوني** : ثلاث رسائل تتعلق بأوضاع الجزائر قبل الاحتلال ، مجلة التاريخ ، المركز الوطني للدراسات التاريخية ، الجزائر 1979 ، ع 7 ، ص : 61 .

المتصرفين في أحوال من العرب و الأجناد سدّد ا الجميع ووفق الكل لصالح العمل و حسـن الصنيع أنّا أنعمنا على العز سي محمد الصالح وإخوانه عبد القادر بن محمد الصـغير و ابـن عمهم إبراهيم ، أولاد المرحومين السيد محمد و سي أحمد ولدي المرحـوم الصـالح السـيد إبراهيم بن السيد أحمد بن سعيد الشريف و جدّدنا لهم على مقتضى ما يعدهم من أوامر إخواننا الباي المتضمنة تحريرهم من جميع المطالب المخزنية والوظائف السلطانية ، قلـت أوجبـت بحيث لا يتعدى عليهم أحد ولا يطالبهم بشيء ولا يقربهم بإذاية ولا بمكروه ولا يخرق فـيهم بدعة ، وأوصينا بحرمهم واحترامهم و رعيهم و إكرامهم إنعاماً تاماً و تحريراً مباركاً شاملاً عاما ، فحسب الواقف على أمرنا هذا أن يعمل به ولا يخالف عليه ، و السلام ،

المعظم الأمجد الأسعد السيد الحاج أحمد باي أيده ا .

أواسط شوال سنة 1243هـ .(1)

من خلال هذه الرّسائل التي تعتبر مصادر حيّة يتبيّن لنا بأن العلاقة بين العثمانيين والأعيان، اتسمت بالحسنة ، الشيء الذي يستحق التنويه والإشادة، خاصة إذا علمنا بأنّ الظرف الذي كانت تعيشه الجزائر يومها كان عصيباً .

غير أنّ هذه المحاولات التي كانت تقوم بها السّلطة الحاكمة ، في تلك الظّروف الصّعبة ، على غرارما كانت تقوم به في السّابق ، لم تغيّر من الأمر شيئًا ، ولم تُجد نفعًا ، حيث تراكمت المصائب، وتعدّدت منابع الفتن ، من الداخل ومن الخارج ، وعجـز الحـاكم والمحكـوم فـي التصدي لها ، ممّا أوجد نوعًا من الفتور في التواصل بين الطرفين ، رغم كلّ المجهودات التي بذلت .

فهذه شهادة لأحد الغربيين الذين عايشوا الحملة الفرنسية علىالجزائـر ، ارتأينـا إضـافتها ضمن حديثنا . يصف **سيمون بفـايفر** العلاقة بين الأهالي و الأتراك عشية الإحـتلال الفرنسـي فيقول : " ولكنّهم في الظاهر كانوا يعاملون الجزائريين برفق ولطف ومـروءة .... وكـان الدّاي قد لمّح للإنكشارية سرًا بأن تصرّفهم مع الجزائريين في هذه المرحلة الدّقيقـة يجـب أن يتّسم بالذّكاء والحكمة والإتزان ، وألاّ يلحقوا بهم أيّة إهانة من شأنها أن تثيرهم ، وأفهمهـم أن غضّ الطّرف عنهم والتّسامح معهم أفضل من محاولة إذلالهم ، كما أمرهم أن يتذكّروا كم هـم في حاجة إليهم في الوقت الحاضر "(2)

(1) المرجع نفسه ، ص : 63 .

(2)مذكرات ـ تقديم وتعريب : أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1974 ، ص ص : 74 ، 75 .

وممّا تقدّم يمكن القول بأنّ الفترة التي أعقبت تحرير وهران نهائياً من أيدي الإسبان سنة 1792م ، واستكملت خلالها الجزائر استقلالها ، عرفت البلاد إستقراراً نسبياً نستشفه من حكم ثلاثة دايات [1] استمرّ حكمهم خمس وعشرين سنة ، شهدت البلاد خلالها الكثير من الإنجازات في مختلف المجالات سبق التّطرق إلى بعضٍ منها ، وبذلت السّلطة الحاكمة كلّ ما في وسعها للحفاظ على توازنها المالي والإجتماعي ، لكن صعوبة الظّروف الدّاخلية والخارجية التي كانت تمرّ بها الجزائر حالت دون ذلك ، ممّا أوقعها في دوّامة من الأزمات ، تعامل الحكام معها بكثير من الإرتجالية رغم النيّة الحسنة لمعظمهم ، الشيء الذي أوقعهم في كثير من الأخطاء ساهمت بشكل أو بآخر في اتساع الهوّة بينهم وبين السّكان ، وهذا ما سنتناوله في المبحث اللّاحق.

---

(1) الداي محمد عثمان باشا حكم من سنة 1792 الى سنة 1798 م .

والداي مصطفى باشا حكم من سنة 1798 الى سنة 1805 م .

والداي حسين وهو آخر الحكام العثمانيين بالجزائر حكم من سنة 1818 الى سنة 1830 م .

المبحث الثاني :

نظرة الإستياء والتذمر والإنتقاد الى السلطة الحاكمة :

أ ـ عن معالجة الأزمة الاقتصادية :

توالت النكبات الإقتصادية على الجزائر خلال هذه المرحلة من الحكم العثماني، فاختلت الموازنات المالية ، وتدهورت الأوضاع الإقتصادية كثيراً مع بداية القـرن **19م** ولعـلّ هـذا التردّي يعود إلى مجموعة من العوامل منها :

ـ سنوات القحط والمجاعة التي أعيت الحكام وأثقلت كاهل السكان حيث شهدت البلاد سنوات 1800-1807 و1816-1819 قحطاً شديداً أضر بالزراعة و أصبحت الـبلاد معرضـة أثنـاءه للمجاعة [(1)].

عبّرعن ذلك **صالح العنتري** بنظرة المتألم ممّاعاناه السّكان، وبنظرة المتذمّر من عجز السّلطة على تخفيف المعاناة بقوله : ".. حصلت للناس شدة ومجاعة قد أشرف فيها الضـعفاء علـى الهلاك خصوصًا في بعض نواحي القبلة فإنهم تشتتوا عن منازلهم وتفرّقوا بسبب الهول الواقـع في وطنهم مع الشروالمصائب التي حلت به من قبل، من يبس الزرع وعدم الحـرث و نـزول القحط والفتن إلى غيرذلك مما تقدّم،حتى صاروا يقتاتون الدم والميتة وغير ذلك مما لا يبـاح اقتياته.. والحاصل بعد أن كان ذلك كذلك ارتفعت أسعارالحبوب إلى مالا نهاية له..." [(2)]

ونورد على سبيل المثال هذه الأبيات للشيخ بلقاسم الرّحموني الحدادي الذي توفي في فترة حكم الباي ابن شاكر **1814-1818م** والتي تعكس نظرة التذمّر من السّلطة العاجزة يومها أمام ارتفاع الأسعار ، وانتشار الفساد وقلّة الغذاء . وقد جاء فيها مايلي:

عام مكبرة هاي سيـــدي   بالكساد و غلات النعمـــــــا
كيف نخبر ها سيــــدي   بالفساد في كمان حومـــــــــا
باح كل شيء بلاكتهـــا   في بلدة قسنطينة الدهمـــــــا
واش تنظـرهـا سيـــدي
واش تنظر فيها هلكــت   راهي فســــــــــــــدت
مابقــت تسمى بلاده [(3)]

---

(1) ناصر الدين سعيدوني : دراسات في الملكية العقارية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ، ص : 96 .

(2) مجاعات قسنطينة ، ص ص : 33 ، 34 .

(3)COUR(A) :Constantine en 1802 . D'après une chanson . R .A T:60 -1919 O P U-Alger 1985 , pp: , 124 . 127

والشيء نفسه يتحدّث عنه المزاري : " وفي فصل الربيع سنة إثنين وأربعـين ومـائتين وألف [1] وقع غلاء عظيم وقحط فيه الناس . " [2] وفي سرده للحـدث مـا يثيـر الحسـرة والإستياء من سكوت السّلطة وصمتها أمام هذه الأزمة التي كان يعاني منها السّكان .

ـ كما كان لتقلص مداخيل البحرية أثر سلبي على خزينة الدولة ، إثر تكتل الأوربيـين فـي مواقفهم ، لوضع حد لنشاط البحرية الجزائرية . حيث يروي لنا **الشريف الزهار** في هذا الصدد : " وفي تلك السنة [3] اتفق جميع الرّياس (أي الملوك) مع السّلطان محمود على إلغاء الأسر... فقِدم الإنكليز للجزائر و أُخبر الأمير بذلك ... وأنّ الأسارى الذين بالجزائر فإنّـه أتـى لكـي يحملهم ، و لكن بعد دفع الفدية ... " [4] .

علمًا بأنّ عام **1815** قد شهدت أوربا خلاله إنعقاد مؤتمر فيينا الـذي كـان مـن بـين قراراته: منع تجارة الرقيق ، وكان في الوقت ذاته يمثل خطوة هامّة في تاريخ التقارب الأوربي ضدّ كلّ ما يهدّد مصالحهم و أنظمتهم سواء من داخل أوربـا، كنـابليون بونـابرت أو مـن خارجها كالدّولة العثمانية

و إيالاتها وفي مقدمتها الجزائر، وازدادت المواقف تقارباً بعد مؤتمر اكـس لاشـابيل 1818 ؛ ففي 5 سبتمبر 1819م أشعرت الدول الأوربية الداي حسين بقرارات هذا المؤتمرالذي أكّد علـى تمسّك الدّول الأوربية وتوحيد قواها لوضع حد لنشاطات الأسـطول الجزائـري فـي حـوض البحرالأبيض المتوسط . وأهم ما جاء في الاشعار**:** " أيها الأمير إنّ الـدول الأوربيـة التـي اجتمعت في السنة الماضية في إيكس لا شابيل قد أوكلت لفرنسا وبريطانيا العظمى، أمـر تقديم تحذيرات جادّة وخطيرة باسمها جميعًا للإيالات البربرية ، حول ضرورة وضع حـد للنّهب و للإعتداءات التي تقوم بها السفن المسلحة التابعة لهاته الإيـالات... فهاتـه الـدول مصمّمة وعازمة بصفة نهائية على وضع حد لنظام القرصنة... ويجب أن تتمعن جيّداً فـي ذلك قبل فوات الأوان...." [5]

لقد تزامنت هذه القرارات والتكتلات الأوربية ضدّ نشاط البحريّة الجزائرية مع سنوات

(1) المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص : 360 .

(2) 1242هـ / 1827م

(3) 1231هـ / 1815م .

(4) المرجع السابق ، ص ص : 119 ، 120 .

(5) المصدر : أرشيف الخارجية الفرنسية ، مجموعة مذكرات ووثائق الجزائر ، نقلا عن جمال قنان من المرجع السابق ، ص ص : 265 ، 266 .

القحط والجفاف التي كانت تمر بها البلاد ، ممّا زاد في تأزم الوضع الإقتصادي والإجتمـاعي معاً، وشحّت المداخيل كثيراً ، ووقع عجز في الخزينة ، ولم تجد السّلطة الحاكمة مخرجاً مـن هذا المأزق سوى الإهتداء إلى زيادة الضرائب على السّكان ، والإجتهـاد فـي جبايتهـا بكـل الوسائل ، كما انصبّت سياسة الدّايات الأواخر كالدّاي بابا حسـان (1791 ـ ـ 1798) ، والـدّاي مصطفى باشا (1798 ـ 1805) ، على انتهاج أسلوب جديد في التعاملات التجارية قوامه تصدير المزيد من المحاصيل الزراعية الى الخارج ، عن طريق الشركات الأوربية والمحتكرين اليهود أمثال بكري وبوشناق . ففي الوقت الذي قلّ فيه الإنتاج الزراعي بسبب سنوات الجفاف المتتالية التي عرفتها البلاد ، كان السماسرة اليهود يصدّرون كمّيات هائلة من الحبوب أثناء هذه الفترة ، وهذا ما تسبب في حدوث اضطرابات في جهاز الحكم . كمـا أدّى الضّـغط المتزايـد علـى الأرياف الى قلّة الإنتاج وإهمال الزراعة وإعلان العصيان . [1]

لقد أثارت النشاطات التجارية التي كان يمارسها اليهود بدعم من السلطة الحاكمة حافظة السكان ، خاصة عندما كان الأمر يتعلّق بغذائهم الأساسي ، وهو القمح .

فكانت نتيجة ذلك حسب ما جاء على لسان **الزهار** المستاء من السياسة التـي كانـت تنتهجهـا السّلطة في هذا المجال ، كما يلي : " إن الخزناجي كان محباً لليهود ، وكان كبيرهم ولد بوجناح له صولة كبيرة مع الأمير والخزناجي وكانت له مراكب تسوق القمح والشـعير مـن وهـران وعنابة الى بر النصارى بإذن الأمير ووزيره الخزناجي ...وكان النـاس والأتـراك يخـافون شوكته الى آخر سنة 19 [2] . فقام رجل من الأتراك اسمه يحي يريد قتله ، ...فلمّا قرب منـه ضربه ببندقية لبطنه ،...فلمّا سمع أهل البلد بموت الذمي وبقاتله ، فرح المسلمون بذلك ... فلمّا علم الأتراك أن أهل البلد فرحوا ،...خرج الأتراك ، وذهبوا للحارة وابتدؤا يقتلون رجال اليهود ، فقتلوا منهم نحو المايتين ، وعندما وقع هذا الأمر باليهود ، بقي الأمير ساكناً ولم يقـدر على أحد . " [3]

هذه السّياسة التي انتهجها العثمانيون في مواجهة الأزمة الإقتصادية في آخرعهدهم بالجزائر، كانت انعكاساتها سلبيّة على المجتمع ، ممّا وفّرالأجواء لقيام التّمردات والثّورات عليهم ؛ فكانت آثارها جسيمة على كامل المجتمع ، فتلاشت الروابط بين الحكّام والمحكومين ، وفقدت الثّقة ، وقلّ الأمن .

(1) سعيدوني : دراسات في الملكية العقارية ، ص : 36 .

(2) 1219 هـ / 1804م

(3) نفس المرجع ، ص ص : 67 ، 68 .

ب ـ عن علاقة السّلطة الحاكمة برجال الصّوفية :

أمام حدّة الضغط الذي سببته الضائقة المالية ، لم تستطع السّلطة الحاكمة المحافظة على وتيرة تعاملها المعهودة مع رجال الصّوفية، فازداد بذلك التباعد يوماً بعد يوم بين هؤلاء وأولئك، ممّا دفع في نهاية المطاف **برجال الصّوفية** إلى الوقوف بجانب السّكان المتذمرين من سياسة الأتراك ، بل قادوهم إلى الثورات و التمرّدات .

جاء في قصيدة من الشعر الملحون يقول فيها لكحل بن خلوف ، وهو من المنتسبين للصوفية ، والمعروف بمدائحه الدينية الكثيرة :

ربي تحير طه عفـ وه يا جـ واد   انزع على الاسلام هومها تبرا

اذهب عليهم الترك جارت المعتاد   بالخـ ير بالتخـ يل صـ ـ درا [1]

وأمام تمادي الحكام في سياسة قمع الثائرين انفلت الأمر من أيديهم ، وازدادت الأوضـ اع سوءًا، و حركيّة السّكان ضعفًا ، وحالة الجيش تدهورًا وأثقلت الضرائب كاهل الأهالي .

" فالإختلال الذي عرفته الجزائر في الناحية المالية إنجرّ عنه ضغط ضريبي علـ ى الأريـ اف وساهم ذلك في نشوب ثورات عديدة وجدت في الطّرقية وسيلة للتعبير عن عدائها و كراهيتهـ ا للسّلطات الحاكمة ، كما كان هذا الأنهيار المالي عاملاً مباشراً في انعزال الحكومة الجزائريـ ة و عدم تجاوب السّكان معها ، ممّا جعلها تنهار في أوّل صدام حقيقي لها مع قوة أجنبية غازية سنة 1830 . " [2]

كما كان لهذه الثورات انعكاساتها السّلبية ، وعواقبها السّيئة على رجال الدين عموما ، والمتصوّفة خصوصاً ، إذ صار رجال السّلطة منذ ذلك الحين يتعاملون بحذر كبيرمع أصحاب الطرق الصوفية، بل يتوجّسون منهم خيفة ، ويتتبّعون أخبارهم وحركاتهم ، وقد تعرض الكثير منهم للقتل الشنيع .

وفي هذا الصّدد نقدم ما جاء على لسان المزاري الذي يسوق لنا شيئاً من سيرة آخربايات وهران ، وكيف تعامل مع رعّيته ؟ وخصوصاً رجال الدّين والمتصوّفة بوجه أخص في آخر أيام حكمه فيقول: "... واجترأ على العلماء والأولياء والشّرفاء والرّعيّة فبان منه الجور والظلم والتعدّي ، وكثر منه الضلال وهتك المحارم والتردّي ، وطغا وتجبّر وتكبّر وكثر منه الفساد

---

(1) قصيدة " صلوا على النبي وارضوا على العشرة " ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، يوجد تحت رقم : 1636 ، يحتوي على 16 ورقة ، تاريخ النسخ : 1259هـ/ 1843م ، ص : 6 .

(2) **سعيدوني** : النظام المالي للجزائر ... ، ص : 243 .

والسّفك بغير موجب لدماء العباد ، ولم يراقب في ذلك خالقه ولم ينظر ليوم المعاد ، فقَتَل في سنة تسع وثلاثين ومائتين وألف [1] قتلةً ذميمةً ، ولي ا الفقيه السيد محمد ابن أحمد الصدمي من أولاد سيدي بن حليمة .... وفي شهر شعبان أمر بقطع رأسي الفقيهين العالمين الجليلين الوليين ، السيد بن عبد ا بن حواء التيجيني الدرقاوي ، والسيد فرقان الفليتي . " [2]

ويضيف " وقتل هذا الباي ولي ا سيدي الحاج محمد البوشيخي المقيم بقيزة....بحيث علّقه مع خشبة بوهران ، وقال هذا جزاء من يريد الظهور والإعلان ؛ ومنع شيخ الجماعة من الحج وهو السيد الحاج محي الدين بن سيدي مصطفى بن المختار والد الأمير السيد الحاج عبد القادر .....ثم جمع جيشًا عظيمًا يقيناً ، وذهب به لزاوية الشيخ بلقندوز القدّاري التيجيني ، وليس عند هذا الشيخ الضرير سوى الطّلبة لقراءة القرآن ، قال مثل هذا لا يثور علينا ورجع ، ثم غزاه في عام 1245 [3] ... وقتله خنقاً ..." [4]

وكان الشيخ الشارف ابن تكوك تلميذاً للشيخ بلقندوز وهاجر الى المغرب بعد مقتل شيخه ، ورثاه بقصيدة تضمّنت الترحم على شيخه وذكر حسناته ، والدّعاء على الباي حسن بعذاب ا وانتقامه ، وفي ذلك ما يشير الى الإستياء والتذمر من السّلطة الحاكمة ، وسياستها المتبعة تجاه المتصوّفة ؛ نقدّم هذه الأبيات من قصيدته :

ارحم شيخي بلقنـ ـدوز	مريد الشيخ المعزوز[5]
عبد القادر به انفـ ـوز	عند ارجال اللازميـ ـة [6]
بالقندوز المزهـ ـ ـ ـد [7]	في وسط الطلبة عابد
لابد[8] في الذكر يمجد	يخدم ربي بالنّيـ ـة
ما تظني[9] كيفوا ولدا	اسـ ـم النبي سيد ارقية

---

(1) 1239 هـ = 1823م

(2) المرجع السابق : الجزء الأول ـ ص : 350 .

(3) 1245 هـ = 1829م

(4) المرجع نفسه : ص ص : 361 ، 362 .

(5) كان الشيخ بلقندوز قادري الطريقة ، والشيخ المعزوز كناية للشيخ عبد القادر الجيلاني .

(6) يقصد بهم رجال الشّدائد وهم المتصوّفة .

(7) يعني به الزّاهد .

(8) دائماً وباستمرار .

(9) لا تنجب مثله امرأة .

ثم يتعرض للباي حسن فيقول :

يـارب عذّب حسـن [1]	فركت بيت ا تعيان
والطلبة قعدت تنهـان	وافترقوا في بكريـ ـا
افترقوا في تحمـ ـدا [2]	شدوا من به العمـدا
ثم كانوا مجموعيـن	عمارة للمساكـ ـ ـين[3]

ثم يذكر تاريخ الواقعة بالتدقيق فيقول :

احدث ذاك الأمـ ـ ـر	في القرن الثالث عشر
في شهـر ا صفـر	دارت به العسـاكـر
بالثلاثـة بعد الفجـر	ولّـى في ايدين العدية
عام الخمسة والأربعين	توفـى ليلـة الاثنيـن
فرحوا له الطائعـون	الغـابطون في الدنيـا
ماذا قتلوا من رؤوس	من ساداتي الصـوفية [4]

ولعل الأبيات الموالية قد قالها **مسلم بن عبد القادر الوهراني** تشفيًا في الأتراك إثر هزيمتهم أمـام الفرنسيين ، نتيجة استياء منه ، وتذمر من انحراف سياستهم في أواخر عهدهم ، رغـم كونـه كاتباً مقرّباً من الباي حسن بوهران الى غاية احتلالها .

في فج من محرم بها ظـفـر	بعد قتال ذريع نال الوطـ ـ ـ ـ ـ ـ ـر
جمعهم والباشـا فـي أكبـاله	أسلبهم ا ملكهم في حـالـ ـ ـ ـ ـ ـه
أدّبهم ربـهم لمّا طغـ ـ ـوا	عرّفهم بغدرهم لمّـا بغـ ـ ـ ـ ـ ـوا
كأنهم ما كانـوا في عزومـا	تملّكوا دهراً طويل المنتهـ ـ ـ ـى
فانشغلوا بالظـلم ليس من عدلٍ	فاتخذوا أخذاً وبيلاً بالمهـ ـ ـ ـ ـل
لمّا نسوا ما ذكـّروا به ختـم	على قلوبهم ا فانتقـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـم

---

(1) هو حسن بن موسى الملقب بالباهي حسن ، وهو آخر بايات وهران بقي بها حتى احتلّها الفرنسيون بموافقته سنة 1246هـ / 1830م ، ثم نُـقل الى المشرق الى أن توفي به .

(2) اسم القرية التي كان فيها التعهد بين يلل والمطمر بضواحي غليزان .

(3) المزاري : المرجع نفسه ، ج 1 ، ص ص : 51 ، 52 .

(4) أنظر المهدي البوعبدللي في تقديمه لكتاب " دليل الحيران .. " ـ ص ص : 10 ، 11 .

إلى أن قال :

صناديد لولا الفساد في الـورى لقلنا قل مثلهم فوق الثـــــــرى
وعتوا عتواً على الخلق وجـاروا فكانوا أكثر العباد وبـــــــــــارو
فرفع الكلّ الأكـف و دعــوا بما به أجاب ا و رجـــــــــو
أمهلهم لمّ بلغ الوقت الأجـــل أبدلهم بغيرهم تمّ العمـــــــــــل [1]

والشيء نفسه يؤكده محمد بن يوسف الزياني بقوله : " واعلم أنّ الأتراك لمّا تمهد لهـم الملك بالجزائر ، كثر ظلمهم وفسادهم بحيث لا يليق أن يُذكر ما كانوا فيه من الظلم والمناكر ، وتواتر ذلك على الألسنة بغاية التواتر... وسألت الناس ا أن يزيل بهم ما حلّ من ظلمهم. " [2]

هذه السّياسة التي طُبعت بالإنحراف عموماً ، سواء ما تعلّـق منهـا بمعالجـة الأزمـة الإقتصادية ، أو بطبيعة التعامل مع الطّرق الصّوفية ، وانعكاسات ذلك على المجتمع ؛ ساهمت بشكل كبير وفعّال في نفور السّكان من الحكّام ، وغدت الأمور تسير من السّيء نحو الأسوأ ؛ وتهيأت الأسباب والظّروف للغزو الفرنسي الذي نجح في تحقيق الحُلم الذي راوده منذ أمدٍ بعيد.

وخلاصة القول أنّ المرحلة التي أعقبت تحرير مدينة وهران من الاحـتلال الإسـباني عُرفت بكثرة أزماتها الداخلية ، السّياسيّة منها كتفشـي ظـاهرة اغتيـال الحُكـام ، وضـعف شخصياتهم ، وقيام التمرّدات عليهم ، والإقتصادية كظاهرة الجفاف وسنين القحط التي توالـت على البلاد ، وشُح المداخيل البحرية وتقلّصها ؛ بالإضافة إلى الأزمات الخارجية وفي مقـدّمتها التكتل الأوربي على الجزائر خاصّة بعد انعقاد مؤتمر فيينا 1815م ، ومؤتمر اكـس لا شـابيل 1818م اللّذان شدّدا كثيراً على التكتّل الجماعي من أجل وضع حدٍ نهائيٍ للتخلّص مـن نشـاط البحرية الجزائرية وتفوّقها في الحوض الغربي للمتوسط .

إنّ هذه التّطورات الدّاخلية والخارجية التي عرفتها الجزائر أثّرت كثيراً في طبيعة السّياسة التي انتهجها الحكام في تعاملهم مع الأحداث التي لم يألفوها من قبل بهذا القدر من الخطورة

---

(1)وجدت هذه الأبيات في طرس الأخبار، وهو مخطوط تحت رقم 4965 بالخزانة العامة بالرباط ـ عرضها الأستاذ رابح بونار في تقديمه لكتاب أنيس الغريب والمسافر ، ص : 34 .

(2) المرجع السابق ، ص : 253 .

المهدّدة لوجودهم ، ولم تخلُ هذه السّياسة من الإرتجالية في اتخاذ القرارات ، خاصّة الدّاخلية منها ممّا أوقع الحكام في كثير من الأخطاء وإن حاول بعضهم تفاديها ، فإنّ ذلك قد هيأ الأجواء للمخاطر وعرّض البلاد للغزو الأجنبي الذي أفلحت فرنسا في تحقيقه .

ولقد تأثر الجزائريون كثيراً من تغيّر أوضاعهم وحلول الأجنبي ببلادهم ، ولم يبق لهم سوى تذكّر عزّهم ، وقوة بأسهم أيام الحكم العثماني ، فأنشد أحدهم[1] متحسراً يعرض أوصاف الجزائر وما كانت عليه قبل الاحتلال الفرنسي بهذه الأبيات التي نختم بها هذا الفصل :

حسراه ويـن ديـك المرسـ ـى — وغنايـم الفهـ ـ ـ ـاوى ومأ ـف
قرصـ ـان داخلـة للمرسـ ـى — قدّاش من يسيـ ـ ـ ـر مكتّـ ـف
للكافـ ـرين كانـت بخصـ ـ ـة — الأجنـ ـاس قـ ـ ـاع فيها تحاف
منهـا الجنوس ولات نسـ ـ ـا — من جا يطل يمشـي زاعـ ـ ـف

****

بعد كان سناجق البهجـة ووجـاقها — الاجناس تخافها في البر وبحريـن
من درى على الجزائر وتحصـانها — وعلى وجاقها نزلت فيه العيـ ـن
حسراه وين دار السلطان وناسـها — صدّوا وجاو اليها أوجوه أخريـن
حسراه ويـن بايـات مع قيـادها — يا من درى على ذوك القصباجيين
حسراه على السراية وعلى حكامها — وعلى مواضع الحكم المعزوزيـن
حسراه على ذوك الشواش طغيانها — حسراه وين الأتراك النصناصيـن
حسراه على المساجد غلاق بيبانها — ضحاو اليوم يا سيدي منسييـ ـن
حسراه وين تحفاتها وين ديارهـا — وين البيوت وغرف المخصييـ ـن
يا غافر الذنوب اغفر للي قالـها — واغفر ذنوب عبد القادر مسكيـن[2]

---

(1) الشيخ عبد القادر حسب ما ورد في القصيدة .

(2) أنظر القصيدة كاملة في المجلة الإفريقية ، السنة 1930 ، العدد : 71 ، د.م.ج ، الجزائر 1985 .

الفصـــل الثـــــالث

نظرة المصادر الغربية و الإسلامية إلى السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائـــر

تمهيد :

دخل المغرب الأوسط - الذي أصبح يعرف منذ القرن العاشرالهجري ، السادس عشر الميلادي بالجزائر- طواعية تحت لواء الدّولة العثمانية بفضل جهود الإخوة بربروس ورفاقهم ، في ظروف تميّزت بالخطورة ، نتيجة التفكّك الدّاخلي الذي عرفته الجزائر في أواخر الدولتين الزّيانية والحفصية ، وكذلك نتيجة الغزو الخارجي الإسباني ؛ ممّا جعل الجزائريين يتوجّهون بأنظارهم الى طلائع العثمانيين والى الدولة العثمانية لانقاذهم من الأخطار المحدقة بهم ، وهكذا استحكمت العلاقة بين الأهالي والعثمانيين طوال أكثر من ثلاثة قرون ونيف .

وبعد وقوفنا على نظرة الجزائريين الى السلطة العثمانية نحاول بقدر الإمكان الإطلاع على نظرة الغربيين والكتاب المسلمين الى العثمانيين الذين حكموا الجزائر خلال تلك الفترة . وهو ما سنتناوله بالبحث ضمن المبحثين التاليين :

المبحث الأول

نظرة المصادر الغربية الى السّلطة العثمانية في الجزائر

يرى كثير من الباحثين في تاريخ الجزائر الحديث بأنّ الكتابة عن هذه المرحلة والبحث في ثناياها لن تكون وافية بدون الرجوع الى المصادر الغربية ، ويؤكد آخرون بأن تاريخ الجزائر من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر يمكن استخلاصه من خلال ما رواه مراقبون غربيون اعتماداً على المؤلفات التي دوّنوها ، حيث " يمكننا أن نستخرج من الكتب والكتيبات ورسائل القناصل والديبلوماسيين ، والبحارة وتقاريرهم مادة كافية تسمح لنا باستنباط معلومات مقبولة إلى حدٍ ما " (1)

لقد أدّى إنضمام الجزائر للدولة العثمانية على مدار ثلاثة قرون متتالية ، وظهورهاعلى مسرح الأحداث الدّوليّة عامّة ،والمتوسطّية خاصّة،ونجاحاتها البحرية المتتالية التي كانت تحقّقها في صدّ الحملات الأوربية الى إهتمام الأوربيين بها ، رغبةً في التقرّب منها لسبب أو لآخر .

و فعلاً فقد أتاحت الحروب و المبادلات التّجارية و الجوسسة و العلاقات الدبلوماسية وافتداء الأسرى ، و حب المغامرات ، لسكان أوربا فرصاً سانحة للتّعرف على الجزائروالكتابة عنها أو عن حادثة وقعت بها .

---

(1) جون بابتست وولف : الجزائر وأوربا 1500 - 1830 ، ترجمة وتعليق : د. سعد ا ، م.و.ك ، الجزائر 1986 ، ص : 149.

وبذلك تنوعت مؤلفاتهم من مذكّرات إلى تدوين رحلات برّية وبحرّية الى وصف مدن زاروها وعادات للسّكان عايشوها .

فكثيرٌ من الباحثين الغربيين أقاموا بمدينة الجزائر أو طافوا خلال البلاد الجزائرية ، أو خدموا في حاشيّة البايات و الدّايات ، فكانت ملاحظاتهم مباشرةً ، و معلوماتهم التي عبّروا عنها في مؤلفاتهم ذات أهمية دون شك ، أمّا القناصلة الأوربيون الذين كانوا يشغلون مناصبهم في مدينة الجزائر فقد دوّنوا ذكرياتهم وكتبوا عن حوادث عاصروها ، أو كانوا قريبين منها ، ورووا أشياء لها صلة بالجزائر، فكانوا على خبرة جيّدة بحوادث ومشاكل عدّة ، ومراسلاتهم و تقاريرهم كانت ذخيرة لا تنفد من المعلومات ، وعليه نورد بعض ماجاء في هذه الكتابات الصادرة عن رجال دين وقناصلة وأسرى ورحّالة عاشوا في الجزائر، وعرفوا عنها وعن حكّامها وسكّانها الكثير من الحقائق ، وتبرز من خلال ذلك نظرتهم الى السّلطة العثمانية في الجزائر .

لقد وقع اختيارنا على نماذج من هذه الكتابات ؛ على أساس أن تمثل هذه النماذج لونـاً معيّناً من المصادر المعتمدة في هذا المبحث من رسالتنا .

إنّ المتتبع للمصادر الغربية التي تتناول الجزائر خلال العهد العثماني يلاحظ شبه تطابق في وجهات نظر كُتّابها ، فهذه المصادر ركّزت في معظمها على بعض المسائل التي يظهـر فيها التحامل جليًا على الأتراك ، خاصّة ما تعلّق منها بالقرصنة ، و الأسرى المسـيحيين ، و نظام الضرائب .

وعلى الرغم من ذلك فهذه المصادر تقدّم لنا صورة حيّة عن جزائر تلك الفترة ، و ما تخلّلها من تطوّرات و أحداث ، بغض النّظر عمّا تحمله من تشوّهات لبعض الحقائق .

أ ـ نظرة الإستياء و التذمر والإنتقاد الى السّلطة الحاكمة :

نستمد أهم مكوّناتها من النّقاط الأربع الآتية : الغزو البحري ، والأسرى ، والضـرائب ، وعلاقة الحكام بالسّكان .

1ـ عن الغزو البحري : ويسمى في المصادر الغربية بالقرصنة :

نجد كتابات غربية كثيرة لا تخلو من التعرّض لها بإسهاب ؛ فالجزائر في مؤلفـاتهم حجـر اللّصوص وعش الصّعاليك وجحيم النّصارى وجمهورية قُطّاع الطُرق ، وحكام البلاد غـيلان إفريقيا، وهم أهل استبداد ، معدومو الأخلاق ، همهم الوحيد هو طلب اللّذة ونهـب الأمـوال ، وأمّا رياس البحر وعظماء البحرية فهم المتعطشون للدماء وهم رعاع القوم وحثالـة الأتـراك وهم القراصين الناهبون . (1)

يصفهم **غراماي** (2) ـ بنظرة الناقم المتّقد حقداً ـ بأوصاف دنيئة جاء فيها : " إنّ هؤلاء نهاب البحر مثلهم كمثل الحيوانات المتوحشة ، ينقضّون على الغنائم وهـم يصـرخون بكـلّ شراسة ثم يستولون على السفينة وما احتوته طمعاً بالثّروة حتى لو كانت السّفينة لإحدى الدول المرتبطة بمعاهدة معهم ." (3)

ومن ذلك ما جاء على لسان **وليام شالر** (4) وهو يصف الجزائريين في العهد العثماني بنظرة المنتقد المستاء و المتذمّر من سياستهم القائمة على القرصنة بقوله : " والجزائريّون الذين يقوم نظامهم السّياسي على القرصنة يمنحون لأنفسهم حقّ إعلان الحرب على كلّ دولة مسـيحيّة لا تشتري رضاهم بمعاهدة " (5) .

ونفس الشيء يذهب إليه **فون مالتسان** وبنفس النظرة فـي وصـفه للجزائـريين : "... ولكنّهم مارسوا **القرصـنة** إلى أبعد حد ، فكانت هذه تمدّ رؤوسها كثعبان الهيدرا المتعطّش للدّماء نحو جيرانها في حوض البحر الأبيض المتوسط ، فأصبح لزامًا عليهم أن يدفعوا لها الأتاوة ، و إن رفضت دولة من الدّول دفع هذه الضريبة المهينة ، فعليها أن تتوقع أن ترى عاجلاً

---

(1) د. مولاي بلحميسي : موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائرفي العهد العثماني ، مجلة الدراسات التاريخية ، الجزائر 1988 ، عدد 05 ، ص : 102 .

(2) **جون بابتيست غراماي** : أسير بلجيكي وقع في أيدي الجزائريين عام 1619 ، كتب يومياته كأسير باللغة اللاتينية .

(3) Abdelhadi Benmansour : Alger 16ème – 17ème siècle / **journal de jean babtiste gramaye** "èvèque d'afrique" – les èditions du CERF – paris 1998 - p **: 11 .**

(4) قنصل أمريكا في الجزائر ما بين 1816ـ1824

(5) مذكرات ، تعريب و تعليق وتقديم : إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1982 ، ص: 63 .

الكثير من أبنائها يُقادون إلى عبوديّة المسلمين . " [1]

غيرأنّ بعض الغربيين يخالفون هذه الكتابات ويردّون مزاعم أصحابها ، ومن هؤلاء البريطاني **جوزيف مورقان** [2] الذي يشيد كثيراً بحكومة الجزائر وشعبها وماضيها وحاضرها يومذاك قائلاً : " إنّه من حق الجزائر أن تدّعي القدم والشّرف معاً ، ومن حقّها أن تحتل مكانة بارزةً بين أنبل مدن العالم ...إنّه من حق الجزائريين أن يكونوا **شعباً بحرياً قوياً** ، أليس كلّ قادة أوربا ينشدون صداقتهم ، ويتودّدون إليهم ؟ فهم شعبٌ يعقد السّلام ويعلن الحرب مثل الأمم الأخرى ، وهم دائماً في وضع يفرض على غيرهم احترامهم وتقديرهم.......إنّ الجزائر مشهورة بحكومتها القوية ، وأنّها قد وقفت أكثر من قرنيين ضد هجومات كثيرة .... " [3]

لا شكّ أنّ السّر في التشهير بالقرصنة ، يعود إلى مضايقة الأسطول الجزائري للأساطيل الأوربية ، التي لا ترتبط بمعاهدة مع الجزائر، وبروز تفوّقه عليهم في حـوض البحـرالأبيض المتوسط . فالبحرية الجزائرية : " كانت لها اليدُ الطولى في البحرالرّومي ، وكانـت بُعوثُهـا وغوازيها كثيراً ما تسم الثّغور الإفرنجية بالخسف و الدّمار ..." [4]

كما " كانت القرصنة حركة دفاعيّة لمواجهة القرصنة الأوربية ، وصدّ الحملات التي كان يشنّها الأوربيون على الجزائر بقصد الغزو والاحتلال ، فكان هذا النشاط يمثّل صفحة ناصعة البياض في تاريخ الجزائر. " [5]

فنشاط القرصنة لم يكن سوى نشاطاً عادياً في زمانه كما يعبّر بذلك أحد المؤرخين الغربيين " ووجود هذه العناصر(يعني بهم الأسرى) مرتبط بظاهرة انتشرت في المتوسط لذلك العهد ، وهي حرب السّباق ، والقرصنة الحقيقيّة ..... فإلى نشاط القرصنة يرجع إذن وجود

(1) ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا : ترجمة أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1976 ، الجزء الأول ، ص : 47 .

(2) عاش سنوات طويلة في الجزائر ، وتولّى بعض المهام في قنصلية بلاده بالجزائر في عهد القنصل البريطاني العام السيد روبير كول الذي أقام في مدينة الجزائر أكثر من أربعين سنة ، طبع كتابه " الكامل قي تاريخ الجزائر " بلندن سنة 1731 ، ويقع في أكثر من 700صفحة من الحجم الكبير ، وهو في مجلدين .(عن سعد ا ، مجلة الأصالة ، الجزائر 1972 ، عدد 8 .)

(3) جوزيف مورقان : الكامل في تاريخ الجزائر ـ نقلاً عن د. سعد ا ، مجلة الأصالة : إصدار وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينيّة ، الجزائر 1972 ، العدد : 08 ، ص ص : 29 ، 32 .

(4) **الأمير محمد** : المرجع السابق ، ص : 126 .

(5)**اسماعيل العربي** :العلاقات الديبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة 1776ـ 1816 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 ، الطبعة الثانية ، ص : 14 .

العبيد في البلاد المسيحية ، كما في البلاد الإسلامية ، أولئك العبيد الذين يصبحون بدورهم موضوع مبادلات ومتاجرة . " [1]

علماً بأنّ هذا النشاط كان يمارَس منذ ما قبل الوجود العثماني بالجزائر ، كما يتحدث عن ذلك **عبد الباسط بن خليل** [2] وهو يصف الهجومات التي كان يشنّها قراصنة النّصارى على شواطيء الجزائر ، فيخطفون النّاس لإيقاعهم في الأسر بالبلاد المسيحية ، وقد بلغه خبر هجوم أربعة مراكب بساحل بجاية ، نَجمَ عنه أسرالكثير من المسلمين ، وقد أخفقت في أثناء مقامه بالجزائر، مساعي مركب آخر نزل ناحية هنين وهو ميناء تلمسان فيقول عن هذه الحادثة : " في هذه الأيام ُأحضرَ الى تلمسان ، ونحن بها ، أحد عشر نفراً من الفرنج ُأسروا من ساحل هنين ، وكانوا وردوا إليها بمركب لتخطّف المسلمين والإغارة عليهم بالطرقات ونحوها.... وكان لماّ فطن المسلمون بهم ثاروا عليهم ، فهرب منهم الكثير وُأخذ مَن ذكرنا . " [3]

من هنا نعرف بأن القرصنة لم تكن من ابتداع الجزائريين ، ولم يمارسوها دون غيرهم ولكنّها كانت نشاطاً بحرياً مارسته يومها الكثير من دول حوض البحر الأبيض المتوسط على وجه الخصوص.

2 ـ عن مسألة الأسرى :

استُغِلّتْ مسألة الأسرى لدى معظم الكتاب الغربيين أيّما استغلال ، خاصة ما تعلّق منها بالأسرى المسيحيين في الجزائر ، باعتبارها أكبر مناويء لهم في حوض المتوسط .

(1) **د. سلفاتوري بونو** : وضع الجاليات الأوربيّة في المغرب العربي قبل الاستعمار ، مجلة الاصالة ، إصدار وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر 1975 ، العدد 25 ، ص ص : 144 ، 145 .

(2) ولد بملطيّة بالشام ونشأ بها ، أخذ العلم باديء ذي بدء بدمشق وجاب على علماء أجلاء ، ثم ارتحل الى القـاهرة حيث واصل دراسته ، وشمل تكوينه العلمي علوماً شتى من فقه ، ولغة ، وبيان ومنطق ، وحكمة . اشتهر من بـين علمـاء عصره باطلاعه الواسع في الفقه الحنفي والآداب ، وقد كان طلب الطب حافزه الى مغادرة مصر وطنه الجديد ، والرحيل الى المغرب يطوف في أقطاره ، وكان أطباء المغرب يتمتعون آنذاك بشهرة كبيرة في المشرق الاسلامي .

جاب عبد الباسط القطر التونسي والقطر الجزائري والأندلس آخر أيامها وذلك مدة أربع سنوات فيما بين 866 ـ 871هـ / 1462 / 1466م ، وتوفي عام 920 هـ / 1514م مخلفاً آثاراً فكرية عديدة منها :

"الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم " ـ "الجمع المفنن بالمعجم المعنون " ـ "غاية السؤال في سيرة الرسول " ـ "نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين " "نيل الأمل ذيل الدول "

"القول المأنوس في تحرير ما في النفوس " (عن محمود بوعياد : مجلة الأصالة ـ عدد 24) .

(3) الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم ـ نقلاً عن محمود بو عياد : رحالة مصري يزور الجزائر في القرن التاسع ، مجلة الأصالة ، إصدار و.ت.أ.ش.د ، الجزائر 1975 ، العدد 24 ، ص : 130 .

ومن هؤلاء **هايدو** الذي كتب كثيراً عن هذا الموضوع ، ومن ذلك انتقاده اللاّذع للسّياسة التي كان ينتهجها الحكام العثمانيون في الجزائر بشأن الأسرى فيقول : " تمكّن حسن باشا [1] فـي شهر أوت من عام 1558 و خلال مواجهة للكونت دا الكوديت حاكم وهران في معركة مستغانم من أسر أحد عشر ألف إسباني، وتمّ استخدامهم كعبيد " [2] و يضيف " إن العلج علي الذي كان تحت إمرة حسن باشا كان يستخدم أحيانا ما بين 500 إلى 2000 مسيحي في شتى المهام ". [3]

ويصف بعض الأشغال اليومية للأسير فيقول : " ومن بين العديد من المسـيحيين يوجـد مـن يحملون الأخشاب على أكتافهم ، تلك التي قطعت من جبال شرشال أو من جيجل و يواصلون العمل من الصّباح إلى المساء في صنع المراكب وآخرون منشغلون بصنع الحبال وصهرالحديد والنّحاس دون أخذ أدنى وقت للرّاحة . " [4]

أمّا الأب دان فإنّه كان يصوّر حالة الأسرى المسيحّيين في الجزائر بأوصافٍ مزرية تثير التذمّر من السّلطة الحاكمة ، مستنهضاًهمم أبناء عقيدتهم من أجل تحريرهم ؛ ومن ذلك قوله : " في عام ألف وست مئة وواحد وثلاثين (1631) أمسكوا على مئتـين وسـبعة وثلاثـين (237) شخص ، رجال ونساء وأطفال ، وجيء بهم الى الجزائر، وعُرضوا للبيع ، وُأبعدت النّساء عن أزواجهنّ ، والأولاد عن أبائهم ، وها هي بنت تُنتزَع من أحضان أبويهـا دون شـفقة ودون رحمة ، لئلاّ تراهم إلى الأبد ، وقد عرفتُ في الجزائر الكثير من العبيد من هذا العدد الذين لم يجدوا أي مسيحي يدافع عنهم بالسّلاح ، والذين لا حُجّة لديهم لإنقاذ شرف البنات وكثيـرٌ مـن النّساء ، واستسلموا لهمجية البربر ." [5]

والأب دان الذي كلّف نفسه مهمّة افتداء الأسرى وتحريرهم من أيدي الجزائريين ، كـان يجتهد كثيراً لتحريك عواطف جميع القوميات المسيحية لتساهم في هذا العمل ، وما يؤكّد ذلـك قوله : " ...يوجد ما يربو على خمسة وعشرين ألف مسيحي أسير ...مع ما يزيد عـن مئتـي امرأة ، بعضهم إسبان ، وايرلنديين ، وإيطاليين ، ويونانيين ، وقليل من الفرنسيين... يشغّلونهم في البساتين المحيطة بمدينة الجزائر، والتي تعدّ بنحو خمسة عشرألف بستان في خدمة الأرض،

(1) حسن باشا : هو حاكم الجزائر ما بين 1557-1567.

(2) Diego de haedo :Topographie et histoire gènèrale d'Alger tradution de DR monnereau et A . Berbruger- présentation de Jocelyne Dakhlia –édition -Bouchéne 1998 - P : 213

(3) **IBID : P** 214

(4) DE la CAPTIVITE à ALGER – traduction :moliner-violle , R .A , TOME 41, OPU , Alger 1985 , **p** :153 (5)**HISTOIRE DE BARBARIE ET DE SES CORSAIRES** - imprimerie et librairie du roy -paris 1637 – **P**: 313

وُيجهدونهم بضربات العِصي ، ويقدّمون لهم وجبات أقلّ من تلك التي يقدّمونها لخيولهم . " [1]

وينتهج **غراماي** نفس النهج لتحريك العواطف المسيحّية بندائه هذا : " الى من هم مع تحرير ثلاثة ألاف أسير ، مصيرهم العبودية ... أن يضعوا ذلك ضمن أولوياتهم ... " [2]

ويقدم جدولاً ضمن مذكراته يتضمن عدد السفن ، وعدد الأسرى ، الذين وقعـوا فـي أيـدي الجزائريين ما بين 1608 ـ 1619 من خلال نشاط (القرصنة) الذي كـانوا يزاولونـه ، وهـذا كدليل منه على الإهانة التي كانت تلحقها الجزائر بالمسيحيين، بغية تحريك غيرتهم . نقدّمه فيما يلي : [3]

السنوات	عدد السفن	عدد الأسرى	الملاحظـــــــــــــــــــــــــات
1608	42	860	أسرى آخرون بيعوا خارج الجزائر
1609	36	632	------------
1610	23	384	------------
1611	20	464	------------
1612	----	-----	بدون ملاحظة
1613	16	230	من إيطاليا وحدها
1614	35	467	------------
1615	----	-----	بدون ملاحظة
1616	34	767	------------
1617	26	1763	من بينهم 663 من جزيرة بوتو سانتو وحدها
1618	19	1468	------------
1619	25	578	------------

كماأعطت بعض المصادر الغربية الصّورة السّيئة التي كان يعيشها الأسرى المسيحيين في إيالة الجزائر، وكيف كانوا يُجبرون على ترك دينهم ، واعتناق الاسلام .

فقد جاء في مذكرات **غراماي** خلال القرن السابع عشر**:** " مابين 1609 و1619 وفي مملكة الجزائر وحدها تحوّل إلى الإسلام 857 ألماني و300 انجليزي و130 فرنسياً و60 جنوياً وهولندي و 250 ولوني ومجري وروسي و130 بلجيكياً . "[4]

وحاول بعضهم جاهدين إضفاء صورة العبودية على كلّ من يؤسَرُ في الجزائر ، وبالغ بعضهم في وصف المعاملة التي كانوا يعامَلون بها؛ لكن هذا لم يمنع من وجود بعض المنصفين منهم ؛

---

(1) IBID : P : 318 - 319 .
(2) OP . CIT - p : 547
(3) IBID – P : 178 .
(4) IBID - P :105:

الذين لم يبالغوا في ذكر الحقائق كما هي ، ووصف الأحداث التي عاشوها أو عايشـوها فـي الجزائر دون مبالغة ؛ كما سنرى ذلك جلياً في نظرة الإستحسان .

إن تعامل السّلطات الجزائرية مع الأسرى المسيحيين أوالأحرار منهم لم يكن بالصّـورة المرعبة التي اعتمدها بعض الغربيين في كتاباتهم ، إذ لا يمكن بأي حـال مقارنتـه بتعامـل الأوربيين مع تجارة الرقيق التي كانوا يمتهنونها يومذاك .

إنّ تعامل السّلطة الحاكمة في الجزائر مع الأسرى كان يقوم على أساس ما جرت عليه التقاليد ، ولم يَضِرْها التّعهد بين الحين والآخر للأوربيين باحترام الأسير .

ففي الفترة الأخيرة من الوجود العثماني في الجزائر؛ قدّم الداي حسين [1] تصريحًا للأوربيين يتضمن تجديداً لتعهد قديم بعدم إخضاع الأسرى المسيحيين للعبودية ، هذا نصّه : " لقد وقـع تصريح في شهر أغسطس 1816 من طرف سلفنا صاحب السّمو عمر باشا [2] للنّبيل ، البارون اكسموث [3] ينصّ على أن سموّه يلتزم ، في حالة حرب مع دول أوروبية ، بأن لا يخضع بعد الآن أي مسيحي لقيود العبودية ، بل يعامل الأسرى المسيحيين بكلّ إنسانية بوصـفهم أسـرى حرب ، وذلك حتى يتم تبادلهم بطريقة عاديّة على أساس المعمول به بين الـدّول الأوروبيـة ، ونحن نصرح هنا بكلّ وضوح بأنّنا نرغب في احترام روح هذا التصريح بكل أمانة . " [4]

أكّد و خُتّم عليه في مدينة الجزائر المحاربة ،عاصمة مملكة الجزائر ، بشهادة ا العظيم

في 26 جويلية 1824 الموافق ذو القعدة سنة 1239 هـ

ختم الداي

إنّ ما يؤيّد هذا السلوك هو ما كتبه **بيفوني** وهو يقدّم رسالة لأحمد باي ، كتبها لشيخ مدينة عنابة و علمائها سنة 1827 ، يؤكد فيها عدم إذاية النّصارى وحمايتهم ، ومراعاة حقوقهم ، و في ذلك إشادة بطريقة تعامل السّلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر للمسـيحيين ، تضـمّنت مايلي : " و أمّا النّصارى الفرنصيص الذين في عنّابة فإيّاكم ثم إيّاكُم أن يتعدّى عليهم أحـدٌ أو يظلَمَهم ، أويَضيعَ لهم شيءٌ من مالهم ، فإنْ أرادوا المقام في عنابة فعليهم أمان ا ، لا ينالهم مكروه ، وإن أرادوا الإنتقال إلى بلادهم برضاهم وطواعيتهم ، فلا يمنعهم أحد ، ولا يتعدى

---

(1) هو آخر الحكام العثمانيين بالجزائر 1818-1830م .

(2) هو أحد دايات الجزائر حكم ما بين1815-1817م .

(3) هو اللورد إكسموث قائد الحملة العسكرية البريطانية ضد الجزائر سنة 1816 .

(4) وليام شالر : مذكرات ، ص ص : 23 ، 29 .

عليهم و يرفعون مالهم و أمتعتهم عن آخرها ، بحيث لا يضيع لهم شيء أصلاً " [1]

في اعتقادنا أنّ ما احتوته هذه الرّسالة يدلّ على مدى العناية التي كانت توليها السّلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر للمسيحيين ، في حمايتهم ومعاملتهم . ولم تؤدّ بها الظّروف الحرجة التي كانت تمر بها في آخر أيامها إلى الخروج عن التقاليد المعهودة لديها .

أمّا تركيز بعض الكتّاب الغربيين على مسألة الأسرى المسيحيين في الجزائر ، فيعـود حسب رأينا إلى حساسيّة الأوربيين تجاهها ، فلم يستطيعوا استصاغة هذا السّلوك وتقبّلـه ؛ أن يمارسوا هم تجارة الرقيق مع من يقع تحت أيديهم من الأسرى ، فلا مانع ، أمّـا أن يمـارس معهم ، وهم مكتشفوا العالم الجديد و الطريق إلى الهند عبر رأس الجاء الصالح - فذاك أمر لا ينبغي السّكوت عنه - هذه الإكتشافات التي اتخذوها مطية لتنشيط تجارة الرقيق .

وفي هذا الصّدد يقدّم **الدكتور جهاد مجيد محي الدين** عرضاً وافياً عن تجارة الرقيـق التـي كان يمتهنها الأوربيون في ذلك الوقت ارتأينا تقديم مختصر منـه للدّلالـة عـن ممارسـات الأوربيين لهذا السّلوك الذي ينتقدونه حين يمارس معهم ، وقد جاء فيه : " كانت البرتغال أسبق الدول اتجاراً في الرقيق ...وقد تركّز اهتمامهم في إفريقيـة ، ومـا أن اكتشـف كريسـتوف كولمبوس أمريكا حتى انتشرت مراكز تجارة الرقيق في أرجيـوم و سـنتياغو و سـاوجورج وساوتوميه ، ثمّ امتدّت الى الكونغو وغينيا وأنغولا تبعاً لاجتياح الأراضي الشّاسعة الأطـراف في البرازيل .

أمّا الهولنديين فقد كانوا أكبر منافسٍ في تجارة الرّقيق للبرتغاليين والإنجليز منذ 1637 ، حيث أسّسوا قبل ذلك في عام 1621 شركة جزر الهند الغربية الهولندية للاتجار ومنها تجـارة الرّقيق بين افريقيا وأمريكا . أمّا الفرنسيّون فقد شكّلوا عام 1633 شركة السنغال لنقل الرّقيـق والتّجارة به مع العالم الجديد ، وقد ظلّوا يمارسون هذه التّجارة الى عام 1864 حـين أصـدر الامبراطور نابليون الثالث مرسوماً يلغي هذه التّجارة بصورة رسمية . كما مارست عدّة دول أوربية أخرى تجارة الرّقيق منها السويد والدنمارك وألمانيا ؛ ومارسـت الولايـات المتحـدة الأمريكية تجارة الرّقيق على نطاق واسع ، فكانت لها في عام 1720 حوالي 200 سفينة سـعة كل منها 30 متراً ،يلقى في قاع كلّ منها بـ250 رقيقاً افريقياً يزدادون أحياناً الى 500 رقيق .

---

(1) BIGONET (E) . une lettre du bey de Constantine en 1827 - R . A – T 43 ,1899 , OPU ,Alger 1985 , P : 176 .

أمّا بريطانيا فقد استطاعت بمفردها تصدير عدد يقدّر بـ 2.130.000 فرد من رقيـق غـرب افريقيا الى العالم الجديد في الفترة ما بين 1680 الى 1786 ، واستغلّت في هـذه العمليّـة 192 سفينة ، كانت تنقل في الرّحلة الواحدة ما يقرب من 50 ألفاً وظلّت على هذه الحال الـى عـام 1811 تاريخ اصدارها مرسومًا يقضي بفرض عقوباتٍ على كلّ من يتاجر بالرقيق .[1]

و بالتالي كان لزامًا على الغربيين تجنيد كلّ الطّاقات للتخلّص من هذا العار الذي يلاحقهم ، رغم أن حالة أسراهم في الجزائر أحسن بكثير من حالتهم في غيرها ، وهذا بـاعترافهم هـم أنفسهم حين تتحرّك ضمائرهم بين الحين والآخر، لتصدح بالحقائق دون إخفائها ، كما يتّضـح لنا ذلك بوضوح في نظرة الإشادة .

3 ـ عن مسألة الضرائب :

إنّ مسألة **الضرائب** كانت محلّ اهتمام الكثير من الكتاب الغربيين ، فكان إبرازها جلياً في معظم التآليف التي تثيرها بنوع من التضخيم والمبالغة ، ومعاناة السّكان من جرّائها ، وعـدم التنازل عنها ، وأخذها بصورة منتظمة عن كلّ الممتلكات [2] ؛ وإعفاء الأتراك من دفعها حسب ما أكّده **غراماي** بقوله : " نجد الأتراك ضمن كلّ ميادين النشاط ، مُعفون من كـلّ الضـرائب ومن كلّ الرّسوم ... " [3]

أمّا **شـالر** فقد جاء في مذكراته "... والبايات وحكّام الأقاليم هم المسؤولون عن جمـع الضرائب ، وبواسطة أعوانهم من العساكر والشرطة يستحوذون على كلّ ما يقع تحت أنظارهم من أموال الشعب..." [4]

من خلال هذا التصريح الذي قدّمه شالر، و إن لم يتجاوز هو مدينة الجزائر وأحوازها ، فإنّنا نلمس فيه الظّلم ، والتسلّط على الجزائريين من قِبَل القائمين على الأقاليم .

ولئن كانت الفترة التي يتحدث عنها شالر،هي الفترة الأخيرة من الوجود العثماني في الجزائر التي شحّت فيها مداخيل الخزينة ،وعرفت البلاد أثناءها نكبات من الخارج والدّاخل؛فإنّ الفترات التي سبقتها لم تكن كذلك،حيث لم تكن الضرائب سوى رمزية و بشكل غير مستمر ـ في وقت كانت فيه خزينة الدولة مزدهرة بمداخيل الجهاد البحري وغنائمه ـ ولا تتعد الأصناف التالية :

(1) تجارة الرقيق في افريقيا : مجلة المؤرخ العربي ، العدد : 31 ، الجزائر 1987 ، ص ص : 81 ، 98 .

(**2)SHAW** : L'ALGERiE UN SIECLE AVANT L'OCCUPATION FRANÇAISE (AU 18eme SIECLE) EDITIONS : IMPRIMERIE DE CARTHAGE , PARIS 1968 – P : 84 .

(3) المرجع السّابق ، ص : 107 .

(4) المرجع السابق ، ص : 59 .

العشور، الزكاة ، الخراج ، الجزية ، وهناك ضرائب محلّية كالحكور، واللّزمة ، والغرامـة ، والخطّية ، وهي عادة ضرائب مستحدثة لضرورة ، أو لغرض اجتماعي . (1)

وهو ما وضّحه **فايسات** بالتفصيل : " الحكور: هي ضريبة نقدية تقدر بـ 25 فرنك لكل قطعة أرض صالحة للحرث خلال الموسم ، أي ما يعادل 15 هكتاراً ؛ العشور : تعطـى عـن زراعة الحبوب والأعلاف ؛ الغرامة : تقدم نقداً من القبائل البعيدة عن حـاكم الاقلـيم ، عـن الخيول والمواشي والإبل ... الخ " (2)

حيث يتصف نظام الضرائب في الإيالة بالواقعية ، يأخذ بعين الإعتباروواقع البلاد ونفسية الأهالي ، ممّا ساعد على نموّ المصالح المتبادلة بين البايلك والفلاحين ، كما تتمثل هذه الواقعية في اختصاص كلّ منطقة بضريبة تتلاءم وطبيعة تضاريسها وأحوالها المناخية ، فالصّحراء تؤخذ منها المعونة ، والهضاب العليا تفرض عليها الغرامة والمعونة ، والتل تسود فيه ضريبة العشور. " (3) " وانّ ادارة البلاد كانت تعامل السّكان الأهالي والرّعايا المسيحيين على حد سواء في مجال الضرائب . " (4)

وهوما يقرّ به شالر في نفس الوقت بقوله:" والضرائب الداخلية تُجبى على أساس ما ينصّ عليه القرآن".(5) علماً بأن النصوص القرآنية تشرع لتجسيد مباديء العدالة و المساواة بين الجميع .

فقد جاء على لسان **حمدان خوجة** ما يؤكد ويبيّن بأن الضّرائب لم تكن تقدم للسّلطة الحاكمة إلاّ عن طواعية من السّكان وبرضاهم حين يقول **:**

" واذا رجعنا الى تفاصيل حكم الأتراك ، وتنظيمات الأهالي المجاورين لمدينة الجزائر مثل المتيجة وبئر سليمان...الخ ُأعِيدَ إلى الأذهان بأن هؤلاء السّكان قد طلبوا من الباشا ، قائد الإيالة ، أن يعيّن لهم أحد الأتراك يجمع الضرائب ويقيم بينهم ؛ شاهداً على تصرّفاتهم ، وشاهداً على طاعتهم للباشا .واستجابة لهذا الطلب تمّ تعيين قائد هذه المنطقة . ولأمور سياسيّة ، كان الباشا يثق في السّكان أكثر من ثقته بعامله . " (6)

(1) ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر ، ص : 85 .

(2) Histoire des derniers beys de constantine – editions :grand alger livres - presenté par : abderrahmane rebahi - Alger 2005 , p : 22 .

(3) سعيدوني : نفس المرجع ، ص ص : 118 ، 119 .

(4)**CH .R.Ageron :** H istoire de L'Algerie Contemporaine(1830-1970)-presses universitaires de France-paris-1970-P :6

(5)المرجع السابق ، ص : 59 .

(6) المرآة ، ص : 114 .

4 ـ عن علاقة العثمانيين بالسّكان :

كثيراً ما تركّز الكتابات الغربية على قضيّة إبعاد الأتراك للعنصرالمحلي و العنصرالكرغلي ـ الذي ينتمي إلى أباء أتراك وأمهات جزائريات ـ عن إدارة شؤون البلاد ، وتعتبره ضـرباً من ضروب العنصرية والتهميش ، ويؤكد الطبيعة الإستعمارية للوجود العثماني في الجزائر .

فقد جاء على لسان **فونتير دي بارادي :** " يكفي أن تكون مولوداً بتركيا وتكون مسلمًا لتفوز بالإنضمام إلى صفوف الإنكشارية في الجزائر ، و بالمراتب العليا المقربة من الداي . " (1)

ويؤكد **شارل روبير أجيرون** ، وهو من المؤرخين الغربيين المعاصرين ، الصّفة الإستعمارية للعثمانيين في الجزائر بقوله : "... رغم انتفاضات القبائل العربية البربرية فـإنّ هـذا الحكـم الإستعماري يتحكم في البلاد ،معتمدًا على أفواج المخزن ،مستغلاً الطّرق الصّوفية أوالزّوايا."(2)

إن الكتابات الغربية وإن زكزت كثيراً على مسائل القرصـنة و الأسـرى والضـرائب ، وحاولت أن تطبع الوجود العثماني في الجزائر بالصبغة الإستعمارية ، فإنها تحمل بين طياتهـا الكثير من الحقائق التي تفيد في معرفة واقع الجزائر في العصور الحديثة ، وهي لا تخلو مـن الإشادة بسياسة هذا الحاكم أو ذاك ، واستحسان أمر ما أو نشاط معيّن ، وهذا ماسنتناوله فيمـا يلي :

ب ـ نظرة الإشادة والإستحسان الى السلطة الحاكمة :

بالرغم من تحامل معظم الغربيين على سياسة الحكام العثمانيين في الجزائر ، فإنّ ذلك لم يمنع البعض منهم من التعبير بل والإعتراف بكثيرمن الإيجابيات التي ميّزتهم حتى وإن كانوا من الناقمين عليهم ، والتي نورد بعضها كما جاءت في كتاباتهم مقتصرين على عرض بعض العيّنات منها ضمن المجالات التالية :

1ـ عن التسامح الديني :

من بين الذين نوّهوا بالتّسامح الديني وحريّة المسيحيين في ممارسة شعائرهم التعبدية في الجزائر أيام الحكم العثماني ، نجد **دييغو دو هايدو** الذي يعبّر عن ذلك بقوله : " **...** وكـذلـك تجدر الإشارة أنّه في إقامات الباشا حيث يُجمّع العبيد المسيحيين ... يوجد بوسط الساحة خزّان

---

(1) **VENTURE de Paradis :** Alger AU 18ème SIECLE R .A .T 41- O .P.U.ALGER 1985 - p : 87 .
(2) **OP . CIT .** P : 6 .

ماء ، وبأحد جوانبها الكنيسة التي تُرَدّدُ بها التراتيل طوال السنة وبالأخص أثناء الأعياد التي لا يتغيب عنها رجال الدّين الأسرى ، وهم عادة أكثر من 40 من مختلف الجنسيات ، ومن بينهم يوجد الأطباء والمعلمون الدينيون . " (1)

جاء في تأليف الراهب جول تورني **Jules Tournier** " الكنيسة الإفريقية الجديدة ، أو الإحتلال الديني للجزائر من 1830 الى 1845 " الذي قدّمه الكاردينال بودريار **Boudriard** عضو الأكاديمية الفرنسية ، وقد نقل المؤلف ما ذكره الراهب برنار دو مونتري **Bernard de montray** الذي يصف عيد الفصح الذي قضاه بالجزائر مع الأسرى في محتشدهم سنة 1612 . " إنّ التجار المسيحيين المقيمين بعاصمة الجزائر يزورون الأسرى بمحتشدهم ، والكثير من هؤلاء التجار يقضون معهم الليل ، وفي يوم العيد يعرض " القربان المقدس " في المصلى الزين اللائي تبرعبها الجزائريون ، أو السيحيون الذين أسلموا ، وتوقد نحو الخمسين والمائة مصباح ، كما يشارك في هذه الحفلات الأسرى الموجودون بالمحتشدات في القرى النائية ... وإنّ الإرساليات لم تقتصر على إحداث الكنائس المذكورة بل أمكنها تحصل علىالمستشفيات والمقابر ؛ ففي سنة 1551 أسّس الراهب الإسباني الأب سيباستيان دابور **Le Père Sèbastien dapor** بإذن من الباشا مستشفى بسيطاً استحال الى مستشفى نال إعجاب حكام البلاد واعانتهم وجعل تحت رعاية قنصلية فرنسا ، وفي سنة 1571 أذن الباشا لمرشد ولي عهد النمسا دمن جوان **Don Juan d'autriche** الذي كان أسيراً بالجزائر شراء قطعة أرض اتخذت مقبرة للمسلمين بباب الوادي ... " (2) .

أمّا **لوجي دو طاسي** الذي يفتتح مؤلفه بقوله " لكي أقدّم نبذةً عن ماضي المملكة وثوراتها ، بل عن حاضر حكومتها ؛ سأكتب عمّا رأيتُه وما اطّلعت عليه في الأماكن ، وما وجدته في الذّاكرات ، وما لاحظته في منازل المسيحيين " **(3)** .

أورد في مجال التّسامح الديني ما يلي : " توجد حرّيّة الدّيانـة لكلّ الأجانب ، توجد كنائس وأبـاء (رجال دين)، بل كلّ الدّيانات تحظى بالحماية...ثم يضيف معبراً عن مدى الاحترام الذي يلقاه المتديّن : "... و بقدرما يشتهر عندهم الإنسان بالتديّن إلاّ ويرتفع قدره عندهم ويحترمونه

---

(1) Topographie et histoire gènèrale d'alger –prèsentation : abderrahmane rebahi - èditions : grand alger livres – alger 2005 – P : 223

(2) نقلاً عن عبد الرحمان محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام 4أجزاء ، د.م.ج ، الجزائر 1995 ، ج 3 ، ص : 362 .

(3) **Laugier de Tassy** - Histoire du royaume Dàlger - un diplomate francais à alger en 1724 - èdition Loysel - Paris 1992 – P :03

ويحمونه .. .... والجزائريون يقولون : المسيحي السّيء لا يمكن أن يكون مسلماً جيّداً " [1] يقول **سلفاتوري بونو** وهو من المؤرخين الغربيين المعاصرين منوّهاً بالإندماج السّريع للفئات المسيحية في المجتمع الجزائري : " نجد في الإطار الواسع المتنوع الذي تمثّله أي مدينة بربرية تجمعاً آخر من أصل أوربي ؛ لكنّه عميق الإندماج بالمجتمع الإسلامي ، أي أولئك الذين نبذوا الدّيانة المسيحيّة واعتنقوا الإسلام ... لكنّهم فعلوا ذلك على العموم عن طواعيّة واختيار ...فكانت المدينة البربريّة تترأى لهؤلاء باسم الإسلام ، عالمًا من التسامح والمساواة والحريّة ...... لقد كان اعتناق الإسلام يدمج في العالم البربري وفي مساواة تامة ، رجالاً يأتون من بلدان أوربيّة مختلفة ، فقد كانت تتاح لهم إمكانيّة الإغتناء السّريع والإرتقاء في سلّم المراتب الإجتماعيّة ، واحتلال حتّى أعلى مناصب المسؤوليّة في الحياة السياسيّة والعسكريّة للإيالة ."[2]

2 ـ عن معاملة الأسرى :

فها هو **وليام شالر** نفسه وهو من الذين عرفوا بتحاملهم الكبير علـى السّـلطة العثمانيـة الحاكمة في الجزائر ، يشيد بها في مجال معاملتها للأسرى المسيحيين ويصرّح واصفًا حـالتهم في الجزائر وتعامل السّلطات الحاكمة معهم بما يلي :"...و إنّه لمن **الإنصاف** القول بأن حـالتهم هنا لم تكن أسوأ من أسرى الحرب الذين يقعون في أيدي البلدان المسيحية المتحضّـرة .فـإنّ الأسيرات كنّ دائماً يُعاملن بالإحترام الذي يفرضه جنسهن ، و الأشغال التي كان يُطلـب إلـى الرّجال القيام بها لم تكن مُفرطة المشقّة . والأسرى الذين يجدون كفيلاً لهم يضمن عدم هروبهم ، كان يُسمح لهم بحريّة الخروج إلى حيث يريدون ، في مقابل دفع مبلغ 75 سنتيم في الشهر. و الواقع أنه يوجد عدد من المناصب العليا التي كان يشغلها العبيد الذين كسب كثير منهم ثروات طائلة من ورائها . و العبيد الموظّفون في القصر أو الملحقون بالشخصيات الكبيرة في الدّولـة يعاملون بأقصى اللّطف . و بصفة عامة ، فإنّ كلّ عبد له ميل إلى الحركة و العمـل ، ويجـد الوسيلة لكسب رزقه . وباختصار فإنّه وُجد من العبيد من يغادر الجزائر و قلبه مفعمٌ بالأسف

---

(1) **IBID - P : 66**1

(2) وضع الجاليات الأوربية في المغرب قبل الاستعمار، مجلة الأصالة ،العدد 25 ، الجزائر 1975 ،ص ص : 138، 52 .

و الحسرة ، و كثيرٌ من هؤلاء يحملون معهم أموالاً طائلةً عند رحيلهم إلى البلاد ." [1]
وهو ما يدلي به **جون باتيست وولف** : " إنّ الحانات والمقاهي في مدينة الجزائر كانت كلّها تقريباً في ملك وادارة المسلمين الجدد (المرتدين عن المسيحية = الأعلاج) أو الأرقاء المسيحيين الذين كانوا يدفعون لأسيادهم جزءاً من الفائدة ، وكثيراً ما أصبحوا هم أنفسهم من الأغنياء . والواقع أنّ هناك قصصاً عديدة عن الأرقاء الذين رفضوا عروض تحريرهم أو فديتهم خوفاً من فقدان أرباحهم التجارية . " [2]

ما يؤكد هذا القول نستشفّه من مذكّرات **سيمون بفايفر**[3] وهو أسير مسيحي يشيد بالمعاملة التي كان يتلقاها في الجزائر متحدّثاً عن نفسه فيقول : " كانت وظيفتي تنحصر في معالجة الوزير وغيره من أفراد القصر إذا أصيبوا بمرض ، فكان لي فائض من الوقت ، وكان الدّاي الذي لم يكن له طبيب خاص ، يستشيرني ، وكان يرغب في رؤيتي ." [4] ويضيف قائلا :" لكي أعود الى الحديث عن حياتي الإسلامية المسيحية،عن حياة العبوديّة الحرّة ، ينبغي أن أذكر أن حياتي كانت هادئةً ، ولم أكن أشكو إلّا من السأم ." [5] بل أكثر من هذا ؛ فإنّه يذكر لنا استدعاءه من طرف باي التيطري الذي عيّنه تُرجماناً وخزنداراً وطبيباً خاصاً له ،وينقل لنا نصّ تعيينه كما أملاه الباي على المفتي الذي كان يصحبه ، وفيه تنويه بالمعاملة التي خُص بها كما يلي : " نحن مصطفى باي التيطري ، نأمر بتعيين حامل هذا المرسوم الحر خازنداراً وترجماناً وطبيباً خاصاً لنا ، ونعاهده على أن نبالغ في احترامه وأن نخلع عليه سنّية ما اختار قربنًا ، وفضّل البقاء عندنا ، أن نسمح له بأخذ أمواله وترك خدمتنا متى شاء وأراد ..." [6]
وفي هذه النصوص ما يؤكد حسن معاملة الأسرى المسيحيين من قبل القائمين عليهم من الحكام العثمانيين في الجزائر .

---

(1) المرجع السابق ، ص ص : 99 ، 100 .
(2) المرجع السابق ، ص : 151 .
(3) ولد بمنطقة رانهيسن بألمانيا حوالي 1810 ، وقع أسيراً لدى الجزائريين مدّة خمس سنوات ما بين 1825 ـ 1830 ، عايش عملية الاحتلال الفرنسي للجزائر ونهاية الحكم العثماني بها ، غادر الجزائر في 16 سبتمبر 1830 ، ووصل الى ألمانيا بعد حوالي شهر ، وفيها نشر مذكراته حول الجزائر تحت عنوان "رحلاتي و سنوات أسري الخمس في الجزائر عام 1832 .
(4)مذكرات ، تقديم وتعريب : أبو العيد دودو ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1974 ، ص : 29 .
(5)نفس المرجع : ص : 47 .
(6) نفس المرجع ، ص : 113 .

3 ـ عن انسجام السكان مع الحكام :

إنّ عدم مشاركة السّكان في السّلطة لم يكن يعني أنّ الجزائريين كانوا يعيشون في معزل عن شؤون البلاد و سياستها ، بل كان العثمانيون يحرصون كلّ الحرص في محـافظتهم علـى العلاقة التي كانت تربطهم بهم من خلال شيوخ القبائل والعلماء والمرابطين ، فكـان بعـض هؤلاء أكثر تأثيراً وأرفع منزلة لدى السّلطة الحاكمة ، ولدى السّكان من البايات الذين يحكمون المقاطعات[2]، فكان الحكام ينزلونهم المنزلة المحترمة و يأخذون بآرائهم ، بل و يرضخون لهم في كثير من الأحيان عندما يتطلب الأمر ذلك ، فكثيراً ما كان القائمون على السّلطة في الـبلاد يتّخذون قرارات تقضي بمراجعة الأوامر التي يصدرها البايات إذا ما أبـدى هـؤلاء الشـيوخ رفضها [3] ، بحيث لم تكن هناك هوّة كبيرة بين الحكام العثمانيين و بين السّكان ، بـل كـان الجميع يقف وقفة رجل واحد يوم ينادي منادي الجهاد لمواجهة الغزاة و الـدّفاع عـن حمـى الجزائر . [4]

يعبّر **وليام سبنسر** عن هذا الإنسجام بقوله : "... خلال ثلاثة قرون من وجود الإيالة لم تكن هناك أيّة ثورة واحدة على المستوى الواسع ضدّ السّلطة المركزية ، وقد أظهر الأتراك تفهّماً للتّحالفات القبلية التقليدية ..." [5] . والشيء نفسه يثير تعجّب **طاسي** معبراًعنه بقوله : " يبدو مستحيلاً أنّ مئتي عربي يقابلون تركياً واحداً ويرضون بالخضوع لـه ولا يقومون بأدنى مجهود للتخـلّص منه . " [6]

وفي تعجّبه هذا ما يشير الى الإنسجام الذي كان قائماً أنذاك بين السّكان والسّلطـة الحاكمـة .

---

(2) RINN . L/M : LE royaume d'alger sous le dernier dey – T : 41 – 1897 – OPU – ALGER – P : 125

(3) انظر مذكرات أسير الداي **كاثكارت** قنصل أمريكا في المغرب ، ترجمة و تعليق و تقديم إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982 ، ص ص : 119 ، 123 .

(4) **سيمون بفايفر :** المرجع السابق ، ص : 64 .

(5) الجزائر في عهد رياس البحر : تعريب وتعليق د . عبد القادر زبادية ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1980 ، ص : 71 .

(6) **OP . CIT .** page **:** 57 **.**

ولعلّ مضمون الجدول الآتي لتعداد الجند التركي بالقطر الجزائري، الذي وجد في مذكرات **فونتير دي بارادي** (1) والذي يعود الى الفترة التي أقام خلالها في الجزائر، يؤكّد أن خضوع الجزائريين للأتراك لم يكن إلاّ عن طواعية ، فعددهم (2) لم يكن كاف للإشراف على كامل القطر، لولا معرفتهم التعامل مع السّكان ، الذين تعاونوا معهم في كلّ الظّروف .

نوبة زمورة سفرتـان	**28 رجلا**
نوبة مستغانم 5 سفرات	**78 رجلا**
نوبة وهران 10 سفرات	**156 رجلا**
نوبة قسنطينة 5 سفرات	**73 رجلا**
نوبة عنـابة 5 سفرات	**71 رجلا**
نوبة بسكـرة 4 سفرات	**63 رجلا**
نوبة بجايـة 3 سفرات	**44 رجلا**
نوبة تبـسة سفرتـان	**29 رجلا**
نوبة تلمسـان 5 سفرات	**76 رجلا**
نوبة معسكـر 3 سفرات	**42 رجلا**
نوبة جيجـل سفرتـان	**29 رجلا**
نوبة حمـزة سفرة واحدة	**15 رجلا**
نوبة قشطولـة 4 سفرات	**62 رجلا**
نوبة تاما نتفوش سفرة واحدة	**15 رجلا**
نوبة كهف الزجالة سفرتـان	**29 رجلا**
نوبة بني جنـات سفرتـان	**30 رجلا**
نوبة الفنار (المرسى) سفرة واحدة	**15 رجلا**
نوبة الحاج علي باشا سفرة واحدة	**15 رجلا**
نوبة مرسى الزبان سفـرة واحدة	**15 رجلا**
حملةالجند المستقر 59 سفرة عدد رجالها 884 رجلا	
جند احتياطي	**580 رجلا**
محلة تيطري 15 خيمة	**195 رجلا**
محلة الشرق 80 خيمة	**1092 رجلا**
محلة الغرب 60 خيمة	**814 رجلا**
حامية القطر الحكومي و برج القصباء	**96 رجـلا**
مجموع الجند التركي في كامل القطر الجزائري 3861 رجلا	

---

(1)مذكرات : نقلا عن أحمد توفيق المدني :محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 ، م . و . ك ، الجزائر 1986 ـ ص ص : 158 ، 159 .

(2) v .de paradis : Tunis et alger au 17ème siecle ,memoires et observations rassemblées et presentès par : josephe cuoq , la bibliotheque arabe , èditions sindbad-paris 18-1983 – p: 176 .

والشيء نفسه يؤكده **شالر** الذي عاصر السّنوات الأخيرة للوجود العثماني في الجزائر بقوله : " والجبش التركي المرابط في الجزائر ، قلّما كان في الآونة الأخيرة يتجاوزخمسة آلاف جندي وضابط ؛ وهو في الوقت الحاضر قد هبط عدده ، لأسباب معيّنة ، الى أربعة آلاف ." (1)

إنّ هذا العدد الضئيل للجند التركي في الجزائر يدلّ على قابلية السّكان لوجودهم ، ولولا ذلك لما تمّ بسط نفوذهم على كامل القطر، ولَمَا استمرّ حُكمهم للجزائر ثلاثة قرون متوالية ؛ ولئن تخلّل هذه العلاقة بعض الإنفصام أو الفتور بين الحين و الآخر ، فهو شيء طبيعـي فـي نظرنا .

4 ـ عن الإنضباط في العمل :

يشيد **فونتير دي بارادي** بالانضباط الذي كانت تعرفه الحياة الإدارية في الجزائر أيام العثمانيين بما يلي : " الحياة الجزائرية حياة جدٍ ، و عمل صعب ، و الأمور تسير بدقّة مدهشة ، و ممّا يستلفت النّظر في دقّة الأعمال الإدارية بالجزائر ، أن كلّ واحد من رجال الإدارة لا يشتغل إلّا بعمله فقط ، و الذين يشغلون المراكز الكبرى في الحكومة هم أكثر اشتغالاً و كداً من الآخرين ، حتى أن المرض الخفيف لا يعوقهم أبداً عن اتمام واجباتهم ..." (2)

5 ـ عن رعاية الأمن :

يشيد **وليام شالر** بالأمن الذي كان يتمتع به المواطن الجزائري و جدية الشّرطة في تتبّع المجرمين فيقول : "... وأنا أعتقد أنّه لا يوجد مدينة أخرى في العالم يبدي فيها البوليس نشاطاً أكبر ممّا تبديه الشّرطة الجزائرية التي لا تكاد الجريمة تفلت من رقابتها ، كما أنّه لا يوجد بلد آخر يتمتع فيه المواطن و ممتلكاته بأمن أكبر ." (3)

و نفس الإنطباع أدلى به **شاو** قبله بقوله : " السراق يعاقبون بقسوة شديدة ." (4) و هو ما تأكّد على لسان **فندلين شلوصر** الذي عاش بمدينة قسنطينة قبيل احتلالها من طرف الفرنسيين فيقول : " ويعاقب على السّرقة بقطع اليد وإن كان السّارق مسلماً... وهناك جرائم يعاقب عليها بالعصا، ويتراوح العقاب بين مائتين و ألف ضربة ." (5)

---

(1)المرجع السابق ، ص : 51 .

(2) OP . CIT . P : 68 .

(3) المرجع السابق ، ص ص : 77 ، 78 .

(4) **OP . CIT . P :102**

(5) قسنطينة ايام أحمد باي 1832ـ 183 ـ ترجمة وتقديم : أبو العيد دودو ـ ش.و.ن.ت، الجزائر 1980 ص ص : 82 - 83 .

6 ـ **عن تجسيد العدالة والإخلاص للقوانين :**

في هذا المجال يشيد **دي هايدو** بمجهودات السّلطة الحاكمة في تجسيد العدالة بين الجميع بمختلف عناصرهم وفئاتهم **فيقول** :" لا يوجد أي مبرّر شخصي أو شرفي يؤدي إلى تفضيل هذا عن ذاك ، الكلّ سواسيّة ، التركي أو الجزائري ، اليهودي أو المسيحي ، كان الأب قائداً أو خليفة أو باشا، كلّ واحد يُجازى بحسب ما اقترف ." (1)

والشيء نفسه يؤكّده **لوجي دي طاسي** وهو ينوّه بطرق المحاكمة في الجزائر أيام الحكم العثماني فيقول: " المحاكمة المدنية أو الجنائية تتم ميدانياً دون كتابة ، ودون مناداة من طرف الدّاي ،أو القاضي ، أو رئيس البحرية ، وتُمددُ المحاكمة لإحضار الشّهود إذا كانت الأدلّة المقدّمة غير كافية ، أو كانت القضية غير عاديّة ، يمكن لأحد أطرافها الإعتراض برفعها الى الدّاي مباشرة الذي يمكن الإتصال به في شفافية طيلة ساعات اليوم . " (2) .

كما يشيد **وليام سبنسر** بمدى إخلاص الأتراك للقوانين ومدى حِرصهم على حياة العدالة فيقول : " إن الفعّالية الآنية لكلّ نظامٍ اجتماعي تكمُن في تطبيق قوانينه ، و في هذا الصّدد فـإنّ إيالـة الجزائر تجسّد إنجازاً معتبراً ... نادرالوجود يكمن في إخلاص الأتراك المطلق لقوانين الإسلام ، وبطبيعة السّياسة الذاّتية للأوجاق ، وكذلك بطبيعـة حيـاد العدالـة الجزائريـة و بالحـدود المصنوعة لمقاييس العقاب ، و أكثر من ذلك التعلّم و التّربية مُعادِلَيْن للقـانون ، وكـان مـن المتعارف عليه أنّ وظائف السّلطة الشّرعية يتولاها أولئك الأكثر أهلية لها . " (3)

7ـ **عن المحافظة على المال العام :**

من الجوانب التي أشاد بها الغربيون في كتاباتهم ؛ محافظة الحكام العثمانيين في الجزائر على المال العام ؛ فهو من المحاسن التي طبعت وجودهم في الجزائر الى آخر عهدهم . فالحفاظ على خزينة الدّولة و الذّود عن تبذير أموالها شيء مقدّس لديهم حتى في أحلك الظروف و أصعبها .

وهو ما عبّر عنه **فونتير دي بارادي ،** وفي تعبيره تنويه ومديح بتلك السّياسة،وأخلاقيات التعامل

---

(1) المرجع السابق ، ص : 180 .

(2) المرجع السابق ، ص ص : 146 ، 147 .

(3) المرجع السابق ، ص ص : 82 ، 83 .

بالمال العام ، إذ يقول : " لا توجد دولة في الدنيا تقتصد في الإنفاق من خزينتها كدولة الجزائر ، فلا تخرج من تلك الخزينة إلاّ الأموال المقرّرة منذ عهد قديم .... وأنّ العائدات الثابتة للدولة تمثّل مبالغ غير منتهية أكثر بكثير من حاجياتها . " (1)

ويصف الداي محمد عثمان بقوله : "... من بين جميع الدّايات الذين حكموا الجزائرلا يوجد بالتأكيد من هو أكثر اقتصاداً وتقشفاً من بابا محمد ، فهو يعمل على توفير كلّ فائض في الخزينة . " (2)

وقد جاء على لسان **بفايفر** في نفس الصّدد تنويهاً بالمباديء الأساسية المبجّلة لدى الجزائريين "... وقد بدا في النّهاية أنّ النّاس لا يعرفون إلاّ أمرين مُهمّين كريمين،هما القرآن وخِزانة الدّولة." (3)

و ما يؤكد هذه التصريحات ، هو ما كتبه الرّحّالة الألماني **شونبرغ** (4) واصفًا نزول القوات الفرنسية الغازية للجزائر سنة 1830 فيقول : " إنّ أمير البحر و القائد العام قد نزلا يوم 7 جويلية إلى القبو لمشاهدة كومة الذّهب و الفضّة التي كان علوّها يبلغ ركبة إنسان ، وتحتلّ مساحة عشرين ذراعاً ، و كان الدّاي قبل يوم من ذلك ترّأس اجتماعاً ، درست فيه قضيّة الخزينة ، التي قدّرت بستّين مليونًا من الدولارات..." (5)

8 ـ عن الإلتزام بالأخلاق النّبيلة :

أشاد **ديغو دو هايدو** بالمواصفات السّلوكية والأخلاقية التي كان العثمانيون يلتزمون بها من خلال سرده لحادثة عايشها في الجزائر تُظهر مدى مرعاة الإنكشارية لبعض المواصفات التي ينبغي أن تكون متوفّرة يومها في الحاكم ؛ نسردها كما جاءت على لسانه : " في شهر أوت 1579 أثناء تغيير الآغا ، قام الإنكشارية بإبعاد المرشّحين الأربعة الأكثر أقدمية على أساس أنّ زوجاتهم عُرفن بأخلاقهن و سلوكاتهن المنخرفة قبل الزواج . " (6)

---

(1) المرجع السّابق ـ ص : 163 .

(2) المرجع السابق ـ ص : 163 .

(3) المرجع السابق ـ ص : 110 .

(4) **شونبيرغ** : شخصية المانية شارك في الحملة الفرنسية ضد الجزائر سنة 1830 ولما عاد إلى بلاده عام 1832 نشر الملاحظات و الأنطباعات التي كان قد كتبها على شكل ذكريات في الجزائر، تحت عنوان :" نظرات على الإحتلال الأخير و التاريخ الحديث للجزائر و استعمارها " .

(5) **أبو العيد دودو**: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان- المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر1989 ـ ص : 51 .

(6) **OP . CIT. p 73**

ويضيف منوّهاً ببعض السّلوكات الإيجابية التي ميّزت سيرة الأتراك في الجزائر فيقول : " من بين الأوصاف النّبيلة و العادات الشّريفة ، أنّه مهما اشتّد بهم الغضب لا يتلفّظون بكلمات كفر ، بل لا يوجد إطلاقاً كلمات تركية أو عربيّة تسيء إلى الرّب " [1]

والشيء نفسه يقرّ به **شاو** قائلاً : " الأتراك الجزائريون يتّصفون ببعض الصّفات الجيّدة ، فحتّى أسوءهم سيرة و أخلاقاً لا يذكرون اسم الرب بسوء في جلسات السّمر أو الجلسات العائلية " [2] .

وهذا **تيدنيت** أسير الباي محمد الكبير يمدحه بإبراز صفاته النبيلة فيقـول عنـه : ".... مملـوء بالإنسانية، وذو عقليّة جيّدة ، له معارف قلّما تجدها لدى أبناء أمّته ، محبٌ للأجانب..." [3]

ومن المؤكد أنّ هذه الصّفات النّبيلة التي ميّزت الأتراك ميّزت عامّة السّكان ، باعتبارهـا صفات متجذّرة في المجتمع الجزائري بأكمله ، وهو ما يؤكّده **فون مالتسون** في حديثه عنهم : " يمتاز عرب الجزائر الحقيقيون عن الأوربيين المقيمين فيها بما فطروا عليه مـن أدب ولطـف وكرامة وحسن ضيافة . وإذا أتيح للأوربي المهذب أن يحظى بعشرتهم ، فإنّه لن يجد فيهم مـا يمكن أن يسمى بسوء الأدب .... فالخياط العربي أو الحذّاء أو أي صانع آخر يتصف في أغلب الأحيان بالنبل ... " [4]

و في الأخير نقول بأن الكتابات الغربية بقدر ما كانت تحمل في طياتها من تحامل على الإيالة الجزائرية وحكّامها الأتراك ، وما وُجّه اليها من انتقادات - كالذي ذهب إليـه حمـدان خوجة بقوله **:** "..... وينبغي أن أشير إلى أن هؤلاء الكُتّاب قد عالجوا ميدانًا هو مـن غيـر اختصاصهم ، ذلك أن الوصف الطبوغرافي لموقع مدينة ما أو بلد معيّن لايكفي للـتّمكّن مـن الحديث منطقيًا عن المصالح المحلّية . بل لابدّ من معرفة مناطق البلد ولغته **.** إن هؤلاء السّادة لا يعرفون غير أسماء بعض الأماكن والجبال والسّهول أو أسماء بعض القوّاد من ذوي النّفـوذ ورجال الدّين . ومع ذلك يزعمون أنّهم مطّلعون على الأمور ويعرفون الأماكن والسّكان معرفة جيّدة . [5]

---

(1) نفس المرجع - ص : 196 .

(2) OP . CIT . p107

(3)**EMERIT . (M): L**es Aventures de thedenat EsclAve ET ministre d'un BEY d'Afrique (18ème Siecle) mimoire de thednat ècrites a' zurich en 1785 - R .A / 1948 – O.P.U Alger - Page :163

(4) المرجع السّابق - ص : 101 .

(5) **محمد العربي الزبيري** : مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، ص ص : 158 ، 159 .

أو ما ذهب اليه **حسونة الدغيسي** بقوله : " وهكذا زُناقة الإفرنج السّياحون في الدّيار الإسـلامية عند عودتهم الى أراضيهم يؤلّفون رحلات في أسفارهم ، وحيث لم يكن لهم مُعارضٌ في الـرّد على اختلاقهم ، يضعون من الكذب والبهتان ماا به عليم ...ويُظهرون مزاياهم على قدر من اجتمعوا به، ويُعرّضون بأهل الإسلام ، وفيها يُقولـون أربـاب المناصـب مـالا يقولـون ، ويُفعِلـونهم مالا يفعلون... وبالجملة والتفصيل كُلّما فيهم من المصائب والرّذائل أوجـدوه لنـا معشرالإسلام " [1] ـ فإنّ هذه الكتابات كانت تحمل في طياتها بعض الحقـائق التـي لا يمكـن إخفاءها أو تجاهلها أو الإستغناء عنها ، و بقدر ما كان أصحابها منحازين لعواطفهم و ميولاتهم ، نجد فيهم بعض المنصفين الذين لم يبالغوا في ذكر الحقائق كماهي، وعليه لا يمكننا تجاوزها أو تجاهلها ولو بتحفظ .

و نختم هذا المبحث بما كتبه **وليام سبنسر** في مقدّمة كتابه مشيداً بالجزائر كولاية عثمانيـة قويّة ونشيطة ، ويردّ في نفس الوقت مزاعم الدوّل الأوربية ويذكّرها بماضيها المخجل بقوله : "... وقد خلّفت دولة القراصنة التي وصفها الفرنسيون بـ (الفوضى واللّامسـؤولية) ولايـة تابعـة للوطن الأم نشيطة و عاملة ، وأنّ(سوء الإدارة) التّركية كان هو النّغمة التي تـردّدت بشـكل واسع كسَببٍ أساسي للتّأخرالسّياسي والإقتصادي المَنْسوبين للشّمال الإفريقي، و قد أصبح مـن المحقّق أيضاً ، أن الجزائر كانت تشكّل جزءاً من الماضي الأوربي المخجل ، الذي كـان فيـه ملوك أوربا منقسمون و متناحرون على الأراضي و الشّهرة ، و قرصان الجزائـر يهجمـون عليهم . " [2] .

---

(1) عبد الجليل التميمي : الغرب كما يراه حسونة الدغيسي الطرابلسي سنة 1834 ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد 5 ، تونس 1976 ، ص : 54 .

(2) المرجع السابق ، ص : 10 .

المبحث الثاني

نظرة المصادر الإسلامية إلى السّلطة العثمانية في الجزائر :

تمهيد :

لقد استقينا نظرة المصادر الإسلامية إليها من النّصوص التي دوّنها بعض التّونسيّين ، وآخرين ولاسيما المغاربة ، الذين قصدوا الجزائرطلبًا للعلم فيها ، في طريقهم الى تونس أو طرابلس أوالقاهرة أو إلى البقاع المقدّسة لتأدية مناسك الحج ، أو في سفارة إلى اسطمبول .

إنّ هذه الرّحلات تمثّل منابع ثروة لمختلف العلوم ، وهي بمجموعها سجلٌ حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مرّ العصور ؛ فالرّحالة وهو يطوي الأرض أثناء رحلته ، يغطّي في نفس الوقت ملاحظة مظاهر مختلفة من الحياة ، يشاهدها أو يسمعها أحياناً وينقلها في رحلته . (1)

ويجد القاريء لتلك النّصوص أوصافًا مهمّة لأوضاع البلاد الجزائرية ، وأحوالها ، وذكر المدن التي مرّوا أو حطّوا رحالهم بها ونشاطها ، ونظامها ، ومن ذلك سياسة حكامها ...الخ .

لقد استقينا تلك النّصوص ممّا كتبه الحسن الوزان ، و التمقروتي ، والعياشي ، وابن زاكور ، وأحمد برناز ، والوزير السرّاج ، والزّياني ، وابن أبي الضياف ، وعبد الرّحمان الجامعي ، وعبد الرحمان الجبرتي ، وهم كتّاب من مختلف العهود الحديثة ، ممّا يسمح بأخذ فكرة عن نظرتهم تجاه السّلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر .

---

(1) د. حسني محمود حسني : دراسات في أدب الرّحلة عند العرب ، مجلة الأصالة ، إصدا ر : و.ت.أ.ش.د ، الجزائر 1976 ، العدد 32 ، ص : 90 .

أ ـ نظـرة الإشـادة والإستحسان للسلطة الحاكمة

ـ1ـ عن انضمام الجزائر للدولة العثمانية :

تحدّث **الحسن بن محمد الوزان الفاسي** عن الظّروف التي أحاطت بانضمام الجزائر للدولة العثمانية والتّطورات التي سبقت هذا الإنضمام ، مشيداً في سياق حديثه بالدّور الجهادي الذي كان يبذله عروج وخير الدّين في مواجهة الإسبان دفاعاً عن الجزائر ، وقد ارتأينا تقديم مقتطفات من نصّه كما جاء في كتابه . " كانت الجزائر خاضعة لتلمسان مدّة طويلة ، لكنّها استسلمت لملك بجاية القائم حديثاً [1] لقربها من مملكته ، فانحاز أهل الجزائر الى ملك بجاية لمّا أوجسوا منه خيفة ، ولعدم قدرة ملك تلمسان على إنجادهم ، فبايعوه وأدّوا اليه الخراج ، لكنّهم بقوا تقريباً متحرّرين ....الى أن أرسل الملك الكاثوليكي فرديناند أسطولاً عظيماً لحصار الجزائر ، فشيّدوا قلعة جميلة كبيرة في جزيرة صغيرة مقابلة تماماً للمدينة وقريبة منها [2] بحيث كانت قذائف المدفعية تصل إلى اليابسة بل وتمرّ فوقها من سور إلى سور .... ثم جاء بربروس فحاصر بجاية [3] واحدى القلعتين اللتين بناهما الإسبان ، بعد أن استولى على الأخرى ، لكنّه لم يصل الى نتيجة ..... ومكث فترة من الزمان هلك خلالها الملك الكاثوليكي [4] ، وأراد أهل الجزائر أن يفسخوا الهدنة ، ويتخلّصوا من الخراج الذي كانوا يؤدونه لإسبانيا ، فارسلوا الى بربروس ليكون قائداً عليهم ، نظراً لقيمته العسكرية العظيمة وكفايته في محاربة المسيحيين ..... حضرت جلّ هذه الأحداث ،إذ كنت على سفر من فاس الى تونس ..... خرجت من الجزائر قاصداً بجاية فوجدت بربروس محاصراً قلعتها .... فانصرفت قاصداً قسنطينة في طريقي الى تونس . " [5]

---

(1) بعد موت أبي فارس عبد العزيز (عزوز) الحفصي يوم عيد الأضحى من عام 837هـ/28 أوت 1433م اختلـت دولـة الحفصيين ، وأخذ الولاة من أهل الأسرة المالكة يثورون على أقاربهم الملوك ، فكان من ذلك ثورة أبي الحسـن بـن فـارس الحفصي والي بجاية ضد السلطان أبي عمرو عثمان ، وإعلانه قيام مملكة بجاية منفصلة عن مملكة تونس ، ورغم مقتل أبـي الحسن فإن إمارة بجاية ظلت شبه مستقلة فترة من الزمن . (المرجع : وصف إفريقيا)

(2) كلّف الكونت بييار نفارو ، الرئيس الأكبر للأسطول الإسباني ، سنة 1510 ، قائد أسطول البحر المتوسط ، ديكودي فيرا بتشييد برج البنيون بالجزائر . (المرجع : نفسه)

(3) في رجب 921هـ/ أوت 1515 م.(المرجع : نفسه)

(4) هو فرديناند الخامس ، هلك في 23 جانفي 1516 م .

(5) وصف إفريقيا : ترجمه عن الفرنسية محمد حجي و محمد الأخضر ، د.غ.إ ، بيروت ، لبنان 1983 ، ط2 ، ج2 ، ص ص : 38 ، 39 .

وفي نفس الصدد تحدّث **أحمد بن أبي الضياف** منوّهاً بتعلّق الجزائريين بخير الدّين لما رأوا فيه من الشّجاعة والإقدام في الدّفاع عن أرضهم ، فخاطبه أعيان مدينة الجزائر وعلماؤها وصلحاؤها وهو يعتزم على مغادرة الجزائر بعدما أمّنها من الأعداء : " يأيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك ولا نسمح لك بذلك ، فا ا أمّة سيدنا محمد فإنّ ا يسألك عنهم ، أيها الأمير ، يتعين جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستها والذّود عن ضعفاء أهلها ، ولا رخصة لك في الذّهاب عنهم وتركهم عرضة للعدو . " (1)

وإثر هذا الحديث الذي جرى بين الطرفين كما سبق التطرّق إليه بتفاصيله في بداية بحثنا، وأمام تصميم الجزائريين على بقاء خير الدّين ، انضمت الجزائر للدولة العثمانية وصارت تمثّل إحدى أهم ولاياتها بعد موافقة السّكان على اقتراح خير الدين بذلك .

ـ 2ـ عن وصف الجزائر في العهد العثماني :

ارتأينا أن نبدأ الحديث بنظرة إشادة لواحد من الكتّاب المسلمين تجاه السّلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر، من خلال وصفه للجزائر إنّه الجامعي يسوق لنا هذه الأبيات .

ديارُ بني عثمان حيث تألّقـت قبابٌ ونورٌ مستقرّ المسـافـ ـر
بلادٌ برأس الغرب تاجٌ مكـلّلٌ وخلخالُ سوق الشّرق غيرضوامر
بدت بمنصّات الزّمان كأنّهـا عروسٌ تجلّت في أعالي المنـابر
فدعني من غرناطة وربوعها وشبيل فالحسنُ انتهى للجـ ـ ـزائر
ومن لربوع بالجمال وقد غدت كخط زبور في قـديم الدفـ ـ ـاتر (2)

ـ 3 ـ عن البحرية الجزائرية :

ممّا زاد في جمال الجزائر ومكانتها بين الأمم : اتّصَاف أهلها **بالنبل والشجاعة** ؛ وهوما ذهب إلى الإشادة به **التمقروتي** ، وهو يقدّم وصفاً دقيقاً للجيش البحري الجزائري في هيئته وبطولاته وشجاعة ريّاسه ؛ معبراً عن ذلك **:** "...ومرساها عامرٌ بالسّفن وريّاسُها موصوفون **بالشّجاعة وقوّة الجأش** ونفوذ البصيرة في البحر ، يقهرون النّصارى في بلادهم ،

---

(1) اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ـ تحقيق لجنة الدولة التونسية للشؤون الثقافية والأخبار ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، تونس 1963 ، الجزء الأول ـ ص : 10 .

(2) (عن محمد المنوني : عبد الرحمان الجامعي حامل راية الأدب على مستوى المغرب الكبير ، مجلة الأصالة ، إصدار و.ت.أ.ش.د ، الجزائر ، 1975 ، عدد 24 ، ص ص : 175 ، 177 .

فهم أفضل من ريّاس القسطنطينية بكثير، وأعظم هيئةً وأكثر رعبًا في قلوب العدو . " [1]

انّ الشّجاعة التي كان يتميّز بها رجال البحرية الجزائربة تعدّت حدود البلاد الجزائرية ، ذلك أنّهم تصدّوا لكلّ الحملات الأوربية الغازية ، وأفشلوا كلّ المحاولات التي قامت بها الأساطيل الأجنبية للنّيل من الجزائر، إضافة إلى ذلك فإنّ نشاطهم كان يمثّل مساهمةً فعالةً وذات أهميّة في مداخيل خزينة الدولة .

ونفس التنويه بالجيش الجزائري وبطولاته يشيد عبد الرّحمان الجامعي بالنّصر الذي تحقّق على أيدي القوات الجزائرية إثـر فتح وهران الأوّل ضمن قصيدة اخترنا منها هذه الأبيات :

تلك رسل البشائر يوم عيـد   علينا سورة الفتح السّعـيد
وأصبح وجه دين ا طلـقاً   ووجه الكفر في حزن الفقيد
وقل وهران يهنيك افتكـاك   وانقاذ من الأسر الشديـ ـد
لك البشرى وللإسلام أخرى   يمنعك من يد الكفر العنيـد
جزى جيش الجزائر كلّ خير   إله الخلق ذو الملك العتيـد [2]

وهو ما يؤكّده **الجبرتي** مشيداً بقوّة البحرية الجزائرية وشجاعة رجالها بقوله : " إ نّ لأهل الجزائرصولة واستعداد وغزوات في البحر، يغزون مراكب الإفرنج ويغنمون منها غنائم ويأخذون منهم أسرى ، وتحت أيديهم من الأسارى شيء كثير ، ومينتهم (ميناؤهم) حصينة يدور بها سور خارج في البحر كنصف الدائرة في غاية الضّخامة والمتانة ، ذو أبراج مشحونة بالمدافع ، والقنابر ، والمرابطين ، والمحاربين ، ومراكبهم من داخله ..." [3]

ـ 4 ـ عن أوضاع الجزائر الإقتصادية والإجتماعية :

من خلال تعرضنا لأوضاع الجزائر الإقتصادية والإجتماعية ؛ نستشف نظرة المصادر الإسلامية الى السّلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر ، إذ تُعتبر هذه الأوضاع مرآة حقيقية لجهود الحكام وممارساتهم اليومية في مجال الحكم والتسيير .

فالتمقروتي الذي حطّ رحاله ببعض المدن الجزائرية أثناء سفارته إلى القسطنطينية ،

---

(1)النفحة المسكّية في السّفارة التركيّة : طبعة حجرية ، د.ت.ن ، يوجد بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم:20116 ، ص139.

(2) المرجع السابق ، ص ص : 175 ، 177 .

(3)**تاريخ عجائب الاثار في التراجم والاخبار** ، المعروف بتاريخ الجبرتي ، ضبطه وصححه ووضع حواشيه ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1997 ، الجزء الأول ، ص : 371 .

يستعرض أحوال الجزائر مشيداً بحسنها ، وبأسواقها ، وتجّارها ، وهو ما يعكس طبيعة السّياسة التي انتهجتها السّلطة الحاكمة ممّا وفّر الظّروف لتحقيق المواصفات التالية :

يقول عن مدينة شرشال : " كثيرة العمارة والزرع والفواكه ، يجاب منها الزرع وغيره الى الجزائر ... ومدينة الجزائر ، مدينة آهلة مانعة كثيرة الخصب ... ومدينة عنابة ، تعرف ببلاد العناب ... ومنها ترفع السفن السمن الكثير الى القسطنطينية .. " [1] .

ويخلص الى القول : " ... فبلادهم لذلك أفضل من جميع بلاد إفريقية وأعمر وأكثر تجاراً و فضلاً ، وأنفذ أسواقاً وأوجد سلعةً و متاعًا ، حتى أنّهم يسمّونها اسطنبول الصغرى .... " . [2]

وهي صورة معبّرة لجزائر القرن 16م ، تعكس طبيعة الحياة الإقتصادية وانتعاشها في ظل السّلطة العثمانية التي كانت تُشرف على أمور البلاد وتُسيّـر شؤونها .

أمّا **العياشي** فإنّه يشيد في "**ماء الموائد**" بما شاهده بالجزائر وهو في طريقه إلى بلدان المشرق و إلى البقاع المقدّسة و قادمًا منها ، مقدّماً صورة حيّة عن جزائر القرن 17م ، ولو كانت محدودة جغرافياً فهي تعكس سياسةً كانت سائدة على مستوى البلاد بأكملها ، أساسها الأمن والإستقرار ، فيتحدّث عن منطقة **بسكرة** : "...مع أنّ هذه المدينة من أعظم المدن وأجمعها لمنافع كثيرة مع توافر أسباب العمران بها فجمعت بين التل والصحراء ذات نخيل وزروع كثيف وزيتون ناعم وماء جار في نواحيها ... الى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول وكثرة اللحم والسمن في أسواقها ، و بالجملة فما رأيت في البلاد التي سلكتُها شرقاً و غربًا أحسن منها ، ولا أحصن منها ، ولا أجمع لأسباب المعاش . " [3]

وفي نفس السّياق يذكر **الزياني** في الترجمانة إشـــادة ذات أهميّة بالدّاي حسن [4] حين يثني عليه و يبرز مآثره المختلفة ، وبذلك فهو يقدّم لنا صورة حيّة عن جزائر القرن 18م ،والإدلاء بنظرته حول واحد من الأتراك الذين حكموا الجزائر ، بالتّطرق إلى سيرته وسياسته ومآثره ، فيقول عنه : "... فإنّه حفظه ا من أمراء العدل ، ومن أهل المروءة والفضل ، لمّا جلس على كرسي الخلافة السّعيد سوّى بين القريب والبعيد ، وانتصف للمظلوم من الظّالـم ،

---

(1) المصدر نفسه ، ص ص : 14 ، 16 .

(2) المصدر نفسه ، ص : 139.

(3) **ماء الموائد** (**رحلة العياشي**) مخطوط يوجد بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، د.ت.ط ، ج 2 ، تحت رقم 1342، ص : 411 .

(4) حاكم الجزائر ما بين 1791- 1798 م

وأعزّالمسكين والشّريف والعالم ، وقمع أهل الزّيغ والفساد و كفّ عاديتهم في كلّ بـلاد ، و أجرى أحكامه على القانون الشّرعي و المذهب الحنفي الموعي ، و أجرى الصّدقات على الفقراء والأيتام و المعونة لأهل الحرمين في كلّ عام ، فشمِل عدلُه الرّعايـا سهـلاً وجبـلاً ، و شاعت مكارمُه أفرادًا وجُملاً ، ثم حصّن ثغورالمسلمين بالصّفائل والأبراج ، وعمّرها بالمدافع و المهازرعلى طبقات تُحاكي الأدراج ، زاده ا عزًا و نصراً ..." (1) . ويشيد في نفس الصّدد ببناء مسجد كتشاوة الذي بناه حسن باشا ، وفي ذلك إشادة ومديح لسياسة هذا الحاكم فيقول: "...ثم ألهمهم الى تطهير بُقعة كانت بقـرب دار الخلافة مجمعًا للأشرار ويباع بها الخمر للكفّار، فاشتراها وما حواليها بمال معتبر، وصيّرعاليها سافلها ولا تأنّى في ذلك ولاصبر، وصيّرها مسجداً جامعًا للإسلام ومعبداً لأهل الخير والدّين والعلماء الأعلام ، وأنفق عليه من الأموال ما لاتسمح نفس بإنفاقه ، وعمّره بالحلال الذي هو من خالص أرزاقه...[2]

كما أنشد **الزياني** قصيدة يحاكي فيها مسجد كتشاوة ختمها بهذين البيتين يمدح بهما الداي حسن

فمن يجودُ بما سطّـرت محتسبـاً إلاّ التقي الزّكي الأسد الضّـاري

حامي لواء الرّسول المصطفى حسن فخر الملوك رعاه مولانا الباري[3]

وأنشد مخاطبًا الدّاي حسن بهذه المناسبة قائلاً :

أسرع إلى سبل الخيرات تاتيـك وأبشر فإن الذي عاملت يدنيك

حسّنت بالعدل ديننا ومتجرنـا فنسأل ا بالفردوس يُرضيـك

بنيت هذا البيت محتسبـًا فرُب هذا الذي شيّدت يُنجيـك

أغنيت صُنّاعه عظّمت حُرمتـه وصّحتَ تاريخه فا ُ يُغنيـك

لازلت يا بهجة الأملاك ياحسنًا مُوفقًا و جنود ا تحميـك (4)

كما يقدّم لنا **ابن زاكور** وصفاً جمالياً لمدينة **الجزائـر،** مشيداً ومادحاً، ومن ذلك الظّـروف التي كانت سائدة يومها ، فيقول: "... وإنّه لمّا منّ ا عليّ المولى الكـريم.. بـدخول مدينـة الجزائر، ذات الجمال الباهر، وحلول مغانيها النّواضر، الّتي غصّ ببهجتها كلّ عدوّ كافر...

---

(1) نقلا عن د. بلحميسي : الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1981، ط2، ص:187.

(2) نفس المرجع ، ص : 188 ، 189 .

(3) المرجع السابق ، ص : 192 .

(4) المرجع السابق ، ص : 193 .

أبراني في عليلي ووجدي ، ما عانيته من روائها العسجدي ، وبحرها اللازوردي ، إذ هي كما قيل: بلاد أعارته الحمامة طوقها... و كساه حلّة ريشهاالطاووس ..." [1]

هذا الوصف الذي حظيت به المدن الجزائرية لدى الكُتاب و المؤلفين و الرّحّالـة ، الـذين زاروها، أوعاشوا ردحًا من الزمن بين ربوعها ، لم يقتصر على فترة من الفترات أوعصر من العصور بل تداولته التآليف قبل وأثناء الوجود العثماني ، ممّا يُثبت صـمود هـذه المـدن ، ومحافظتها على أنشطتها وتنظيماتها دون تخلٍ ، أو تراجع ، أو فقدانٍ لخصوصياتها .

ومن ذلك ما جاء على لسان **محمد العبدري البلنسي**[2] الذي مرّ ببعض المدن الجزائرية أثناء رحلته الى الحج سنة **688هـ** ، فيعطي وصفاً شاملاً لها . يقول عن مدينة تلمسان : "...وهذه المدينة بالجملة ذات منظر ومخبر وأقطار متّسعة ومبانيها مرتفعة .... وصلنا الى الجزائر ، وهي مدينة تستوقف بحسنها نظرة الناظر، ويقف على جمالها خاطر الخاطر ، حازت مزيّتي البرّ والبحر وفضيلتي السّهل والوعر.... ثم وصلنا الى مدينة بجاية مبدأ الاتفاق والنّهاية ، وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برّيّة بحرية وثيقة البنيان عجيبة الإتقان ...ولها جامع عجيب منفرد في حسنه ...وأهلها يواضبون على الصّلاة فيه ، وهذا البلد بقيّة قواعد الاسلام ومحلّ جلّة من العلماء الأعلام ..." [3] . ويذكر مدنًا جزائرية أخرى طاف بها خلال رحلته .

وفي هذه الأوصاف وتلك التي ذُكرت قبلها ما يُثبت لنا حقيقة جد هامّة ، وهي أنّ المدن الجزائرية بقيت محافظة على جمالها الطبيعي ونشاطها الإقتصادي ونظامها الإجتماعي في العهد العثماني كما كانت عليه من قبل .

وفي نفس السياق يستعرض **الحسن الوزان** أوصافًا لكثيرمن المدن الجزائرية التي مّر بها،بنظرة كلّها إشادة وتنويه ،ممّا يقدّم لنا صورة حيّة عن جزائرمطلع القرن 16 م.فيقول عن مدينة **قسنطينة:**"..لها موارد كثيرة ،وهي متحضرة جداً ،ومليئة بالدّورالجميلة والبناءات المحترمة،

---

(1) نشر ازاهير البستان في من أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء الأكابر والأعيان "مخطوط يوجد بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 1740مكتوب بخط مغربي مقروء ، عدد أوراقه 64 ورقة ـ ص : 2 .

(2) هو محمد بت ابراهيم بن أحمد العبدري التلمساني عرف بالبلنسي ، كان أعلم أهل عصره بالفنون المعقولة ، نشأ بتلمسان وأخذ عن فقهائها أبي الحسن التنسي وابني الإمام ، العالمين أبي زيد وأبي موسى، ورحل في آخرالسابعة ، فدخل مصروالشام والحجاز والعراق ، ثم قفل الى المغرب ، فأقام بتلمسان مدّة ثم انتقل منها الى المغرب . توفي بفاس سنة 757 ه(أنظرالحفناوي : تعريف الخاف برجال السلف ، مؤسسة الرسالة ، المكتبة العتيقة ، تونس 1982 ، ط1 ، ج1 ص ص : 93 ، 105.

(3)الرحلة المغربية ، تحقيق أ. بن جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية ،مط .البعث بقسنطينة ،الجزائر1984،ص ص :25،10

كالجامع الكبير ، والمدرستين والزوايا الثلاث أو الأربع ، وأسواق المدينة عديدة حسنة التنسيق ، بحيث أن جميع الحرف فيها مفصول بعضها عن بعض ، والقسنطينيون شجعان مقاتلون ... "[1] وعن مدينة **ميلة** :" مدينة عتيقة بناها الرّومان ، بهاعدد كبيرمن الصنّاع ، وخصوصاً من يعملون في نسج الصّوف ، وفي ساحة المدينة عين جارية يستعمل ماؤها لمختلف حاجات السكان، وهؤلاء السّكان شجعان....ويكثر في البلاد التفاح والاجاص وغيرهما من الفواكه "[2].

ويصف **عنابة** قائلاً : " بونة أو عنّابة مدينة عتيقة بناها الرّومان ...الرّجال فيها ظرفاء بعضهم تجار وبعضهم صنّاع ، ويوجد غيربعيد من عنّابة شاطيء يكثرفيه المرجان.." [3] .

وعن مدينة **تبسّة** يقول : " تبسّة مدينة عتيقة حصينة ، يسيل قرب المدينة نهرعظيم ...وبجوار المدينة جبل كبير ..." [4] .

فممّا لا شك فيه أن الأوصاف التي قدّمها الوزّان لبعض المدن التي ذكرت ، تدلّ على أنّ البلاد الجزائرية كانت غنيّة بثرواتها ، عامرة بالنّشاط والحيوية سواء في ميدان الزّراعة أوالصّناعة ، وهو ما يدلّ على الأمن الذي كان سائداً بربوعها ، والذي هو أساس كلّ نشاط اقتصادي واجتماعي ، وأنّ المدن الجزائرية لم تفقد خصوصياتها عموماً في العهد العثماني ممّا يعطي صورة عن الوضع السّياسي إضافة الى الإقتصادي والإجتماعي ، ومن ذلك صورة عن طبيعة السّلطة الحاكمة ، وسياستها المنتهجة .

ـ 5 ـ عن مكانة العلم والعلماء :

لا شك أنّ مكانة العلم والعلماء حضيت بمنزلة رفيعة خلال الوجود العثماني بالجزائر لدى المجتمع ولدى بعض الحكام ؛ فقد بلغ علماء الجزائر مكانة من العلم أهّلتهم ليكونوا قبلة لطلبته من أرجاء كثيرة من العالم الإسلامي ، يقدّمون الإجازات ويطرحون الفتاوى حول القضايا التي عُرفت في عصرهم ، ويشدّون المجتمع إليهم ، وممّا يدلّ على ذلك شهادة العديد من الذين زاروا الجزائر وحطّوا رحالهم بها من البلاد العربية والإسلامية عموماً ، وأشادوا بذلك أيّما إشادةً .

ولعلّ **ابن زاكور** هو واحد من هؤلاء ، فهو يشيد بمكانة العلم والعلماء في الجزائر من خلال

---

(1) المرجع السابق ، ص : 56 .
(2) نفس المرجع ، ص : 61 .
(3) نفس المرجع ، ص : 60 .
(4) نفس المرجع ، ص : 63 .

استعراضه لسير بعضهم ويفاخر بهم فيقول عن أحدهم "...وكنت أخذت من المشايخ من أعظمهم أولاهم شيخ الإسلام سيدي سعيد ابن ابراهيم الجزائري إمام الجامع العظيم نفعنا ا به.." [1]

ويشيد بعالم آخر فيقول : "...ومنهم الفاضل العلاّمة الذي جعل للمحاسن علامة ، فاعترف بفضله كلّ موقّر ، أبو عبد ا سيدي محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري ، أتمّ ا نوره وأدام سروره ، قرّة مجدٍ في جبين الجزائر ساطعة ، ودرة في جيد المكارم لامعة ..." [2]

ويصف أحد مشائخه وهو الشيخ الامام العلاّمة المفتي أبو عبد ا سيدي محمد بن الامام الأكبر ذوالفضائل المشهورة ، أبي عثمان سيدي سعيد في قصيدة جاء فيها ما يلي :

من أخرى حاز ما قد حاز، أحداً	ومن حوى العلم و المجد الصّراح معاً
ومن روى عن أبيه البرّ والرّشدا	سمّي خير الورى مفتى الجزائـــر
من أنا صدى بأن الظّلم فيه بـدا	و أنت أعلم أهل العصر قاطبـــة [3]

وعن شغف الجزائريين بطلب العلم وولوعهم بامتلاك كتبه ينوّه **عبد الرحمان الجبرتي** بحادثة مرّت به مع مجموعة منهم فيقول : " فلمّا كان في سنة ست وتسعين ورد علينا بعض الحجّاج الجزائريين وسألني عن كتب يشتريها وأرغبني في زيّادة الثّمن ، فلم تسمح نفسي بشيء من ذلك ، ثمّ سافر الى الحج وأتاني ومع خادمه رزمة كبيرة فوضعها بين أيدينا وفتحها وأخرج منها كتبًا وفرّجني عليها ." [4]

وهو ما يتناسب مع ما ذكره **التمقروتي** قبله عن الجزائر في نفس الصدد : " والكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقية ، وتوجد فيها كتب الأندلس كثيراً " [5] .

وفي هذه النصوص ما يدلّ على المكانة التي حظي بها العلماء في الجزائر خلال العهد العثماني، والرّغبة القويّة في طلب العلم واقتناء كتبه ولو من أبعد البقاع ، حتى وإن كانت سياسة السّلطة الحاكمة منصبّة على الجانب العسكري الذي فرضته الظّروف الصّعبة للجزائر ، وهي تتصدّى للحملات الأوربية الغازية على مدار ثلاثة قرون من الزّمن ، فإنّ ذلك لم يمنع من طلبه وتنافس الطّلبة على تلقّيه ، و تصدّر المشايخ والعلماء لحلقه هنا وهناك .

---

(1)المرجع السابق ، ص : 8 .

(2)المرجع السابق ، ص : 10 .

(3)المرجع السابق ، ص : 33 .

(4)المرجع السابق ، ص : 386 .

(5) المرجع السابق ، ص : 139 .

ب ـ نظـرة الإستياء والتذمر والإنتقاد الى السلطة الحاكمة :

ـ 1ـ تجاه الحكّام العثمانيين في الجزائر :

ذهب بعض الكتاب المسلمين ولا سيما المغاربة منهم والتونسيين الذين عاصروا الوجود العثماني في الجزائر إلى الوقوف على المآخذ التي طبعت سير بعض حكامها ، ورسموها بنظرة من الإنتقاد اللاذع ، ولأدلّ على ذلك ما كتبه **أحمد برناز** في الشّهب المحرقة [1] واصفًا **الدّاي شعبان** [2] وهو واحدٌ من الحكّام الأتراك في الجزائر ، بأبشع الأوصاف منطلقاً من خلفية المتحامل المنتقد لكلّ تصرّفاته ، المتذمر من سياسته .

يقول "... ثمّ أنّ شعبان هذا كان أهل الجزائر يزعمون أنه رجل مليح و لذلك أولوه حاكمًا عليهم ، و كان في أيام دولته مُهماً ، قعد في دار السّلطان للحكم ، لم يدع المصحف من يده ، و غالب تفرّغه يقرأ القرآن ، و يصوم الإثنين و الخميس و يصوم الثلاثة أشهر و يصوم الأيام البيض ، ورأيتُه أنا مرّة في داره و في رجله نعل عتيق ، وهو حاكم ، و ليس بباب داره حاجب ولا بوّاب ما عدا نصرانيًا [3] أشيب واقفاً في الباب لقضاء حاجة داره وإعلامه بمن يجيء إلى بابه ، وكلّما وردت عليه حكومة [4] وكان المصحف في يده لم يضعه من يده ، ويفصل تلك الدّعاوى والمصحف في يده، ثم يرجع لقراءة القرآن . و لعمر ا يصدق عليه قول الشاعر :

مـا رأينـا كـأميـــر ظلـم النّـاس و سبّـح

فهـو كالجـزّار فينـا يذكر ا و يذبـــــح

..... إنّه رجل ظلوم في أخذ أموال النّاس بالباطل غايةً و قتل الرّقاب ، وقبـل توجّهـه الـى تونس أوّل مرّة ، كان قد حفرقبره في تربة الشّيخ سيدي أحمد بن عبد ا الجزائري صـاحب القصيدة الجزائرية التي شرحها الشيخ سيدي محمد نفعنا ا به ، وكان ذلك اليـوم يبكـي، و تصدّق بصدقات ، ثم بعدها توجّه لقتال محمد باي تونس ، وعاث فيها بأخـذ الأمـوال وقتـل الرّقاب ؛ حتى كان شؤمه سبباً في قتل شيخنا العلّامة مصطفى بـن عبـد الكـريم التونسـي الحنفـي رحمه ا ،

---

(1) هوالكتاب الذي ألفه أحمد برناز و عنوانه الكامل " الشهب المحرقة لمن ادعى الاجتهاد لولا انقطاعه من أهل المحرقة " وكان هذا سنة 1124هـ/1712م .

(2) حاكم الجزائر ما بين 1100 ـ 1106 هـ/ 1688 ـ 1695م.

(3) كان الحُكّام و الأعيان يستعملون الأرقاء المسيحيين في خدمتهم ريثما يتم افتداؤهم وهم محلّ ثقتهم لحرا ستهم .

(4)حكومة : يعني بها قضية أو نازلة .

و كان سابقًا مفتيًا بتونس..." [1]

ثم يسرد خلعه من الحكم ومقتله بروح من التّشفي من هذا الداي : " ... وكان بعد رجوعه من تونس من ظلمه تحزّب عليه بعض خواصه من الأتراك ... وتحزّب معهم عدّة أتراك كان نفاهم شعبان المذكور من الجزائر فالتفوا إليهم ، وكان الكلّ عقبة واحدة... وخلعوه وفعلوا به ما ذكرناه .... " [2]

من خلال استعراضنا لما كتبه أحمد برناز عن الداي شعبان ، يتجلّى لنا التّحامل البيّن على هذا الحاكم ، و لعلّ السّبب في ذلك : أن الدّاي شعبان غزى تونس بهدف تأديب دايها و سكانها ، دون أن ننسى بأن أحمد برناز من كراغلة تونس الذين أصبحوا ينظرون إلى تدخل حكّام الجزائر في تونس أمراً غير مقبول ، خاصّة إذا علمنا بأنّ الجزائريين كانوا يدّعون أنّ بايات تونس يجب أن يكونوا تابعين لمركز الجزائر ، " لأن السبب في ولاية سلطانها وتمكنه بمملكتها كان بواسطة سلطان الجزائر " [3]، بينما يدّعي التونسيّون أنّ علاقتهم رأساً مع الباب العالي ، و أنّهم متساوون في ذلك مع الجزائريين .

هذا التطوّر في العلاقات التونسية الجزائرية ، و الجديد الذي طرأ على التصوّرالتونسي ، دفع الحاج شعبان باشا إلى غزوها .

وقد جاء في التشريفات وصفاً دقيقاً لهذه الحملة منذ الإعداد لها إلى غاية رجوعها منتصرة ، نقدّمه فيما يلي : " في عام 1105هـ/1694م في أوائل شهر رجب اجتمع الدّيوان تحت رئاسة الدّاي لإعطاء وجهة نظره في قضيّة محمد باي تونس ، ومطالب الضّرائب ؛ بعد ذلك كان القرار يقضي بتحضير الخيم والأعلام ، وفي أوائل شهر شعبان ، عشر مراكب تحمل المدافع والبارود ومائتي (200) خيمة للجنود ، منهم مئة (100) من محلّة الشّرق انطلقوا ، وفي اليوم الثاني عشر (12) وصلوا إلى بونة (عنابة) المدينة التي توجد على طريق تونس.... وليلة عيد الفطرعاد الدّاي شعبان

---

(1) نقلا عن د. سعد ا : أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر (المرجع السابق) ص ص : 321 ، 336 .

(2) أحمد برناز : الشهب المحرقة لمن ادعى الإجتهاد لولا انقطاعه من أهل المحرقة ، مخطوط المكتبة الوطنية بتونس عدد 5849 ورقة عدد 97 . نقلاً عن دلندة الأرقش وجمال بن طاهر و عبد الحميد الأرقش : مقدمات ووثائق في تاريخ المغرب العربي الحديث، منشورات كلية الأداب منوبة ، تونس 1995 ، ص : 84 .

(3) أحمد المبارك : المرجع السابق ، ص : 48 .

إلى بونة (عنابة) بجيشه المنتصر ..." [1] .

هذه الحملة التي تركت بصماتها في نفسيّة أحمد برناز فإنّ تحامله على الدّاي شعبان لم يمنعه من إبراز بعض المواصفات التي نراها نحن إيجابية في شخص هذا الحاكم ، ممّا يؤكد تقواه و تواضعه و التزامه بكتاب ا ، وإن اعتبرها هو مجرد شكليّات مصطنعة لإيهام العامّة و الخاصّة حين ساق البيتين السّالفي الذّكر لأحد الشعراء .ويذكر **الوزير السراج** غزواً آخر للجزائريين على تونس بأسلوب الناقم المتذمر من الحكام الجزائريين فيقول : " وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الثاني سنة سبعة عشر ومائة وألف [2] قدم رسل الجزيرية من محلّتهم وكانت بالكاف بمكاتيب ظاهرها الأمان وعدم الضرر ، وباطنها ما هم فيه يصنعون ... وكُتبت الأجوبة التونسية إلى حاكم الجزيريين وديوانهم ، ووجّهوا مع الأجوبة أجلّة رسل من أفاضل علماء الحضرة التونسية ... فلمّا وصلوا المحلة أظهر لهم حاكمها ...وهو مصطفى وجهاً رضياً، وتلقياً مرضياً ...فما كان جوابه إلاّ أن قال: إني قادم إليكم ويكون خيراً ، جواب متهكّم بالحدود ... وردّ الجماعة بالخيبة كما قدموا ... وتقدم إلى السّلب والنّهب والخراب ، وظلّ وجنوده ينهب المتاع ، ويهدم الرّباع ، ويُضيع الضّياع ، وهو في غاية الجور والتهويل من غير برهان ولا دليل ، وليس إلى مردٍ من سبيل ، واخترع ظلماً كثيراً ... " [3]

إنّ غزو الجزائريين لتونس وإن تكرّر مراراً لم يكن إلاّ لأسباب آنية ثم تستمر العلاقة بين الطرفين إلى سابق عهدها ، فتنتهي دائماً بصلح بينهما ، يشارك فيه العلماء وكبارالمشايخ والأعيان ، ويعود بعد ذلك التواصل إلى طبيعته السّابقة ، ومن ذلك ما ذكره **ابن أبي دينار** عن صلح تمّ بينهما فيقول : " وفي سنة سبع وثلاثين كانت الواقعة العظمى بين عسكر الجزائروعسكر تونس ... وكانت في شهر رمضان من السنة المذكورة ... ومشت جماعة من مشيخة البلاد مثل تاج العارفين البكري والشيخ ابراهيم الغريانسي والشيخ مصطفى شيخ الأندلس وغيرهم ، وتمّ الصلح بين الفريقين . " [4]

---

(1) التشريفات ، ص ص : 9 ، 10 .

(2)1117 هـ / 1705 م .

(3) الحلل السند سية في الأخبار التونسية ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان 1985 ، المجلد الثالث ، الطبعة الأولى ، ص ص : 23 ، 26 .

(4) المؤنس في تاريخ إفريقية وتونس ، تحقيق وتعليق وتقديم : محمد شمّام ، المكتبة العتيقة ، تونس 1967 ، ط 2 ، ص : 208 .

وهذا ما يشير إليه **حمدان خوجة** وهو من المصادر المحلّية ، برسمه وصفًا مشرّفاً للحملات الجزائرية على تونس غير الصّورة التي قدّمها لنا أحمد برناز والوزير السّراج ، وأنّ غزو تونس قد تكرّر مرّات عديدة ولكن تماشياً مع الضّوابط المعمول بها في الحروب آنذاك ومراعاة لأخلاقياتها ؛ ومن ذلك قوله : " وللدّلالة على ما يُحدثه العدل والاعتدال من مفعول حسن ؛ أشير الى أنّه تمّ غزو تونس احدى عشرة مرّة ، منذ أن استقرّ الأتراك في الجزائر ، وفي جميع هذه الغزوات لم تُنتهك ولو مرّة واحدة مباديء الحرب ، ومباديء حقوق الانسان ، ومعنى ذلك أن هذه الحروب لم تكن من أجل التنافس على السّلطة . ولقد كان الغالب يدخل تونس منتصراً فيخلع الباي الحاكم وينصّب الباي الجديد ، ثم يقيم معه معاهدات ، فيها منافع للجزائر، واذلال للمغلوبين . ولم يحاول الغالبون ، ولو مرّة واحدة ، الاستلاء على تونس ، أو الاستحواذ على ممتلكات الأهالي التي ورثوها عن آبائهم أو التي حصلوا عليها بمجهوداتهم الخاصّة . لقد كانوا دائمًا يحترمون الأملاك بما فيها من عقارات ، ومنقولات ، ولم يتسبّبوا أبداً في قلب النّظام الاجتماعي ، وإنّما كانوا يغادرون البلاد بعد ابرام المعاهدات مباشرة . " [1]

كما تجدر الإشارة الى أنّ تدخلات الحكام الجزائريين في تونس لم تكن عدائية دائماً ، بل كانت في أحيان أخرى تدخلات ودية لصالح تونس ، ومن ذلك مساهمتهم في إطفاء نار الفتنة التي نشبت على تولي السلطة بين الأخوين أبو عبد ا محمد باي وأخوه أبو الحسن علي بـاي بعد خلاف بينهما انتهى بحرب ضروس قتل فيها خلق كثير ، وقُسّم أهـل تـونس ، وعجـز الأعيان والعلماء عن تقريب وجهات النظر بين الأخوين . أشار اليها **ابن أبي دينـار** بقولـه : " ولما زاد الوجل بأهل تونس أجمع رأيهم على إرسال جماعة من العلماء وأكابر المملكـة مـن أهل البلد لإصلاح ذات البين والجمع بين الأخوين ... فرجعوا بخُفي حنين ... وعلى كلّ حال فا جعل لكلّ شيء سبباً والسّر الخفيّ الذي جعل الصّلح [2] على يد سـر دار الجزائـر واسمه حسن فكان هذا الإسم رزق السعادة ... فكان هو السبب في التآم الكلمة حتى أصلح ا حال هذه الأمة وتدارك بلطفه أحوال العباد وقام سوق الأمن بعد الخوف في جمـع الـبلاد ، وخمدت نار الحرب بعد إضرامها . " [3]

(1) المرآة ، ص ص : 113 ، 114 .

(2) تمّ هذا الصلح في سنة 1091 هـ / 1680 م .

(3) المرجع السّابق : دار المسيرة ، لبنان 1993 ، ط 3 ، ص ص : 285 ، 297 .

ـ 2 ـ عن أوضاع الجزائر العامة :

إنّ الوضع العام الذي ميّز هذه الفترة من الحكم العثماني في الجزائر ، لا شكّ أنّنا تطرقنا إليه من قبل بنوع من الإسهاب ، ويختصره لنا **الزياني** الذي أقام بالجزائر أواخر العهد العثماني، وقد وقف على بعض مخلّفات الثّورات التي عرفتها البلاد ضد السّلطة الحاكمة وذلك من خلال قوله : "......و خبر ما مررنا به من الجزائر إلى قسنطينة من المدن فكلّه خراب ...." [1]

لعلّ هذا الخراب الذي تحدّث عنه ناتج عن الثورات التي أفرزتها العلاقة المضطربة بين الحكام و المحكومين خلال هذه الفترة ، إزاء تردّي الأوضاع الإقتصادية الناتجة عن سنوات القحط والجفاف ، بالإضافة إلى تقلّص مداخيل النّشاط البحري ، ممّا اضطرّ السّلطة الحاكمة في البلاد إلى زيادة الضّرائب على كاهل السّكان ، وزاد معها الظّلم على الرّعية ، فكان ذلك إيذاناً بقيام العديد من الإنتفاضات هنا وهناك والتي لم تكن في صالح أي طرف ، بل جلبت معها الدّمار والضعف والإنهيار في جميع المجالات .

إنّ وقوفنا على هذه النّماذج من الكتابات الغربية ، والكتابات الإسـلامية التـي شـملت الفترة الحديثة من تاريخ الجزائر ، كان الهدف منها أساسًا : الوصول إلى الصّورة الحقيقيـة التي ميّزت السّلطة العثمانية في الجزائر ، وما تخلّلها من مزايا ومآخذ في مختلف المجالات ، ثم مقارنة ذلك مع ما كتبه الجزائريون أنفسهم ، خلال نفس المرحلة عن هذه السّلطة ، لتتّضح الصّورة أكثر وتتعمّق ، على أساس التآليف التي عايش أصحابها الأحداث بأنفسـهم ؛ وبـذلك نكون قد ساهمنا ولو بقسط محدود في توضيح نظرة هؤلاء إلى السّلطة العثمانية الحاكمة فـي الجزائر .

---

(1) المرجع السابق : ص 183 .

الخاتمة

لقد كان سعينا في اختيار نماذج مختلفة من الكتابات المحلية ، والكتابات الغربية و الكتابات الإسلامية التي عاصر أصحابها الوجود العثماني في الجزائر - يهدف أساساً للوصول إلى نظرة حقيقية عن السّلطة العثمانية في الجزائر خلال الفترة الحديثة من تاريخ هذا البلد ، نظرة تتضح من خلالها الصورة التي ينتابها الغموض و الضبابية في كثير من الأحيان ، وتتداخل فيها المواقف بين من يمدحها وبين من يذمها ، بين مؤيد لمواقفها ، ومعارض لسياستها، وتضيع الحقيقة وسط هذا الزخم من التآليف المتضاربة ، كما حاولنا الإعتماد على المصادر في بحثنا و خاصة المحلية منها ، لأن أصحابها هم الذين عاشوا في ظلّ السّلطة العثمانية ويعرفون أكثر من غيرهم حقيقتها ، وكتاباتهم شواهد حيّة على هذه الفترة من تاريخ الجزائر .

وقد توصلنا قدر الإمكان في النهاية إلى الإجابة على معظم التساؤلات التي طُرحت في الإشكالية ، ومنها : نظرة الجزائريين بمختاف فئاتهم إلى السّلطة العثمانية الحاكمة في البلاد ، وقد تناولنا في ذلك نظرة العلماء والمثقفين والمتصوفة قبل وبعد التحرير الكامل للمواقع التي كانت محتلة من طرف الإسبان.

وعرفنا مدى مساهمة الظُروف التاريخية في تحديد النّظرة المحلية ، خاصة ما تعلّق منها بالإعتداءات الخارجية التي تعرضت لها الجزائر مع مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، وكون هذه الإعتداءات نابعة من منطلقات أوربية تحمل في طياتها النزعة الصليبية من جهة ، وكون العثمانيين يمثلون الخلافة الإسلامية - في المنظور المحلي - ذات النزعة المعادية للصليبية ، الحاملة لواء الجهاد والدفاع عن حمى الإسلام والمسلمين ، فكان التأييد للوجود العثماني يطبع النظرة المحلّية عموماً ، وتقاطعت في ذلك مواقف العلماء وشيوخ الزوايا وعامة المثقفين في نظرتهم إلى السّلطة العثمانية التي حكمت الجزائر ، وقد زاد في تثبيت هذه النظرة : المواصفات التي التزمها الحُكام العثمانيين في الجزائر طيلة الفترة التي سبقت تحرير مدينة وهران ، من تصدرهم لحملات الجهاد ، واجتهادهم في تحرير المواقع المحتلة ، والسّهر على حماية حمى الجزائر ، وتصدّيهم للحملات الأوربية الغازية .

وعرفنا كيف ساهمت مواقف التأييد هذه في الحفاظ على الدّين الإسلامي في الجزائر من جهة ، وعلى الدولة الجزائرية التي توطّدت أركانها وذاع صيتها وصداها بين الأمم من جهـة أخرى ، ولكن مع انتهاء هذه الفترة و استرداد وهران والمرسى الكبير وتحريرهما من قبضة

الإسبان نهائياً ، وانكماش الحركة الجهادية التي انجر عنها انحسار نشـاط البحريـة وتقلـص مداخيلها ، وقد تزامن ذلك مع سنوات القحط والجفاف ، فكان الإجتهاد حثيثاً في جمع الضرائب ، وعدم التنازل عنها ممّا زاد في تذمر الناس ونقمهم على السلطة الحاكمة ؛ فتدهورت العلاقـة بين الحكام والمحكومين ، وانجرّ عن ذلك قيام العديد من الثورات التي أغرقت البلاد في فـتن لم يعهدها النّاسُ من قبل ؛ ممّا مهّد الظّروف للإحتلال الفرنسي الذي تعرضت له الجزائر عام 1830 . ومن ذلك كانت النظرة الغالبة على المصادر المحلية تجاه السلطة الحاكمة هي التـذمر والإستياء .

وقد ألحقنا بحثنا بنظرة الغربيين والكتاب المسلمين الى السلطة العثمانيـة الحاكمـة فـي الجزائر . فكانت وجهات النظر الغربية من خلال ما كتبه الأسرى ، والقناصل، ورجال الدين ، والسفراء تركز في معظمها على بعض القضايا وتتعمد إثارتها ، وتضخيمها، وإبراز سلبياتها ، كالقرصنة ، ومسألة الأسرى ، مثيرة في ذلك أحاسيس المسيحيين للنيل من الجزائريين ، حتى وإن وجد ضمن تآليفهم بعض المنصفين الذين كثيراً ما أظهروا الجوانـب الإيجابيـة للسـلطة العثمانية في الجزائر ، ونوّهوا بكثير من المظاهر التي طبعت الحياة السياسية والإجتماعية في تلك الفترة .

أمّا وجهات النظر الإسلامية التي قدّمها طلبة العلم ، والحجاج ، والسـفراء الـذين مـرّوا بأرض الجزائر ، أو عاشوا ردحاً من الزمن في ربوعها ، فقد تباينت رؤاهم بـين مستحسـن ومستاء من هذا الحاكم أو ذاك ، ونوّه جلّهم بانتعاش الحياة الإقتصادية ، وما شهده المجتمع من أمن واستقرار في ظل الحكم العثماني .

وإذ نقدّم هذا البحث فإنّنا نأمل في الأخير بأنّنا قد ساهمنا بجهد متواضع في توضيح نظرة المصادر الجزائرية إلى السّلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر، و منها المساهمة و لو بقسط قليل في كتابة تاريخ بلادنا الحديث .

ثبت المصادر والمراجع

{ الببليوغرافيا }

(أ) باللغة العربية

1 ـ المخطوطات :

ابن زاكور أبو عبد ا محمد بن قاسم : نشر أزاهر البستان في من أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء الأكابر والأعيان ؛ مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر ـ رقم 1740 ـ مكتوب بخط مغربي مقروء ـ عدد أوراقه 64 ورقة .

ابن رقية محمد بن عبد الرحمان بن الجيلاني التلمساني : الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة مخطوط بالمكتبة الوطنية ـ الجزائر ـ رقم 1626 .

ابن خلوف لخضر : قصيدة : "صلوا على النبي وارضوا على العشرة " ـ مخطوط بالمكتبة الوطنية ـ الجزائر ـ رقم 1636 ـ يحتوي على 16 ورقة ـ نسخ بتاريخ 1259 هـ/1843م

أبو راس الناصري المعسكري محمد بن أحمد بن عبد القادر : عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ـ مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ـ يوجد تحت رقم 1632 ـ نسخ بتاريخ 1243هـ/1827ـ1828م .

الأخضري عبد الرحمان : الرّسالة القدسية ـ مخطوط بالمكتبة الوطنية ـ الجزائر ـ رقم 2646

التمقروتي أبو الحسن بن محمد بن علي : النفحة المسكية في السفارة التركية ـ مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ـ منسوخ بخط مغربي واضح ـ يوجد تحت رقم 20116 .

التيجاني أبو العباس : جواهر المعاني وبلوغ الأماني " الكناش الكبير " ـ مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائر ية ـ رقم 1711 .

العياشي أبو سليم عبد ا بن محمد بن أبي بكر : ماء الموائد (رحلة العياشي) ـ الجزء الثاني ـ مخطوط بالخط المغربي ـ يوجد بالمكتبة الوطنبية الجزائرية تحت رقم : 1342.

مجموعة رسائل مخطوطة : توجد بالمكتبة الوطنية ـ الجزائر ـ رقم 2642 .

2 ـ الكتـب

ابن أبي الضياف أحمد : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ـ الجزء الثاني ـ تحقيق لجنة الدولة التونسية للشؤون الثقافية والأخبار ـ الجزء الأول ـ المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ـ تونس 1963 .

ابن أبي دينار القيرواني : المؤنس في تاريخ إفريقيا وتونس - تحقيق وتعليق وتقديم : محمد شمام - الطبعة الثانية - المكتبة العتيقة - تونس 1967 .

الأمير محمد : تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر - شرح وتعليق د. ممدوح حقي - الطبعة الثانية - داراليقضة العربية - بيروت - لبنان 1964 .

ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري : لسان المقال في النبأعن النسب والحسب والحال(رحلة ابن حمادوش) - تقديم وتحقيق وتعليق: د.سعد ا - المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر 1983

ابن ميمون محمد : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية - تقديم وتحقيق : د. محمد بن عبد الكريم - الطبعة الثانية - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر 1981 .

ابن عبد الكريم محمد : حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر 1981 .

ابن مريم محمد أحمد المديوني التلمساني : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان - وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله : محمد بن أبي الشنب - المطبعة الثعالبية - الجزائر 1908 .

أبو راس الناصري : فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربي ونعمته " حياة أبي راس الذاتية والعلمية - تحقيق وضبط وتعليق : محمد بن عبد الكريم الجزائري - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1990 .

ابن عبد القادر مسلم الوهراني : أنيس الغريب والمسافر في طريف الحكايات والنوادر - تحقيق وتقديم : رابح بونار - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر 1974 **.**

الأرقش عبد الحميد والأرقش دلندة وجمال بن طاهر : مقدمات ووثائق في تاريخ المغرب العربي الحديث - منشورات كلية الأداب - منوبة - تونس 1995 .

بفايفر سيمون : مذكرات - تقديم وتعريب : أبو العيد دودو - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر 1974 .

بلحميسي مولاي : الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني - الطبعة الثانية - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر 1981 .

البلنسي محمد العبدري : الرحلة المغربية - تحقيق الأستاذ بن جدّو - نشر كلية الآداب - الجزائر - مطبعة البعث بقسنطينة - الجزائر 1984 .

التلمساني ابن هطال: رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الجزائري: تحقيق وتقديم : محمد بن عبد الكريم ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة عالم الكتب ـ القاهرة ـ مصر 1969 .

التميمي عبد الجليل :بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ـ الجزائر وتونس وليبيا 1816 ـ 1871 ـ الطبعة الثانية ـ منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني ـ زغوان ـ تونس 1985 .

التونسي خير الدين : أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ـ الطبعة الثانية ـ الدار التونسية للنشر(تونس) ـ المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر) ـ 1986 .

الجبرتي عبد الرحمان بن حسن : تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، المعروف بتاريخ الجبرتي ـ ضبطه وصححه ووضع حواشيه : ابراهيم شمس الدين ـ الجزء الأول ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ، لبنان 1997 .

خوجة حمدان بن عثمان :

1 ـ المرآة ـ تقديم وتعريب وتحقيق د. محمد العربي الزبيري ـ الطبعة الثانية ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر 1982 .

2 ـ اتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس عن الوباء ـ تقديم وتحقيق : محمد بن عبد الكريم ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر 1968 .

دودو أبو العيد : الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر 1989 .

الرّاشدي أحمد بن سحنون : الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ـ تحقيق وتقديم : المهدي البوعبدللي ـ منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ـ مطبعة البعث بقسنطينة ـ الجزائر 1973 .

الزبيري محمد العربي : مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر 1973 .

الزهار أحمد الشريف : مذكرات ـ تحقيق : أحمد توفيق المدني ـ الطبعة الثانية ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر 1980 .

الزياني محمد بن يوسف : دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ـ تقديم وتعليق : المهدي البوعبدللي ـ الجزائر 1979 .

سبنسر وليام : الجزائر في عهد رياس البحر ـ تعريب وتعليق : عبد القادر زبادية ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر 1980 .

سعد ا أبو القاسم :

1 ـ أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ـ الجزء الثاني ـ طبع المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر 1986 .

2 ـ تاريخ الجزائر الثقافي ـ 1500 ـ 1830 ـ الجزء الأول ـ الطبعة الأولى ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان 1998 .

3 ـ تاريخ الجزائر الثقافي ـ الجزء الثاني ـ الطبعة الثانية ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر 1985 .

4ـ المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي ـ 1775 ـ 1850 ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر 1976 .

سعيدوني ناصر الدين :

1 ـ النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792 ـ1830
المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر 1985 .

2 ـ دراسات في الملكية العقارية ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر 1986 .

الشقراني أحمد بن عبد الرحمان الراشدي : القول الأوسط في أخبار من حلّ بالمغرب الأوسط ـ تحقيق وتقديم : د . ناصر الدين سعيدوني ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان 1991 .

شالر وليام : مذكرات ـ تعريب وتعليق وتقديم : اسماعيل العربي ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر 1982 .

شلوصر فندلين : قسنطينة أيام أحمد باي 1832 ـ 1837 ـ ترجمة وتقديم د. أبو العيد دودو ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر 1980 .

العنتري محمد الصالح :

1ـ فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها أو(تاريخ قسنطينة) ـ مراجعة وتقديم وتعليق : د. يحي بوعزيز ـ ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر 1991 .

2 ـ مجاعات قسنطينة ـ تحقيق وتقديم : رابح بونار ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر 1974 .

العربي اسماعيل : العلاقات الديبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة ، 1776 ـ 1816 ـ الطبعة الثانية ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر 1984 .

العروي عبد ا : مجمل تاريخ المغرب ـ الجزء الثالث ـ الطبعة الأولى ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت ـ لبنان 1999 .

عبد القادر نور الدين : صفحات من تاريخ مدينة الجزائر ـ مطبعة البعث بقسنطينة ـ الجزائر 1965 .

الفكون عبد الكريم : منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية ـ تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد ا ـ الطبعة الأولى ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان 1987 .

قنان جمال : نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500 ـ 1830 ـ المؤسسة الجزائرية للطباعة ـ الجزائر 1987 .

الضيفة حسن : الدولة العثمانية ـ الثقافة ـ المجتمع ـ والسلطة ـ الطبعة الأولى ـ دار المنتخب العربي للدّراسات والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان 1997 .

كاثكارت (أسير الداي) قنصل أمريكا في المغرب : مذكرات ـ ترجمة وتعليق وتقديم : اسماعيل العربي ـ ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر 1982 .

المدني أحمد توفيق : محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 ـ 1791(سيرته ، حروبه، أعماله ، نظام الدولة والحياة العامة في عهده) ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر 1986.

مالتسان فون : ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا ـ ترجمة د. أبو العيد دودو ـ الجزء الأول ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر 1976 .

مجهول : غزوات عروج وخير الدين ـ تصحيح وتعليق : نور الدين عبد القادر ـ المطبعة الثعالبية ـ الجزائر 1934.

مجهول : تاريخ بايات قسنطينة (المرحلة الأخيرة) تحقيق : حساني مختار ـ منشورات دحلاب ـ الجزائر 1999 .

المشرفي عبد القادر : بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر ـ تحقيق وتقديم : محمد بن عبد الكريم ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان .

المنداسي سعيد بن عبد ا   التلمساني : ديوان شعر ـ تحقيق وتقديم : رابح بونار ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر 1976 .

المزاري بن عودة : طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا الى أواخر القرن 19م ـ تحقيق ودراسة : د. يحي بوعزيز ـ الطبعة الأولى ـ الجزء الأول ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ 1990 .

المبارك الحاج أحمد : تاريخ حاضرة قسنطينة ـ تصحيح وتعليق : نور الدين عبد القادر ـ المطبعة الرسمية ـ منشورات المدرسة العملية للدّراسات العربية ـ الجزائر 1952 .

الورثيلاني حسين : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ـ المشهورة بالرحلة الورثيلانية ـ : مطبعة بيير فونتانا الشرقية ـ الجزائر 1908 .

وولف جون بابتيست : الجزائر وأوربا ـ 1500 ـ 1830 ـ ترجمة وتعليق : د. سعد ا ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر 1986 .

الوزان الحسن بن محمد الفاسي : وصف افريقيا ـ ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر ـ طبع بالإشتراك بين الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، ودار الغرب الإسلامية ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ـ لبنان ـ 1983 .

الوزير السرّاج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ـ تقديم وتحقيق : محمد الحبيب الهيلة ـ المجلد الثالث ـ الطبعة الأولى ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان 1985 .

الناصري أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي : كتاب الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ـ 9 أجزاء ـ تحقيق وتعليق : جعفر الناصري ـ دار الكتاب ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ 1956.

ياس جلول وأمقران الحفناوي : المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر 1975 .

3 ـ المـقـالات :

ابن أشنهو : الدور الذي لعبته الجزائر في القرن 16 في البحر الأبيض المتوسط ـ مجلة الأصالة ـ عدد 08 ـ اصدار وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ـ الجزائر 1972 .

ابن خروف عمار : اخفاق العثمانيين في احتواء وعثمنة المغرب الأقصى ـ المجلة التاريخية المغاربية ـ عدد 114 ـ منشورات : مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ـ زغوان ـ تونس 2004 .

أجيرون شارل روبير : كلمة مقتضبة لتطهير تاريخ الجزائر من الشوائب الإستعمارية ـ مجلة الأصالة ـ عدد 14 ، 15 ـ الجزائر 1973 .

بلحميسي مولاي : موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني ـ مجلة الدراسات التاريخية ـ عدد 05 ـ الجزائر 1988 .

بو عياد محمود : رحالة مصري يزور الجزائر في القرن التاسع ـ مجلة الأصالة ـ عدد 24 ـ الجزائر 1975 .

بونوسلفاتوري : وضع الجاليات الأوربية في المغرب العربي قبل الإستعمار ـ مجلة الأصالة ـ العدد 25 ـ اصدار وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ـ الجزائر 1975 .

التميمي عبد الجليل : الغرب كما يراه حسونة الدغيسي الطرابلسي سنة 1834 ـ المجلة التاريخية المغربية ـ عدد 05 ـ تونس 1976 .

توران ايفون : حول جنسية التاريخ ـ مجلة الأصالة ـ عدد 14 ، 15 ـ الجزائر 1973 .

جهاد مجيد محي الدين :تجارة الرقيق في إفريقيا ـ مجلة المؤرخ العربي ـ عدد 31 ـ السنة الثانية عشرة ـ إصدار الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب ـ بغداد ـ العراق 1987 .

حسني محمود حسين : دراسات في أدب الرحلة عند العرب ـ مجلة الأصالة ـ عدد 32 ـ الجزائر 1976 .

سعد ا أبو القاسم : جوزيف مورقان : الكامل في تاريخ الجزائر ـ مجلة الأصالة ـ إصدار: وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ـ العدد 08 ـ الجزائر 1972 .

سعيدوني ناصر الدين : ثلاث رسائل تتعلّق بأوضاع الجزائر قبل الإحتلال ـ مجلة التاريخ ـ العدد 07 ـ المركز الوطني للدراسات التاريخية ـ الجزائر 1979.

محي الدين جهاد مجيد : تجارة الرقيق في افريقيا ـ مجلة المؤرخ العربي ـ العدد 31 ـ الجزائر 1987 .

المدني أحمد توفيق : تقرير رسمي عن الإنتصار الجزائري العظيم في آخر معركة بحرية ضد اسبانيا - مجلة التاريخ - النصف الأول من سنة 1980 - اصدار المركز الوطني للدراسات التاريخية - الجزائر 1980 .

المنوني محمد : عبد الرحمان الجامعي ؛ حامل راية الأدب على مستوى المغرب الكبير - مجلة الأصالة - عدد 24 - الجزائر - 1975 .

ب ـ باللغة الفرنسية

AGERON . CH .R : Histoire de L'algerie contemporaine (1830- 1970) presse universitaire de France – paris 1970

BIGONET (e) : une lettre du bey de constantine en 1827 - R . A – T : 43 – 1899 – o.p.u – alger 1985 .

BENMANSOUR abdelhadi : alger 16ème - 17ème siecle – journale de jean babtiste gramaye (èveque d'afrique) Les èditions du CERF – paris 1998 .

COUR (a) constantine en 1802 d'apres une chanson - R . A – T : 60 / 1919 – o. P.U – ALGER – p p : 124 – 127 .

DAN pierre : Histoire de barbarie et de ses corsaires – imprimerie et librerie du roy - paris 1637 .

DIEGO DE HAIDO :

1 – Topographie et histoire gènèrale d'alger – traduction de Dr . monereau et A. berbruger - prèsentation de jocelyne dakhlia - èdition bouchène - paris 1998 . 2 – DE la captivitè a' Alger – traduction : molinere – violle - R . A –T : 41 –

O. P . U - Alger 1985 .

EMIRIT(E) les aventures de thèdenat esclave et ministre d'un bey d'afrique (18ème siècle) mimoire de thèdenat ècrites à zurich en 1785 - R . A – O.P.U – alger

Laugier de tassy **:** Histoire du royaume d'alger - un diplomate français à Alger en 1724 - èdition Loysel - paris **1992 .**

RINN . L / M : Le royaume d'alger sous le dernier dey - R . A - T :41/1897 – O.P.U – Alger **1985 .**

SHAW : L'algerie un siecle avant l'aucupation française (au 18ème siècle) – Editions – imprimerie de carthage - paris **1968 .**

TACHRIFAT : recueil de notes historiques sur l’administration de l’ancienne regence d’alger par A . Devoulx – conservateur de archives arabes des domaines - imprimerie du gouvernement - Alger – 1852 – pp : 10

VAYSSETTES (E) : histoire des derniers beys de constantine - èditions grand alger livres - prèsentè par : abderrahmane rebbahi - ALGER 1995 .

VENTURE DE PARADIS :

1 - Alger au 18è siecle - R.A – T : 41 – O.P.U – Alger1985 .

2 – Tunis et alger au 18ème siècle - mimoires et observations rassemblèes et prèsentès par : josephe cuoq - la bibliothèque arabe – èditions – sindibad - paris 18 - 1983 .

الÀهـــــارâ

Ûولاً : zهرâ الأء٢م وا ا ـماعاğ

ةانياً : zهرâ الأماكن والبلـداr

ةالثاً : zهـرâ ا ûالÀـــاğ

أولا :

zهرâ الأء٢م وا ماعاğ

{1} ـ zهرâ الأءŸم

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ن)

(ه)

(و)

(ي)

ğlماعا l âﻬﺮz ـ {2}

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(f)

(ط)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

ثانياً : شهرة الأماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

ğlÁlú l âﻬﺮz : ﺍﻟﺜﺎﻟﺚ

{1}ـ باللغة العربية

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(د)

(ر)

(ز)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(ن)

(و)

{2}ـ باللغة الفرنسية

ۿبǨ ا‡ةـو؟

الفصـــل الأول

نظرة المصادر المحلية الى السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر

ـ مرحلة ما قبل التحرير الكامل للمواقع المحتلة ـ 918 ـ 1207ه/ 1512 ـ 1792م

المبحث الأول :

الفصـل الثـاني

نظرة المصادر المحلية إلى السّلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر

ـ مرحلة ما بعد التّحرير الكامل للمواقع المحتلّة ـ (1207ـ 1246ه/ 1792 ـ1830م)

الفصـل الثـالث